تراث الشيخ الأوحد

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي

١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ

أعلى الله مقامه

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

تحقيق ومراجعة

مجموعة من الفضلاء

شرح الفوائد

الجزء الثالث

مؤسسة الأحقاق

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

تراث الشيخ الأوحد ١٤

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

- اسم الكتاب .... شرح الفوائد - الجزء الثالث
- المؤلف .... الشيخ أحمد الأحسائي
- الناشر .... مؤسسة الإحقاقي للتحقيق والطباعة والنشر
- تحقيق ومراجعة .... مجموعة من الفضلاء
- الإشراف الطباعي .... الأميرة للطباعة والنشر

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٢/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:info@dar-alamira.com

مؤسسة الإحقاقي
للتحقيق والطباعة
والنشر

تراث الشيخ الأوحد

شيخ المتألهين الأوحد
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي
١١٦٦هـ - ١٢٤١هـ
أعلى الله مقامه

تقديم
توفيق ناصر البوعلي

الأوحد
موقع الأوحد
Awhad.com

تحقيق ومراجعة
مجموعة من الفضلاء

شرح الفوائد

الجزء الثالث

مؤسسة الإحقاقي

بسم الله الرحمن الرحیم

اللهم صل علی محمد وآل محمد

الفائدة الحادية عشرة

في بيان صدور الأفعال من الإنسان والإشارة إليه

الفائدة الحادية عشرة

في بيان صدور الأفعال من الإنسان

قلت : الفائدة الحادية عشرة : في بيان صدور الأفعال من الإنسان والإشارة إليه ، اعلم أن الإنسان مركب من الوجود والماهية والمخلوق أبداً محتاج في بقائه إلى المدد من أحد طرفين طرف الوجود وطرف الماهية ، [فمدد الوجود] بفعل الله الذاتي فهو أبداً قائم بأمره قيام صدور ومن فعله للأعمال الصالحة فالحافظ أمر الله والمدد من الأعمال من فعل الله ومن فعل العبد فما بفعل الله مقبول وما من فعل العبد قبول .

أقول : قد تبيّن فيما تقدم أن الشيء مركب من الوجود والماهية وأنه وجد في طورين : الطور الأول هو الخلق الأول وهو إيجاد مادته في ضمن إيجاد المادة والصورة النوعيتين اللتين مادته الخاصة به حصة من مجموعهما وقد تقدم أن الخلق الأول أعني المادة النوعية التي هي الهيولى ، مركب من وجود وماهية والوجود هو المادة والماهية هي الصورة ، ثم أخذ من هذه الهيولى أعني المادة النوعية حصة هي وجود الشيء ومادته والحق

بالصورة الشخصية التي هي الماهية ، وهذا هو الخلق الثاني والوجود في هذين الطورين أي الخلق الأول والخلق الثاني في كليهما بالمعنى الأول للوجود والمعنى الثاني للوجود باعتبار لحاظ كون الشيء أثراً لفعل الله أو كونه نور الله فإنه بهذا اللحاظ وجود وبلحاظ أنه هو هو ماهية ، سواء اعتبر ذلك في الخلق الأول أم في الخلق الثاني ، فافهم هذا الأصل ولا تنسه حين نقول بالمعنى الأول أو بالمعنى الثاني ، ونحن وإن كنا[١] قد نريد العموم في كثير من العبارات ، لكنا إنما نجري الكلام في الخلق الثاني ، لأنه هو الذي يظهر فيه حكم الشقاوة والسعادة الناشئتين من الأفعال الاختيارية التي نحن بصدد الكلام عليها .

فنقول : إن الشيء ونريد أن المكلف مركب من وجود وماهية والوجود والماهية محدثان اخترعهما الله سبحانه بفعله فخلق الوجود لا من شيء ، وإنما هو أثر فعله وتأكيده مثاله إيجادك ضرباً الذي هو المصدر من ضَرَبتَ الذي هو فعلكَ وهذا بناء على المذهب الحقّ[٢] من أن الأسماء مشتقة من الأفعال كما هو رأي الكوفيين وخلق سبحانه الماهية من نفس الوجود من حيث هو هو ، وإذا كانا مخلوقين كانا مفتقرين محتاجين في بقائهما إلى

---

(١) في نسخة أخرى : كان .
(٢) في نسخة أخرى : المحقق .

المدد فيلزم كلّ منهما لذاته الميل إلى الاستمداد من شيء من نوعه فالوجود نور ويميل إلى الاستمداد من النور إذ لا بقاء له بدون المدد إما بالذات وإما بالعرض ، والماهية ظلمة تميل إلى الاستمداد من الظلمة إذ لا بقاء لها بدون المدد إما بالذات وإما بالعرض .

وأريد ما هو بالذات ما إذا كان الشيء استمداده من نوعه وبالعرض ما إذا كان استمداده من نوع ضدّه ، وذلك بعد تلازمهما إذ لا يتحقق أحدهما منفرداً عن الآخر ، فلما تلازما كان المجموع منهما هو المكلف فصار المكلف مركباً من الوجود أي النور ومن الماهية أي الظلمة فكان لذاته ميلان ميل إلى الطاعات التي هي من نوع النور وذلك من ميل الوجود المفتقر إلى المدد وميل إلى المعاصي التي هي من نوع الظلمة وذلك من ميل الماهية المفتقرة إلى المدد فإن رجح المكلف العمل بالطاعات كان استمداد وجوده بالذات وماهيته بالعرض لأنها لما كانت لازمة للوجود وحصل له الاستمداد تقوّم به وتقوّمت هي بتبعيته .

وإن رجح المكلف العمل بالمعاصي كان استمداد ماهيته بالذات ووجوده بالعرض لأنه لمّا كان ملزوماً لماهيته التي حصل لها الاستمداد تقوّمت به بالذات وتقوّم هو بتبعيتها بالعرض فذو الاستمداد الذاتي إذا اتصل به قوي واستولى على الآخر حتى لا

يبقى للآخر ميل تام بل ولا يبقى لذاته إنيّة متحققة إلّا بقدر ما يتماسك به الذي استقوى باتصال الاستمدادات الذاتية لأنه وإن قوي إلى رتبة الكمال لا يضمحل ضدّه أصلاً بل يبقى من الضدّ ما يحصل به الاستمساك نعم يكون الضعيف تابعاً للقوي متقوّماً بتبعيته له ولذا قلنا إنه متقوّم بالعرض ، لأن استمداده ليس مما هو من نوعه ولا مما هو له بل مما هو لضدّه .

وقولي : (فمدد الوجود بفعل الله) إلخ ، أريد أنه خلقه الله أولاً وبالذات واستمداده من نوعه الذي هو نور فيكون مدده بفعل الله الذاتي فهو نور يستمد من النور وهو ما يمده الله سبحانه بتأييداته وألطافه ويستمد بالنور أي بفعل الله إذ هو المقصود من الإيجاد فهو أي الوجود أبداً يعني دائماً بغير انقطاع قائم بأمر الله عزَّ وجلَّ يعني بفعله قيام صدور ومتقوّم بأمر الله أعني بأثر فعله الذاتي تقوّماً ركنياً ومن فعله أي أن مدد الوجود بفعل الله الذاتي ومن فعله أي فعل الوجود للأعمال الصالحة لأنها من نوعه فالحافظ لبقاء الوجود أمر الله الذي هو فعله والمحفوظ به أمر الله الذي هو أثر فعله وهو هيئة الفعل المنفصلة ، فلذا قلنا قيام صدور والهيئة المنفصلة هي مادة الوجود لأنها أثر الفعل ولذا قلت تقوّماً ركنياً .

وقولي : (فما بفعل الله مقبول) إلخ ، أريد أن الحافظ للمكلف حتى يتوجه إليه التكليف ويتحقق كونه شيئاً هو أمر الله

وهو شيئان الأمر الذي هو الفعل قام به وجود المكلف قيام صدور والأمر الذي هو أثر الفعل ومتعلقه وأول صادر عنه أعني به الحقيقة المحمدية قام به وجود المكلف قياماً ركنياً بمعنى أن مادته من شعاع تلك الحقيقة وهو قولي قبل هذا قام بأمر الله الذي هو أثر فعله قياماً ركنياً وأعني به هيئة الفعل المنفصلة وهي التي بفعل الله وهي المقبول لأنه المادة(١) على ما برهنا عليه سابقاً وما من فعل العبد هو قبول وهو انفعاله لفعل الله كما أراد عزَّ وجلَّ .

في أن الماهية ومددها بفعل الله تعالى

قلت : [ومدد الماهية] بفعل الله العرضي فهي أبداً قائمة بأمره العرضي قيام صدور ومن فعلها من الأعمال الخبيثة فالحافظ أمر الله التابع والمدد بالأعمال الخبيثة بفعل الله ومن فعل العبد فما بفعل الله مقرر ومقوّم وما من فعل العبد متقوّم ومتكوّن .

أقول : إن مدد الماهية كأصلها بفعل الله العرضي ، لأن ذاتها إنما وجدت لأجل تقوّم الوجود إذ لا يتقوّم محدث بسيط بنفسه من دون تركيب لأنه في نفسه لا يقدر [أن يبقى ويقوم](٢) فلا بدّ من ضدٍّ له يمسكه فلم تخلق الماهية لنفسها ، وإنما خُلقت لأجل

(١) في نسخة أخرى : لأنه المادة وهي القبول .
(٢) من نسخة أخرى .

قوام الموجود[١] فكان وجودها ثانياً وبالعرض ، وكذلك مددها فما بفعل الله سبحانه في أعمالها الخبيثة هو التخلية بأن يكلها إلى نفسها وما من أفعالها الخبيثة ، فلأنه سبحانه إنما جعل الآلة المخلوقة للطاعة صالحة للمعصية وتمكين المكلف من المعصية لأجل أن تصح الطاعة إذ لا يكون المكلف طائعاً حتى يتمكن من فعل المعصية ويتركها باختياره وبفعل الطاعة ، ولو لم يتمكن من فعل المعصية لم يكن بالطاعة طائعاً إذ لا يقدر على غيرها فجعلت آلة الطاعة صالحة للمعصية وجميع دواعيها كذلك ، فلذا كان الفعل حافظاً[٢] لها عرضياً لأنها لم تكن مقصودة لذاتها وجميع استمداداتها وأسبابها كلها عرضية لم تجعل لنفسها ، وإنما جعلت للطاعة فعلى هذا يكون ما بفعل الله هو التخلية والخذلان وما من فعل العبد هو المعاصي كما تقدم ويأتي .

واعلم : أن منشأ الاختيار في أفعال المكلف هو من كونه مركباً من ضدين وجود هو نور وماهية هي ظلمة وميل كلّ واحد منهما على خلاف ميل الآخر فكان للمكلف ميل وداع إلى فعل الطاعات من الوجود وميل وداع إلى فعل المعاصي من الماهية ، فلذا كان مختاراً إن شاء فعل وإن شاء ترك .

---

(١) في نسخة : الوجود .

(٢) في نسخة أخرى : الفعل الحافظ لها .

بيان تركب الإنسان من ضدين : نور وظلمة

قلت : [ثم لمّا كان] الإنسان في نفسه مركباً من ضدَّين متعادِيَينِ في الذات والصفة والانبعاث محدثين محتاجين في تقوّمهما إلى المدد منهما أو من أحدهما فإن كان منهما جرى على ذلك الإنسان الوزن يوم القيامة والحساب ، وإن كان من أحدهما ضعف الآخر ولم يبق منه إلاّ قدر ما يحفظ الآخر ويكون حكمه حكم القِوي .

أقول : إن الإنسان مركب من ضدين نور وظلمة متعاديين يعني متعاكسين في الذات نور وظلمة ، وفي الصفة معرفة وإنكار وقبول وعدم قبول ، وفي الانبعاث انبعاث على التوالي وانبعاث على خلاف التوالي ، وذلك لأن الوجود إذا مال إلى فعل شيء مالت الماهية إلى تركه وبالعكس وهما معاً محدثان كما تقدم محتاجان في تقومهما وبقائهما إلى المدد منهما أو من أحدهما الوجود أو الماهية ، فإن استمد كلّ واحد من نوعه فلا يكون استمداد أحدهما معاً ، لأنه يلزم منه انفكاك كلّ واحد عن الآخر وذلك موجب لعدم كلّ واحد منهما بل يكون استمداد كلّ منهما على التعاقب ، وإذا كان المكلف هكذا جرى عليه حكم الوزن والحساب يوم القيامة ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ لكثرة حسناته ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾

لقلّة حسناته وكثرة سيئاته ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾[١] .

وحيث كان الوجود يدور على نقطة مبدئه على التوالي كان ميله الذاتي على التوالي ، فإذا استمد من نوعه كان دوره على التوالي وتنجذب الماهية معه على التوالي لعدم قدرتها على انفرادها وانفكاكها وعلى معاكسة ضدها فيضعف ميلها الذاتي فتميل بالعرضي[٢] مع الوجود ، وإن كانت هي المستمدة من نوعها دارت على خلاف التوالي وينجذب الوجود معها على خلاف التوالي لعدم قدرته على الانفراد والانفكاك ، وعلى معاكسة ضدّه فيضعف ميله الذاتي فيميل بالعرضي معها[٣] ، وقد ذكرنا أنه إذا انحصر الاستمداد في أحدهما ضعف الآخر ورق حتى لا يبقى منه إلّا مقدار ما يستمسك به القوي وبنسبة ما بقي من الضعف يكون له ميل بنسبته إلّا أنه قد لا يظهر أثر ، وإذا كمل الشخص في طرف من الوجود أو الماهية سكن ميل ضعيفه حتى لا يكاد يلتفت إلى جهته وإذا لم ينحصر فإن تساويا في الميلين كان الشخص من المرجين[٤] لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ، وإن زاد أحدهما على الآخر جرى على الشخص حكم

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٩.
(٢) في نسخة أخرى : بالعرض .
(٣) في نسخة : معهما .
(٤) في نسخة أخرى : المرجوين .

الوزن ويستقر حكمه في الغالب على حكم الزايد والله سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء ومن أجل ما أشرنا إليه :

قلت : فإن كان القوي الوجود اطمأنت النفس وكانت أخت العقل ورقّت الماهيّة وشابهت الوجود كالحديدة المحماة بالنار فلا فرق في الفعل بينهما وإن كان ما بها بالعرض كالحديد قال الشاعر :

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّت الخَمرُ ... فَتَشَاكَلَا وَتَشَابَهَ الأَمرُ
فَكَأَنَّمَا خَمرٌ وَلا قَدَحٌ ... وَكَأَنَمَا قَدَحٌ وَلا خَمرُ(١)

وإن كان القوي الماهية كان الأمر على العكس ، وكل واحد منهما إنما يستمد ويقوى بمدد من جنسه إذ لا يستمد الشيء من نحو ما هو من ضدّه فلا يستمد النور من الظلمة ولا العكس من حيث هو كذلك وميل الآخر معه إنما هو لبقائهما .

أقول : هذا بيان لبعض أحوال القوي والضعيف ، وهو أنه إن كان القوي هو الوجود اطمأنت النفس التي هي وجه الماهية ووزيرها ، كما أن العقل وجه الوجود ووزيره والنفس الناشئة من الماهية لها في الاصطلاح سبع مراتب المطمئنة هي المرتبة الرابعة .

---

(١) وفيات الأعيان : ١ / ٢٣٠، وتاريخ الإسلام : ٢٧ / ٩٥، والبداية والنهاية : ١١ / ٣٦١، وأعيان الشيعة : ٤ / ٥١٦ .

مراتب النفس

١ ـ النفس الأمارة

وذلك [لأن النفس أول][١] حصولها وظهورها في طبيعتها النفس الأمارة بالسوء .

٢ ـ النفس اللوامة

والثانية : من مراتبها اللوامة لكونها تلوم صاحبها على فعل الطاعة لطبيعتها وعلى فعل المعصية لتطبعها ببعض أفعال العقل واستعمالها لبعض أفعال الخير .

٣ ـ النفس الملهمة

والثالثة : الملهمة لإلهامها حب الطاعة وميلها إلى متابعة العقل في أغلب أحوالها .

٤ ـ النفس المطمئنة

والرابعة : المطمئنة لاطمئنانها على متابعة العقل والأفعال الصالحة .

---

(١) من نسخة أخرى .

٥ ـ النفس الراضية

والخامسة : الراضية لأنها لما اطمأنت على أفعال الخير رضيت من الله تعالى بما أُجري عليها .

٦ ـ النفس المرضية

والسادسة : المرضية لأنها لما استقامت في الرضا من الله تعالى رضيها سبحانه فكانت مرضية له .

٧ ـ النفس الكاملة

والسابعة : الكاملة وهي نهاية كمال النفس الناطقة فإذا عمل المكلّف بميل وجوده الذاتي وهو ما بينه الشارع عليه السلام بأوامره ، واستقام على ذلك اطمأنت لعدم استمدادها من نحو ما هو من نوعها فكانت أخت العقل ورقت الماهية ولطفت وشابهت الوجود في ميلها إلى النور بملكتها التطبعية ، فكانت أخت الوجود فالنفس بالنسبة إلى العقل والماهية بالنسبة إلى الوجود كالحديدة المحماة بالنار فإنها مثل النار في الإحراق ، كذلك النفس مثل العقل لظهور أثره فيها واستقرارها عليه ، وكذلك الماهية مع الوجود إذا استولى عليها إلّا أن ما بالنفس وما بالماهية من النور إنما هو بالعرض .

ولهذا قلنا : إنها أخت العقل حينئذ والماهية أخت الوجود

حينئذ أيضاً ، وإنما عبرنا عن كلّ واحدة منهما بالأخت من تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾(١) وهي الكلاب المعلمة التي علمها الوجود والعقل مما علمهما الله ، واستشهادي بالبيتين لمشابهة الماهية للوجود ، فإنها هي إناؤه ولمشابهة النفس للعقل فإنها أيضاً إناؤه ، وإذا عمل المكلّف بميل ماهيته الذاتي كان على عكس حكمه إذا عمل بميل وجوده الذاتي حرفاً بحرف كما ذكرنا .

ما يقوي الوجود والماهية

واعلم أن كلّ واحد من الوجود والماهية إنما يقوى إذا استمد بمدد من نوع جنسه بالأصالة لأنه إذا لم يكن بالأصالة كان استمداده إما من غير نوع جنسه كاستمداد الضعيف منهما بتبعيته القوي وإما من نوع جنسه بالتبعية ، وحينئذ لا يكون ذاتاً بل يكون صفة كاستمداد الميل من المائل وليس كلامنا فيه إذ كلامنا في الذوات ، وهو يقوى باستمداده من جنسه بنفسه ولا يقوى باستمداده من ضدّه بل يضعف ، لأنه بخلاف حقيقته لكنه لا بدّ له أي الضعيف من الميل مع القوي لما قلنا من عدم قدرته على الانفراد ولا التفرد وإلّا لاضمحلا ، فيميل مع القوي لأجل

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١ .

بقائهما فإنه إذا لزمه استمد بالتبعية وبها يحصل له البقاء في الجملة ويحصل للقوي الاستمساك بالضعيف بلزومه له كما يحصل للضعيف البقاء بفاضل مدد القوي أعني شعاعه المسمّى بالتبعية وبالعرض(١) .

مصدر مدد الوجود والماهية

قلت : فالوجود يستمد من أنواع الخيرات لأنها من نوعه والماهية يستمد من أنواع الشرور ، لأنها من نوعها ، والمركب الواحد لا يستمد من طرفيه معاً إذا كانا متعاندين إلاّ على التعاقب ، وإذا كان وجود أحد الجزأين شرطاً لوجود الآخر لزم أن يكون فعل ذلك الشيء واحداً ، فلو فعل الوجود الخير والماهية الشرّ في حال واحد لزم الانفراد المستلزم للانفكاك المستلزم لفناء الشيء لأنه عبارة عنهما منضمين ويفنيان هما أيضاً لتوقف وجود كلّ منهما على انضمام الآخر إليه .

أقول : قد بيّنا مراراً أن كلّ شيء يستمد لذاته فإنما يستمد من نوعه فالوجود خير كلّه فيستمد من أنواع الخيرات لذاته والماهية شرٌّ فتستمد لذاتها من أنواع الشرور لأنها من نوعها وهذا ظاهر ،

(١) في نسخة : والعرض .

وإذا كان الشيء مركباً منهما معاً يستمد من كلّ واحد من طرفيه على التعاقب أو من أحدهما كما ذكرنا سابقاً ، ولا يمكن أن يستمد من كلا طرفيه دفعة لأنهما ضدان ، واستمداد كلّ واحد خلاف جهة استمداد الآخر ، فلو وقع منهما دفعة انفرد كلّ واحد عن الآخر ، لأن ميله على خلاف ميل ضدّه ويلزم انفكاك المركب وذهابه .

ولذا قلنا : والمركب الواحد لا يستمد من طرفيه معاً أي دفعة إذا كانا متعاندين أي ضدين كالوجود والماهية وذلك هو قولنا ، وإذا كان وجود أحد الجزأين أي جزأي المركب شرطاً لوجود الآخر كالوجود والماهية فإن الوجود شرط لتحقق الماهية والماهية وجودها شرط لظهور الوجود بالتكون فيجب أن يكون المركب منهما فعله واحداً ولو تعدد فعله من كلا جزأيه المتضادين لزم انفراد كلّ منهما عن الآخر وذلك يستلزم انفكاكهما وانفكاكهما يستلزم فناء المركب أصلاً لأنه عبارة عنهما منضمين وانفرادهما موجب لفنائه ولفناء كلّ واحد من الجزأين أيضاً لما قلنا من توقف وجود أحدهما على وجود الآخر .

قلت : ولكن يتعارضان في الميل المنبعث عن شهوة كلّ إلى الاستمداد من جنسه ، لأن ميل أحدهما إلى شيء يقتضي ميل الآخر إلى ضدّه لأنهما ضدان في كلّ شيء ، ولهذا يضعف

أحدهما بفعل الآخر لانجذابه مع الفاعل إلى خلاف ما يتقوّى به ومن ثم يتعارضان ويطلب كلّ واحد من الآخر أن يكون معه في محبته لتوقف فعله لما يريد على تحققه في نفسه وإذا فارقه الآخر لم يتحقق .

أقول : ولكن يتعارضان في الميل ، لأن الوجود يشتهي المدد من أنواع النور فيميل بشهوة طبيعته وكنه نفسه فإذا مال مالت الماهية بشهوة طبيعتها وكنه نفسها على خلاف ميل الوجود ، لأن ميل أحدهما يقتضي ميل ضدّه إلى ضدّ ميله(١) ألا ترى أن أحدهما يضعف إذا مال الآخر وهو ممنوع عن تعلق ميله بما هو من نوعه لأنه إذا مال القوي ولم يقدر على معارضته انجذب مع الفاعل بغير محبته فكان استمداده من فاضل استمداد ضدّه بتبعيته له فيكتفي به مع قلته لأنه بالنسبة إلى استمداده له بنفسه نسبة الواحد إلى السبعين فيستولي عليه الآخر المستمد حتى يكون تابعاً له ويعلمه مما علمه الله إن كان المستولي هو الوجود ويعلمه مما تعلم من الشيطان إن كان المستولي هو الماهية .

واعلم أن الميل التام أعني الميل الذي يكون عنه الاستمداد لا يكون من الضعيف الذي لا يحصل منه الاستمداد ، وأما الناقص فإنه قد يكون من الضعيف لأنه هو لازم وجوده لا يكاد

(١) في نسخة : ميل ضده .

ينفك عنه لحظة لكنه لا يحصل منه استمداد ، ولهذا قد يقع مع ميل[١] القوي لكن لما لم يكن له أثر لم يكن يصدر منه انفكاك فلذا جاز مع الميل التام وقوعه .

قلت : وأما مجرد الميل وهو الالتفات لشهوة المشاكل فليس كالفعل يحصل به نيل المدد المسكن للشهوة فلا يحصل به السكون ولا ترجيح أحد الميلين ولا يمكن انبعاثهما معاً مجتمعين إلاّ أن يكون أحدهما ذاتياً والآخر عرضياً ولا مختلفين لاستلزام ذلك المفارقة لاستحالة انبعاثين متضادين من المركب الواحد الذي لا يوجد إلاّ بالانضمام دفعة لاستلزام ذلك عدمهما لتوقف تحققهما على الانضمام فوجب أن يكونا على التعاقب .

أقول : هذا ما ذكرته قبل هذا أن مطلق الميل لا ينافي وقوعه وقوع ضدّه لحصوله من الضعيف[٢] بمجرد كراهته لمتابعة القوي ولأنه شهوة وليس كالفعل فلا يجتمع المنافيان في شيء واحد ، لأن الميل التام يحصل فيه مدد يسكّن به[٣] المائل وتابعه بخلاف الميل الناقص فإنه لا يحصل به السكون للضعيف ليحصل منه عدم الانقياد مع القوي الموجب للانفكاك ولا يحصل به ترجيح يجوز عليه

(١) في نسخة أخرى : يقع ميل .
(٢) في نسخة : الضعف .
(٣) في نسخة أخرى : مدد يسكن المائل .

السكون لأنهما كما قدمنا لا يحصل منهما انبعاثهما معاً مجتمعين إلّا إذا كان أحدهما ذاتياً والآخر عرضياً ليدل على الانضمام[١] الموجب للتحقق فيكون سكون الضعيف من فاضل القوي الذي بتبعيته وإلّا يكن[٢] بالتبعية وجب على التعاقب كما مرّ .

بيان أثر ميل الوجود إلى الخير والشر

قلت : فإذا مال الوجود إلى الخير مال بالماهية فمالتِ معه بالعرض على خلاف محبتها ، وإذا مالت إلى الشر مالت بالوجود فمال معها بالعرض على خلاف محبته ويتعاقبان على هذه الحال فمن رجح ميله بحيث لا يميل مع الآخر غلب وفعل مطلوبه الآخر بالعرض وفعل الغالب مطلوبه بالذات فيقوى الفاعل ويضعف التابع بنسبة ما يقوى به المتبوع ولا يحصل السكون للمركب إلاّ بالفعل ولا يزال كذلك حتى ينمحق ميل الضعيف في ميل القوي إلى أن لا يبقى من الضعيف إلاّ ما يتقوّم ويحقق به القوي .

أقول : هذا الكلام بمعونة ما ذكرنا معناه ظاهر فإنا قد ذكرنا[٣] بيانه وهو في نفسه غير خفي .

---

(١) في نسخة أخرى : انضمام .

(٢) في نسخة : وإن لم يكن .

(٣) في نسخة أخرى : قد كرّرنا .

قلت : لأن وجود الضعيف شرط في تحقق وجود القوي ويكفي فيه نقطة رأس المخروط وإنما قلنا رأس المخروط ، لأن الضعف المتناسب يقتضي حصول هيئة المخروط لأنه في كلّ مرة يضعف التابع ويقوى الفاعل .

أقول : لمّا كان المؤثر في تأثيره كالسراج في إشراقه وجب أن يكون ما يليه مما هو بالذات أقوى وأشدّ نوراً ومما هو بالعرض أضعف كما أن نور السراج كلما قرب إليه من الأجزاء النورانية أشدّ نوراً وما هو بإزاء هذا النور القوي الشديد من الأجزاء الظلمانية أضعفها ظلمة فإن النور من المنير كهيئة المخروط قاعدته عند المنير وكلما تباعد ضعف حتى ينتهي إلى نقطة هي رأس مخروط النور .

والظلمة أيضاً مخروط بعكس النور فأضعفه الذي هو نقطة هي رأس مخروط الظلمة عند قاعدة مخروط النور وكلما بعد النور من السراج ضعف ويقوى ما بإزائه من أجزاء مخروط الظلمة حتى ينتهي مخروط النور إلى نقطة منه عند قاعدة مخروط الظلمة وأريد بقولي : إن مخروط النور ينتهي إلى نقطة منه عند قاعدة مخروط الظلمة ، ومخروط الظلمة ينتهي إلى نقطة منه عند قاعدة مخروط النور ليس أن رأس المخروط من كلّ واحد منهما نقطة في الحجم ، بل هو في الحجم بقدر سعة قاعدة مخروط ضدّه بحيث

تكون تلك النقطة شائعة في كلّ قاعدة الآخر لكنها لو جمعت بحيث تكون في قوة قاعدة مخروطها كانت نقطة ويكون من خلق من قاعدة مخروط النور في تمام الكمال وكمال التمام وتمام التمام وكمال الكمال بحسب الإمكان ومن خلق من قاعدة مخروط الظلمة في غاية البعد من الخير ومن هو من دون القاعدة دون ذلك كلّ بحسبه فكلما بعد من النور ضعف نوره وقويت ظلمته وبالعكس .

قلت : [وشرح حال] ذلك الشأن أن الوجود له وجه إلى ميله ومطالبه الطيبة وهو العقل وهو وزيره ، وللماهية وجه إلى ميلها ومطالبها الخبيثة وهو النفس الأمارة بالسوء وهي وزيرها .

أقول : بيان ما أشرنا إليه سابقاً من ذكر منشأ الاختيار في المكلف ومن ذكر ما يلحق ذلك مما ذكرنا وشرح ذلك يعني حال ما ذكرنا بمعنى(١) زيادة بيان ما بيّناه هو أن الوجود الذي هو الركن الأعظم من الإنسان أعني مادته محتاج في بقائه إلى المدد كغيره من سائر المخلوقات ، ولا بدّ من أن يكون له باعث وهو ما عبرنا عنه بالميل وبابه إلى ميله وهو وزيره ووجهه إلى مطالبه وهو العقل ، وكذلك الماهية فإنها محتاجة إلى المدد في بقائها ولها

---

(١) في نسخة أخرى : يعني .

باعث إلى المدد وهو ميلها وبابها إلى ذلك الميل هو وجهها ووزيرها[(١)] إلى مطالبها .

وهو النفس الأمارة بالسوء فإذا احتاج إلى وجود الاستمداد من نوعه في بقائه مال العقل بميل الوجود إلى ما احتاج إليه من أفعال الطاعات وأنواع الخيرات وفعلها الجسم بالآلة المسخرة بالعقل ، وإذا احتاجت الماهية إلى الاستمداد من نوعها في بقائها مالت النفس الأمارة بميل الماهية إلى ما احتاجت إليه من أفعال المعاصي وأنواع الشرور وفعلها الجسم بالآلة المسخرة بالنفس الأمارة .

بيان مما ركّب الإنسان منه

قلت : [ولمّا كان] الإنسان هو ذلك المركب منهما ظهرت فيه الواحدية بصورتها ، فوجب أن يكون له جسم واحد وجسد واحد واسم واحد وآلة واحدة ، فوجب في ذلك أن تكونٍ كلها صالحة لاستعمال الوجود لها على الانفراد بمقتضى فعله لما قلنا وصالحة لاستعمال الماهية لها على الانفراد بمقتضى فعلها ، وكذلك متعلقات أفعالهما من المآكل والمشارب والملابس والمناكح وغير ذلك ، وكل منها صالح لاستعمالهما على الانفراد ، وهي

(١) في نسخة أخرى : هو وزيرها ووجهها .

كافية للوجود إذا استعملها بواسطة العقل بحيث لا يحتاج إلى شيء في جميع ميولاته لا يوجد في مقتضى العقل من الخيرات ، وكذلك الماهية بل تكون تلك الأمور مغنية لكل منهما في كلّ شيء .

أقول : لمّا كان الإنسان مركباً من الوجود والماهية الموصوفين بما تقدم ذكره ظهرت فيه الواحدية بصورتها لأنه واحد لاتحاد إنيته ، لأن الوجود لا يجد نفسه وإنما تجد نفسها الماهية ، فوجب أن يكون له جسم واحد وهو النفس الحيوانية الفلكية الحساسة وما يرتبط بها من النفوس إلى النفس الجوهرية الملكوتية التي من الملكوت أعني عالم النفوس ، وهي أعلى مراتب جسميته ، وأن يكون له جسد واحد وهو هذا البشري وما يرتبط به من الأجسام البرزخية ، كعالم هورقليا(١) وهو أعلى

---

(١) قال المصنف في الجزء الأول من شرح العرشية : (وجسم برزخي : وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظلّي الشبحي ، وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوي بـ (هورقليا) ، يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي بجابلقا وجابرسا الشرقية والغربية) انتهى .
وقال في الجزء الثاني من شرح العرشية : وقوله : (بل وجودها) ، يعني القوة الخيالية (في عالم آخر) ، وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية (يحذو حذو هذا العالم) ، يعني على هيئة تركيبه من الأبعاد والألوان والروائح والأصوات وسائر الكيفيات (في كونه مشتملاً على أفلاك) ، وتسمى تلك الأفلاك هورقليا يعني ملكاً آخر أي : (عالم ملك غير عالم ملك الماديات العنصرية) انتهى . =

الأجساد ، وأن يكون له اسم واحد إذ لا يعرف منه أزيد من واحد ، ولمّا كان في حقيقته مركباً من شيئين لا تحقق لأحدهما إلّا بالآخر وهما ذاته وجب أن يكون كلّ واحد من هذه اللوازم أعني وحدة الجسم والجسد والاسم أن يكون صالحاً لكلّ واحد من الشيئين اللذين تركب منهما .

لأن كلّ واحد من اللوازم كما كان صالحاً للمركب على نحو الاستقلال كذلك يكون صالحاً لكلّ واحد من الجزأين لعدم انفكاك الآخر عنه فقد حصل المركب في إرادة الجزأين ، وإنما أهمل الآخر لعدم ميله وعدم حصول مطلبه الذاتي كما تقدم ، وهو معنى قولي : فوجب في ذلك أن تكون كلها صالحة لاستعمال الوجود لها على الانفراد ، يعني بدون الماهية بمقتضى فعله الذاتي لما شاء من أنواع الخيرات ، وأن تكون صالحة لاستعمال الماهية لها على الانفراد بدون الوجود بمقتضى فعلها الذاتي لما شاءت من أنواع الشرور ، وكذلك متعلقات أفعال الوجود والماهية يعني مطلوباتهما من المآكل والمشارب والملابس والمناكح وغير ذلك وكل واحد من الوجود والماهية صالح الاستعمال(١) للمآكل والمشارب والملابس والمناكح

= وقيل : عالم هورقليا هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيل : هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢ .

(١) في نسخة أخرى : لاستعمال المأكل .

فيستعملها الوجود على الانفراد من حيث يحب[١] الله سبحانه وتسكن الماهية معه بالعرض حيث لا حكم لها .

ويستعملها الماهية على الانفراد من حيث يكره الله سبحانه ويسكن الوجود معها بالعرض حيث لا حكم له وحيث يتعاقبان في الاستعمال يتعاقبان في الأحوال فقد يتساويان وقد يترجح أحدهما ، وإذا استعملها الوجود حيث تضعف الماهية كفته بحيث لا يحتاج إلى شيء لا يوجد إلّا في نوع الماهية ، وكذلك إذا استعملتها الماهية حيث يضعف الوجود كفتها في جميع مطالبها بحيث لا يحتاج إلى شيء لا يوجد إلّا في نوع الوجود ، وذلك لعموم صلوح الأشياء لاستعمال كلّ من الوجود والماهية كما مرّ مكرراً ، بل تكون تلك الأمور أي المطالب التي هي متعلق ميل كلّ منهما مغنية لكلّ منهما في كلّ شيء من أحوال الدنيا والآخرة .

سبحان ربي[٢] التدبير ومالك التقدير وهو على كلّ شيء قدير وبكلّ شيء خبير وإليه المصير .

بيان مرآة العقل والنفس

قلت : [ثم اعلم] أن العقل في الإنسان والنفس الأمارة مرآتان

---

(١) في نسخة : يحبه .

(٢) في نسخة : رب .

مرآة العقل عن يمين القلب وجهها إلى السماء ، فتنطبع فيه صورة الرأس المختص به من العقل الأول ، وعلى الأذن اليمنى من القلب ـ التي هي باب وحيه ـ ملك مؤيد وتحته جنود كثيرة من الملائكة بعدد أفعال العقل وميولات الوجود تعينه على كل خير ، ومرآة النفس عن يسار القلب وجهها إلى الأرض فتنطبع فيها صورة الرأس المختص بها من الجهل الأول ، وعلى الأذن اليسرى من القلب التي هي باب وحيها شيطان مقيض وتحته جنود كثيرة من الشياطين بعدد أفعال النفس الأمارة وميولات الماهية تعينه على كلّ شرّ .

أقول : إن الله سبحانه حين أمر كلمته فقبض لخلق الإنسان من السماء(١) قبضة خلق من القبضة التي من فلك المحدد القلب الصنوبري وجعله مرآتين مرآة إلى جهة السماء والعلو وهي التي عن يمين القلب فانطبعت فيها صورة الرأس المُختص بذلك الشخص من العقل الأول أعني عقل الكل ، وقد قدمت أني إنما قلت الأول من باب جريان اللسان بذكر ما اصطلح(٢) عليه مثبتو العقول العشرة ، وإن كان اعتقادنا بطلان قولهم ، إذ ليس في العالم كلّه إلّا عقل واحد ، ولذا نقول : عقل الكل وتلك الصورة

(١) في نسخة أخرى : من كل سماء .
(٢) في نسخة أخرى : اصطلحوا .

هي عقل ذلك الشخص وقوّته وسعته وصفاؤه وكبره ، وعكس ذلك على حسب تلك المرآة في صفائها وسعتها واعتدالها وعكسها .

بيان أُذني القلب

ولذلك القلب الصنوبري أذنان على الأذن اليمنى ملك مؤيد لذلك العقل ومعين له وتحت هذا الملك جنود من الملائكة لا يحصيها إلّا الله وهي بعدد أفعال ذلك العقل بنفسه مثل معانيه التي يدركها وبعدد ميولات سلطانه أعني الوجود وكلها تعين ذلك الملك المؤيد على كلّ خير ، وهو يعين العقل على طاعة الله سبحانه تحصيلاً لمطالب الوجود وجعل سبحانه مرآة إلى جهة الأرض والسفل منكبة وهي التي عن يسار القلب فانطبعت فيها صورة الرأس(١) بذلك الشخص من الجهل الكلي ، وهذه الصورة هي نفس ذلك الشخص الأمارة بالسوء واختلافها في الشدة والضعف والبعد من اللطف على حسب قابلية هذه المرآة كما قلنا في العقل ، وعلى أذن القلب اليسرى شيطان مقيّض مزين لتلك النفس الأمارة ومعين لها على معاصي الله وتحت هذا الشيطان شياطين لا يُحصي عددهم إلّا الله تعالى وهم بعدد أفعال تلك

(١) في نسخة أخرى : المختص .

النفس من صورها وخيالاتها وخطراتها وبعدد ميولات سلطانها أعني الماهية وكلها تعين ذلك الشيطان المقيض على كلّ شرّ ، وهو يعين النفس على معاصي الله تحصيلاً لمطالب الماهية وهذه النفس هي التي تتطور مع مداومة الأعمال الصالحة من الأمارة إلى اللوامة ثم إلى الملهمة ثم إلى المطمئنة ثم إلى الراضية ثم إلى المرضية ثم إلى الكاملة وليس وراء عبادان قرية .

قلت : وكل ملك موكل بشيء واحد من الخير لا غير ، وضدّه شيطان موكل بضدّ ما وكل به الملك من الشرّ لا غير ، فإذا طلب الوجود من العقل شيئاً من الخير وطلبه العقل بجنوده طلبت الماهية ضدّه من النفس الأمارة بجنودها فوقع بينهما الحرب ، فإن غلب العقل قتل ذلك الملك ذلك الشيطان الخاص بمضادته وذلك بعون من الله سبحانه وإن غلبت النفس الأمارة ذُهب ذلك الملك عن ذلك الشيء ولحق بمركزه من الوجود يعبد الله واستولى ذلك الشيطان الخاص على ذلك الشيء وذلك بتخلية من الله سبحانه .

أقول : كلّ ملك من جنود الملك الذي على أذن القلب اليمنى موكل بشيء من الخير مثلاً فعل الصلاة موكل بها ملك والباعث إلى فعلها موكل به ملك ، فإذا مال الوجود بشهوته إلى فعلها ليستمد به طلب من العقل ذلك وأن يسخّر لها الدواعي

والأركان وأعانه الملك المؤيد مع جنوده ومالت الماهية إلى ترك الصلاة وطلبت من النفس الأمارة بالسوء ذلك وأن تسخّر له[١] الدراعي والأركان بالتكاسل والتهاون وأعانها الشيطان المقيض مع جنوده فيقع بين العسكرين الحرب ، [فإن كان] الغالب عسكر الوجود تسلّط الملك الخاص بفعل الصلاة على الشيطان الخاص الموكل بترك الصلاة فيقتله ويجلس مكانه فيتباعد الشيطان[٢] وتخرج عن محل الترك للصلاة وتحيط بذلك الملك الجالس كثير من الملائكة ولا يزال الحكم هكذا ، مثلاً كلّ حين يقتل ملك شيطاناً حتى تستولي الملائكة على مملكة النفس الأمارة من القلب فتأسرها الملائكة ويأتون بها إلى العقل فيعلّمها مما علّمه الله حتى تكون مطمئنة فتكون أخت العقل بأن تريد ما يريد وعليه تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾[٣] .

وإن كان الغلبة لعسكر الماهية تسلط الشيطان الموكل بترك الصلاة[٤] واستولى بأعوانه على الترك وجرى القضاء على الشخص بالخذلان والعياذ بالله ، خرج ذلك الملك الموكل بفعل

(١) في نسخة : لها .
(٢) في نسخة أخرى : فتتباعد الشياطين .
(٣) سورة التوبة ، الآية : ١١ .
(٤) في نسخة أخرى : بترك الصلاة على الملك الموكل بفعل الصلاة .

الصلاة ولحق بمركزه يعبد الله وجلس الشيطان يعبد الماهية من دون الله ، ويجري بأعوانه في الأركان فتكسل عن فعل الصلاة ويجلس الدواعي إلى فعل الصلاة من جهة العقل ويطلقها من جهة النفس الأمارة ، ولا يزال هكذا حتى يرتفع العقل عن محله ، وتستولي النفس على ذلك المحل وتعلّمه مما ابتدعته الماهية من سنن إنيتها حتى يكون ذلك المحل أخاً للنفس الأمارة يريد ما تريد وهو النكراء وهو الشيطنة ، ويجري القضاء بتأويل قوله تعالى : ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾(١) الآية .

بيان المراد من النكتة البيضاء في القلب

والمراد بالنكتة البيضاء التي في القلب هي نور العقل وبالنكتة السوداء التي فيه هي ظلمة النفس الأمارة كما في الأخبار ، والمراد ببياض القلب وبسواده بغلبة إحدى النكتتين هو ما أشرنا إليه من حال صفة القلب عند غلبة العقل والملك وجنوده أو غلبة النفس الأمارة والشيطان وجنوده كما اشرنا إليه فافهم .

قلت : ولذلك مثال وبيان على سبيل الإشارة .

فالأول : اعلم أن الشمس إذا أشرقت على الجدار استنار وجهه

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٢ .

بشعاع الشمس وظهر الظل من خلفه ولولا الجدار لما ظهر نور الشمس وإن كان منها ، ولولا الشمس لما ظهر الظل من الجدار وإن كان منه فالاستنارة من الشمس بالجدار والظل من الجدار بالشمس ، واعلم أنا نريد بالجدار نفس النور من حيث نفسه لا من حيث الشمس .

أقول : إن ما نحن بصدد بيانه من ابتداء هذه الفائدة بيان صدور أفعال العباد عنهم على جهة الاختيار بحيث تتحقق المنزلة التي هي الحق بين المنزلتين الباطلتين اللتين هما الجبر والتفويض ، وقد قدمنا ما فيه بيان منشأ الاختيار وكيفية صدوره وهنا ذكرنا مثالاً لصدور الأفعال من المكلفين على نحو ما ذكرنا من المنزلة بين المنزلتين إذ لا يصدر فعل من أفعال المكلفين مما أمروا به أو ندبوا إليه أو نهوا عنه إلّا على نحو لا يكون الفاعل مجبوراً بحيث يفعل بغير اختياره ولا مفوضاً إليه بحيث يفعل ما يشاء بل على حال وسط وهو أنه مختار ، والله تعالى سبحانه لم يفعل فعله ولم يشاركه فيه ولم يكن مستقلاً مفوضاً إليه بأن أهمله الله في ملكه يفعل فيه ما يشاء كيف يشاء وذكرت للمنزلة الحق مثالاً وبياناً .

أما المثال وهو النور الواقع على الجدار عند طلوع الشمس وعكسه وذلك أن الشمس إذا طلعت ولم يقابلها كثيف كالأرض

والجدار لم يظهر لها النور المنفصل أعني الشعاع الواقع على الجدار وإنما قلت : المنفصل ، لأني أريد أنه إنما يظهر بقابله كالجدار ، وقبل الجدار ليس موجوداً في الأكوان وإنما هو موجود في الإمكان لأنه من الشمس بمنزلة صورتك التي تظهر في المرآة ، فإنها قبل المرآة لم تكن[1] شيئاً مكوّناً وإن كانت شيئاً ممكناً .

ولو كانت متصلة بك لكانت لازمة لك موجودة بوجودك وجدت المرآة أم لم توجد كما في صورتك القائمة بك ، ولهذا قلنا المنفصلة فالنور الواقع على الجدار لم يكن موجوداً مع الشمس ولهذا يقوى ويضعف ببياض الجدار وصقالته وعدمهما وهو في الحقيقة نور ظهوره للجدار لا النور الذي هو قائم بجرمها إلّا أنه من تجليها فهو منها بالجدار ، لأن ظهوره[2] متوقف على كثافة الجدار .

فإذا طلعت وقع نور تجليها على وجه الجدار وظهر ظل الجدار من خلفه من الجانب الآخر والظل ليس من الشمس ، وإنما هو من الجدار لكنه لا يظهر من الجدار إلّا بالشمس فكان ظهور النور ليس من الشمس ليقال إن الجدار ليس هو المستنير ،

---

(١) في نسخة أخرى : يكن .

(٢) في نسخة أخرى : ظهورها .

ولا من الجدار ليقال إنه هو المنير ، وإنما هو بين بين يعني الاستضاءة إنما تحققت بقابلية الجدار أي بكثافته فهو الفاعل لها إلّا أنه بالشمس لأنها منها وكان ظهور الظل ليس من الشمس ليقال إنها هي الظلمة الكثيفة ولا من الجدار ليقال إنه مستقل بإيجاده طلعت عليه الشمس أم لم تطلع .

وإنما الظل بين بين يعني أنّ الظل إنما يتحقق بقابليته تجلّي الشمس من حيث نفسه لا من حيث الشمس ومن كثافة الجَدار إذ هي حقيقته[1] لأنه في الحقيقة صفتها فهو مخلوق منها فالجدار مثال المكلف والاستضاءة عن وجهه مثال الطاعة والظل من خلفه مثال المعصية ، فكما أن الاستضاءة وإن كانت في الأصل من نور الشمس إلّا أنها لا تظهر إلّا بالجدار ، كذلك الطاعة وإن كانت من فضل الله ورحمته إلّا أنها لا تظهر إلّا بفعل المكلف على جهة الاختيار بأن يتمكن من المعصية ويتركها باختياره ويفعل الطاعة ولو لم تكن الطاعات باختياره لم يكن مطيعاً لأنه لا يقدر على تركها كما لو جبرت شخصاً على الصلاة فإنه غير مصلٍّ ، وإنما فعل صورة الصلاة خوفاً منك فلم يكن مصلياً ، وكما أن الظل وإن كان من الجدار إلّا أنه لا يوجد ولا يتحقق إلّا بالشمس ، كذلك المعصية فإنها وإن كانت من المكلف إلّا أنها لا تتحقق إلّا

---

(١) في نسخة : حقيقة .

بقدر من الله بأن يخليه ويحدث مقتضى فعله الاختياري أي يحدث صورة عمله الاختياري لأجل قابلية ذلك الفعل فإنها اقتضت أن يحدث الله ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾(١) ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾(٢) فإن كفرهم بقلوبهم على جهة الاختيار اقتضى أن يطبع الله عليها وإيجاد مقتضى قابلية(٣) الفعل هو القدر لأنه مساوق للفعل لا سابق ولا لاحق .

ومثال آخر الصورة في المرآة فإنك إذا قابلتها وجدت فيها والمرآة مستقلة بتحريكها إذا تحركت أي المرآة وإن كنت ساكناً وأنت مستقل بتحريكها إذا تحركت أنت تحركت الصورة ، وإن كانت المرآة ساكنة فأنت مثال أمر الله ومقابلتك للصورة مثال قدر الله ، والمرآة مثال المكلف والصورة مثال فعل المكلف في الخير والشرّ فالمكلف مستقل بفعله في الخير والشرّ ، ولكن بقدر الله بمعنى أنه لولا قدر الله لم يكن فعل أصلاً كما أن الصورة التي تكون [في] المرآة مستقلة بتحريكها لولا أنك مقابل للمرآة لم تكن صورة أصلاً فما الذي تحرّكه المرآة إلّا إذا كنت حافظاً للصورة بمقابلتك لها ، كذلك القدر مع فعل العبد فإن حفظ الفعل ونشوءه وتمامه وإمضاءه بالقدر .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٨٨.

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٥.

(٣) في نسخة أخرى : قابليته .

واعلم أنّا إذا قلنا في نحو هذا المثال الجدار فإنا نريد به نفس النور من حيث هو هو لا من حيث الشمس فإنك إذا اعتبرته من حيث الشمس كان نوراً والمخلوق منه يكون نوراً وحيث اعتبرناه من حيث نفسه كان ظلمة والمخلوق منه يكون ظلمة كالظل والليل .

ولو أردنا بالجدار نفس الجدار لكان لقائل أن يقول : إن المثل غير صحيح ، لأن علّة الظل إذا كانت كثافة الجدار لَم تكن الشمس دليلاً عليه ، وقد جعلها سبحانه عليه دليلاً يعني بها يكون فيكون المراد فيما نحن بصدده أنه هو المكلف والمكلف لم يكن مركباً من الوجود الذي مثل نور الشمس ومن الماهية التي هي ظلمة ذلك النور أي إنيّته وظله الذي به ظهر ومن شيء آخر مثل الجدار في المحسوس ليكون المكلف مركباً من ثلاثة أشياء ، وإنما هو مركب من شيئين لا غير نور وظلمة فمثال النور الذي هو الوجود استضاءة الجدار ومثال الظلمة التي هي الماهية ظل الجدار لأنها خلقت من إنيّة الوجود وانفعاله من حيث هو هو بل الماهية نفس تلك الإنيّة وأين الجدار المغاير للنور والظل في الإنسان ؟

وإنما مثّلنا بالجدار لكونه صورة نفس النور في إيجاد الظل وإلّا لكان أجنبياً من الشمس كما في المحسوس وليست مؤثرة فيه ولا في كثافته ولا في ما منها فلا تكون دليلاً على ظله كما لا

يكون زيد دليلاً على صفة عمرو وظله ، فالمراد بالجدار في المثال نفس النور من حيث هو هو فافهم إن كنت ذا فهم .

قلت : فالاستنارة تقوّمت بنور الشمس تقوّم صدور وبالجدار تقوّم تحقق ، والظل تقوّم بالجدار تقوّم صدور وبنور الشمس تقوّم تحقق ، ثم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾[1] فالاستنارة آية الحسنة بفعل العبد من قدر الله والظل آية المعصية من فعل العبد بقدر الله .

أقول : استنارة وجه الجدار تقوّمت بنور الشمس تقوّم صدور لأنه هو المحدث لها في وجه الجدار وهو الحافظ بدوام الإمداد بلا انقطاع لأنها تجلّيه بها على وجه الجدار ، وتقوّمت الاستنارة بالجدار تقوّم تحقق ، لأن الجدار[2] هو علّة تكوّنه الذي هو علّة تكوينه .

فإن قلت : هذا على خلاف ما قرّرتم ، لأن الذي قرّرتم أن قيام التحقق إنما يطلق على القيام الركني ، وإنما الموافق لما قرّرتم أنها قائمة بالجدار قيام ظهور .

قلت : الأمر كما قلت ظاهراً ، ولكن قيام الظهور إنما نقوله

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٤٥ .

(٢) في نسخة أخرى : الجدار هو .

للفرق بين التحقق المادي الذي هو قيام تحقق وقيام ركني وبين الصوري الذي اصطلحنا على تسميته قيام ظهور وهو في الواقع كما هو قيام ظهور وبلحاظ أن المادة في نفسها قبل الصورة وأنها قبل حال الاجتماع موجودة في وجودها الإمكاني أو[1] الدهري فإذا لحظنا أن علّة ظهورها في مرتبة كونها هو الصورة قلنا : إن المادة تتقوّم بالصورة قيام ظهور ، وإذا لحظنا أن الصورة جزء ماهية الشيء المركب منها[2] كالسرير فإن جزء ماهيته التي لا تتحقق بدونه الصورة الشخصية وأن الخشب بدونها لا يدل على السرير بواحدة من الدلالات الأربع إلّا حال انضمام الصورة إليه ، فإنه يقال : إن المادة تقوّمت بالصورة قيام تحقق بلحاظ أن الصورة علّة التكوين[3] وهو علّة التكوين كما تقدم فيقال : إن المادة قائمة بالصورة قيام تحقق إذ لا يتحقق تكوينها ولا تكوّنها إلّا بها ، فلذا قلت : قيام تحقق ولئلا يتوجه علينا الاعتراض وإن لم يكن صحيحاً وهو أنه إذا كانت الحسنة من العبد قائمة به قيام ظهور كان العبد غير فاعل لها حقيقة ، ولما ثبت أنه فاعل للحسنة دل على أن قيامها به قيام تحقق أي بفعله ، لأن فعله هو صورة الحسنة ومادتها حصة من أمر الله أي من شعاع الحقيقة المحمدية

---

(١) في نسخة : و .
(٢) في نسخة أخرى : منهما .
(٣) في نسخة : التكون .

صلى الله عليه وآله ، والأمر الشرعي الوارد بالخطاب للمكلفين حامل صورة ذلك الشعاع ، قال أمير المؤمنين عليه السلام :

(نحن الصلاة ونحن الزكاة ونحن الأعمال ونحن الثواب ونحن العقاب)(١) انتهى .

نقلته بالمعنى من أقواله عليه السلام .

نسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر

[وإذا] عرفت هذا المثال فاعلم أن الله سبحانه ضربه مثلاً لذلك يعرفه من يعرفه إذ لا يعرف حكم المنزلة بين المنزلتين إلّا بذلك ونحوه ، والمثل هو آية الممثل ودليله ، فالاستنارة في وجه الجدار هي آية للحسنة ومثالها بفعل العبد ، لأن العبد ليس من فعله إلّا صورة الحسنة ، ومن قدر الله تعالى ، لأن مادتها من قدر الله تعالى أعني من أمر الله الذي ظهر لفظ الخطاب الشرعي ومعناه على صورته ، لأن الأمر الشرعي هو صورة أمر الله الذاتي أعني ذلك الشعاع المادي أي النور الذي هو مادة الحسنات والطاعات ولأجل هذا قلنا : إن الحسنة بفعل العبد من قدر الله ولا نريد بالقدر المادي إلّا هذا الذي أشرنا إليه .

---

(١) قال عليه السلام : **(نحن الصلاة في كتاب الله ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن . . .)** والحديث طويل انظر تمامه في بحار الأنوار : ٢٤ / ٣٠٣ باب ٦٦ ح ١٣ .

وأما القدر الإيجادي الذي هو فعل الله الذي به خلق الحسنة والطاعة من مادة أمره الشعاعي ومن صورة فعل المكلف وامتثال أمره التكليفي فهو فعل الله المتعلق بهندسة المفعولات بحدودها وبه صور الحسنة والطاعة وبه نفخ فيها الروح من أمره حتى كانت حورية أو شجرة أو مسكناً أو ملبوساً أو مأكولاً أو مشروباً أو غير ذلك من نعيم جنانه ودار رضوانه فافهم راشداً ، والظل الذي ظهر بتلك الاستنارة في خلف الجدار آية المعصية ودليلها من فعل العبد المكلف أي أن صورتها من فعل العبد ، وإنما فرقنا في صورة الطاعة وقلنا بفعل العبد من قدر الله ، لأن حقيقتها وجود والله سبحانه خلقه أولاً وبالذات .

وإذا نسبنا ما من العبد إلى ما من الله كان ما من العبد طريقاً ومجازاً إلى ما من الله ، كما إذا نسبنا ما من الجدار في حصول الاستنارة إلى ما من الشمس كان طريقاً ومجازاً إلى ما من الشمس ألا ترى أنها إذا غربت الشمس لحقت بها ، فلذا نقول : إنها من الشمس وإليها تعود وقد قال الله تعالى : ﴿ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[1] وفي الدعاء : (**الخير في يديك والشر ليس إليك**)[2] .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ١٠ .

(٢) فقه الرضا عليه السلام : ١٠٤، والكافي : ٣ / ٣١٠ ح ٧، وتهذيب الأحكام : ٢ / ٦٧ ح ٢٤٤، ومستدرك الوسائل : ٤ / ١٤٢ ح ٤٣٣٤ .

وقلنا في المعصية من فعل العبد بقدر الله ، لأن حقيقتها عدمية إذ هي مخلوقة من نفس النور من حيث نفسه وإنيّته لا من حيث المنير فهي ظلمة فكانت صورة المعصية من فعل العبد لأنها أي صورة المعصية لم تصدر من فعل الله أولاً وبالذات إذ لم تكن مرادة لنفسها ، وإنما أريدت لغيرها فهي مخلوقة ثانياً وبالعرض وما ينسب إلى قدر الله منها ليس لذاتها ، وإنما هو لتحقق الطاعة كما مرّ ويأتي ، فهو عن القدر ثان وبالعرض ، فلذا قلنا بقدر الله ولم نقل من قدر الله لأنها بعكس الحسنة فلذا قال تعالى في الحديث القدسي الآتي : (**وذلك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني**)(١) ، كما لو خاطبت الشمس الجدار لقالت : أنا أولى باستنارتك منك وأنت أولى بظلك مني فافهم .

---

(١) محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : (**قال الله تعالى : يابن آدم بمشيئتي كُنتَ أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء ، وبقوتي أدّيت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً ، بصيراً ، قوياً ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وذاك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني ، وذاك أنني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون**) .
أصول الكافي : ١ / ١٥٢ باب المشيئة والإرادة ح ٦، والتوحيد : ٣٣٨ باب المشيئة والإرادة ح ٦.

بيان المنزلة بين المنزلتين في أفعال العباد

قلت : والثاني قال الله تعالى في الحديث القدسي : (وذلك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني) وهو معنى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي أنا أولى بها ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾(١) أي أنت أولى بها كما في المثال تقول الشمس : يا جدار أنا أولى بالاستضاءة منك لأنها من نوري وإن كانت لا تتحقق إلاّ بك وأنت أولى بالظل مني لأنه منك وإن كان لا يتحقق إلاّ بي .

أقول : المراد بالثاني البيان المذكور مع المثال ، والمراد بالبيان بيان الله تعالى للمنزلة بين منزلتين(٢) لأنه تعالى خلق النور والظل مثلاً وآية للخير والشر أي الطاعة والمعصية وقد قال تعالى(٣) : (**وتلك الأمثال نبيّنها لقوم يعلمون**) ، قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾(٤) وفي قوله تعالى في الحديث القدسي بيان أن الحسنة منه تعالى أي

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٧٩.

(٢) في نسخة : المنزلتين .

(٣) وهو معنى للآية الآتية أو تفسيرها .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣.

مددها ومادتها من قدره الذي هو شعاع أمره الذي هو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وتكوينها من قدره الذي هو فعله بفعل العبد وهو صورتها ، كما أن إحداث استضاءة الجدار من تجلّي الشمس ومادتها من شعاعها المنفصل وصورتها من كثافة الجدار فلذا قال تعالى : (**أنا أولى بحسناتك منك**) ، لأن مادتها من قدره تعالى وليس من العبد في الحقيقة إلّا صورتها ، وصورتها وإن كانت جزء ماهية الحسنة لكنها أي الصورة جزء صوري مقداري والمادي أقوى من الصوري ، فلذا قلنا هي من ذي المادي وبذي الصوري إشارة .

على أن الصورة هي قابليتها للإيجاد وبالعكس في المعصية ، فمن هنا قال : (**وأنت أولى بسيئاتك مني**) ، لأن مادتها من مخالفته للأمر وصورتها من فعله والمخالفة استدعت الخذلان منه سبحانه فلذا كانت به مادة للمعصية ، لأن المراد بالمخالفة ليس نفس معاكسة الأمر ، لأن تلك الصورة التي هي(١) فعل العبد ، وإنما المراد منها الأمر المخالف ونريد بكون مادة الحسنة من موافقة الأمر أنها نور الأمر المعمول به أي وجوده ومادة السيئة ظلمة الأمر المخالف أي ماهيته فافهم .

---

(١) في نسخة أخرى : تلك هي الصورة التي هي .

بيان كيفية أن الحسنة من الله أولًا ومن العبد ثانياً

قلت : فالحسنة من الله أولاً وبالذات بمعنى راجحية جهة الوجود فيها لرجوعها من جهة قدر الله إلى فعله ، وبالعبد ثانياً وبالذات أيضاً لأنها من وجوده بالله فهي من جهة فعل العبد ترجع إلى وجوده الراجع إلى فعل الله تعالى ، [والسيئة] من العبد أولاً وبالذات بمعنى راجحية ماهيته فيها وبالله ثانياً وبالعرض بمعنى المساوقة في الوجود وتحقق الماهية بالوجود المتقوّم بأمر الله تعالى .

أقول : إنما قيل : الحسنة من الله مع أنها فعل العبد ، لأن جهة وجودها أعني جهة مادتها راجحة على جهة ماهيتها أي صورتها لرجوع جهة مادتها بتقدير الله سبحانه إلى فعله عزَّ وجلَّ فهي أثر فعله الصادر عنه ، وأما صورتها فهي فعل العبد المكلف الواقع باختياره وهو وإن كان راجعاً إلى الوجود لأنه من بعث العقل بطلب الوجود إلّا أنه منسوب إلى العبد المركب من وجود وماهية ، فقد صدر ذلك الفعل عن داعيين ذاتي وعرضي فلا يساوي الذاتي المحض لما في العرضي من الكراهة الملابسة ، فلذا رجحت جهة مادة الحسنة على صورتها من وجوه :

بيان رجحان المادة الحسنة على صورتها

منها : جهة الذكورية ، لأن المادة هي أب الحسنة والصورة أمها .

ومنها : خلوص ذاتية المادة وشوب الصورة .

ومنها : سبق المادة وأقربيتها .

ومنها : أن المادة روح الحسنة والصورة جسدها كما يشير إليه حديث سيد الساجدين عليه السلام[(١)] .

ومنها : أن مادة الحسنة من أمر الله وقدره أولاً وبالذات

---

(١) عن سفيان بن عيينة عن الزهري قال : قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام : جعلني الله فداك أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل ؟ فقال عليه السلام : **(إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا تحس والجسد بغير روح صورة لا حراك بها فإذا اجتمعا قويا وصلحا كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئاً لا يحس ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم ولكنهما باجتماعهما قويا ولله فيه العون لعباده الصالحين)** . ثم قال عليه السلام : **(ألا إن من أجور الناس من رأى جَورَهُ عدلاً وعدل المهتدي جوراً ، ألا إن للعبد أربعة أعين عينان يبصر بهما أمر آخرته وعينان يبصر بهما أمر دنياه فإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما العيب وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه ثم التفت إلى السائل عن القدر فقال : هذا منه هذا منه)** .

توحيد الصدوق : ٣٦٦ ح ٤ باب (٦٠) القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والآجال ، ومختصر بصائر الدرجات للحلي : ١٣٧ .

وصورتها ثانياً وبالذات لكونها من العبد من جهة وجوده المتقوّم بأمر الله وقدره تقوّم صدور وتقوّم ركني ، فلأجل ذلك كان ثانياً وإن كان بالذات ولأجل ما ذكر ونحوه قال تعالى : (**أنا أولى بحسناتك منك**)(١) .

بيان أن السيئة من العبد أولًا وثانياً

وأما السيئة فهي من العبد أولاً وبالذات وإنما قلنا أولاً وبالذات مع كونها بقدر الله من جهة راجحية جهة ماهيته فيها ، لأن ما في السيئة من جهة ماهية العبد ذاتي في السيئة لأنها كانت برجحان دواعي النفس الأمارة بطلب الماهية فكان ميل ماهية العبد في السيئة أقوى من ميل الوجود فيها بعكس الحسنة وميل الوجود فيها بالعرض والتبعية وهو قولنا وبالله ثانياً وبالعرض ، لأن ما في السيئة من فعل الله التكويني هو أن أوجدها بمقتضى عمل العبد(٢) وإنكاره وتركه الحق ومن قدر الله أنه خذله ووكله إلى نفسه ، ومن مفعوله الذاتي أعني الوجود وهو ميله مع ماهيته بالعرض والتبعية ، فكلّ ما فيها من فعل الله سبحانه ومن قدره ومن مفعوله الذاتي المستمد من النور أعني الوجود بالعرض وثانياً وما فيها من جهة ماهية العبد وميولاتها ودواعيها بالذات وأولاً

---

(١) أصول الكافي : ١ / ١٥٢ ح ٦، والتوحيد : ٣٣٨ ح ٦.

(٢) في نسخة أخرى : العبد المسيء .

ومعنى كونها في كلّ ما كان من فعل الله وقدره ومفعوله أي الوجود بالعرض أنها أي ماهية العبد الفاعل للسيئة مساوقة في الظهور للوجود بمعنى أنها خلقت من نفسه من حيث هو لا من حيث النور كما خلق الظل مساوقاً لإشراق الشمس بنورها من نفس النور من حيث هو لا من حيث الشمس وإلّا لكان نوراً ، فالماهية راجعة إلى نفس الوجود من حيث هو والوجود راجع إلى نور الله الذي هو أمره الذي به قام كلّ شيء .

قلت : فمشيئة العبد للحسنة بالذات من مشيئة الله لها بالذات ومشيّة العبد للسيئة بالذات من مشيئة الله بالعرض على نحو ما أشرنا لك إليه وأسلك طريقاً بين هذه الحدود جامعاً لها على نحو ما يأتي وهذا الطريق الجامع هو سبيل الله قال تعالى : ﴿ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ ﴾(١) .

أقول : يعني أنّ مشيئة العبد للحسنة هي من ميل الوجود الذي هو حقيقة العبد من ربّه فهي مشيئة ذاتية له وللحسنة أيضاً ، لأن الحسنة أيضاً يرجح فيها جهة النور كما تقدم وهي من مشيئة الله للحسنة بالذات لأنها هي المطلوبة من المكلف ومشيّة العبد للسيئة أيضاً بالذات ، لأن هذه المشيئة من ميل الماهية التي هي

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٩.

حقيقة العبد من نفسه وإنيته فهي ذاتية له وللسيئة ، لأن السيئة يرجح فيها جهة الظلمة كما مرّ ، فمشيته لها بالذات من مشيئة الله لها أي السيئة بالعرض ، لأن السيئة ليست مطلوبة من العبد ، وإنما مكن من فعلها بأن جعلت مشيته وآلات فعله صالحة لها وإن كانت إنما خلقت للطاعة ليتمكن من فعل الطاعة إذ لو فعل الحسنة ولم يقدر على السيئة لم يكن محسناً ولا يكون محسناً حتى يتمكن من السيئة ويتركها ويفعل الحسنة فكانت السيئة والتمكين منها مطلوباً لله تعالى ثانياً وبالعرض لتتم الحسنة فافهم .

وقولي : (واسلك طريقاً بين هذه الحدود) إلخ ، أريد به أنك إذا عرفت أن الحسنة من فعل الله يعني بمحبته وتأييده ومن وجود العبد وأن السيئة من فعل العبد بتمكين الله له منها لتتم له الطاعة ، وأن الحسنة لكانت من فعل العبد وبقدر الله يعني بتمكين الله تعالى للعبد منها لأجل أن يتمكن من الحسنة وعرفت أن قدر الله الذي قام به كلّ شيء هو الحافظ للعبد ولأفعاله الخير والشر كما ذكرنا سابقاً على نحو ما تحفظ المادة صورة السرير وصورة الصنم ، فكما أن خلق الله الخشب لمنافع العباد لا يكون به فاعلاً للصنم[1] ولا معيناً لعامليه وعابديه كذلك خلقه للقدر المادي لمنافع الخلق لا يلزم منه كونه فاعلاً لأفعال العباد .

(١) في نسخة أخرى : لصنم .

بل هم الفاعلون لأفعالهم لم يشاركهم فيها ولم يهمل العباد في ملكه وسلكت بين ذلك خارجاً عن كلا الطرفين عن الإجبار والتفويض فقد سلكت سبل ربك ذللاً أي منقاداً لما أشار إليك في آياته وعلى ألسن أوليائه ؛ من أن الله لا يظلم العباد ولا يهملهم في ملكه ، ففي التوسط بين هذين منزلة لا يعلمها إلّا العالم عليه السلام أو من علّمه إياها العالم عليه السلام ، كما في رواية التوحيد عن سيد الساجدين عليه السلام .

في أن كلّ شيء قام بأمر الله تعالى صدوراً وبقاءً

قلت : [وأصل المسألة] هو أن تعلم أن الشيء إنما يتحقق بوجوده وماهيته ، وذلك لأنه[١] لا قيام له بنفسه لا في إفراده ولا في المجموع ، وإنما يتقوّم بأمر الله قيام صدور فهو قائم به أبداً قيام صدور فهو طري أبداً وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[٢] وفي دعاء يوم السبت رواه في المصباح قال عليه السلام : (كلّ شيء سواك قام بأمرك)[٣] .

(١) في نسخة : إلا أنه .
(٢) سورة الروم ، الآية : ٢٥.
(٣) مصباح المتهجد : ٤٣١، وبحار الأنوار : ٨٧ / ١٤٨، ومجمع النورين : ٢٧١.

أقول : في هذا الكلام إشارة إلى بيان كيفية قيام الأشياء بأمر الله لاحتياجها في صدورها وفي بقائها إلى الإمداد والمدد وذلك لتعلم أن الشيء لا يتحقق إلّا بوجوده وماهيته فهو متقوّم بهما قياماً ركنياً فإنه ليس مستقلاً ، وإنما هو متقوّم بغيره سواء اعتبر ذلك في نفسه أم في إفراده إن كان ذا إفراد أم في أجزائه بل وفي لوازمه وإشراقاته ، واعلم أنا قد أشرنا أن أمر الله الذي به تقوّم الأشياء يطلق على شيئين :

أحدهما : فعل الله وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(١) وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّم صدور فكلّ شيء من فعل الله في حال صدوره وبقائه طري أبداً فأول آناته كآخره ، إذ وجوده إنما هو شيء بفعل الله سبحانه فلا تحقق له في البروز في عالم الأكوان إلّا بالفعل فهو منه كالنهر الجاري من الينبوع .

[والآخر] : أول مفعول صدر عن الفعل وهذا تتقوّم به الأشياء تقوّماً ركنياً كتقوم السرير وأبناء نوعه بالخشب ، والمراد بهذا الوجود هو الماء الذي جعل منه كلّ شيء حي وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله فإن الأشياء كلها موادها التي تتقوّم بها من أشعتها أو أشعة أشعتها والآية المذكورة والدعاء يحتمل

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ .

الأمر فيهما(١) على الوجهين بأن يكون المراد بالأمر العلة الفاعلية أو العلة المادية .

قلت : إلاّ أنه في كلّ حال نهر يجري مستديراً استدارة صحيحة ، وليس قولنا إنه نهر يجري أنه دائرة ، بل هو كرة مجوّفة وأفعاله أيضاً قائمة بأمر الله من جهة ما تقوّمت به ذاته تقوماً تبعياً على نحو ما أشرنا إليه سابقاً ، والمراد بالتبعي أن يكون نسبة ما تقوّمت به الأفعال إلى ما تقوّمت به الذات نسبة الشعاع إلى المنبر نسبة واحد من سبعين .

أقول : يعني أنك إذا اعتبرت حال استمداد الشيء في حال جريان المدد عليه من فوارة القدر وأنه لا يمد إلّا بما له وأن ما انفصل عنه عائد إليه كان كالنهر الجاري على الاستدارة بأن يكون آخره متصلاً بأوله بمعنى أن ما يأتيه إنما هو مما له وأن ما ذهب منه بعد استمداده به عائد إليه مدداً جديداً ، سواء رجع في انفصاله عنه وذهابه منه إلى غيب الأكوان أم إلى غيب الإمكان فإنه لا يأتيه ما ليس له ولا منه ولا يأتيه إلّا مدد جديد من جهة ينبوع استغنائه التي هي مبدأ فيض إمداده ، وتلك الينبوع ليست في جهة ولا مكان ولا وقت بل تظهر الإفاضة عليه من كلّ جهة فيكون في

(١) في نسخة أخرى : منهما .

استمداده كرة صحيحة الاستدارة مجوّفة لأنها تدور على نقطة هي علتها لا إلى جهة .

واعلم أن بعض من وصل إلى ساحل هذه اللُّجة قال بأن الشيء لا يوجد بعينه في آنين بل يتبدل في كلّ لحظة تبدّلاً سيّالاً فهو في كلّ آن غير ما قبله وما بعده مغايرة حقيقية(١) لأنه نهر يجري والنهر في كلّ لحظة هو غير ما قبل ذلك وما بعده ، فالذاهب منه لا يعود أبداً والآتي إليه لا ينقطع أبداً وقد أخطأوا وغلطوا لأنه لو كان كما يقولون لكان في جميع أحواله جديداً طرياً فلا تتصف ذاته بطاعة ولا معصية لأنها كلها تذهب ولم يبق شيء منها له ولا عليه فيأتي يوم القيامة لا ثواب له ولا عقاب عليه لذهاب كلّ جارحة مع ما كسبت وفناء كلّ طبيعة بما اقتضت وليس كذلك بل قوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾(٤) وقوله : ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(٥) ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ

---

(١) في نسخة : حقيقة .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦.

(٣) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ، ٨.

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٩ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨.

تَمْتَرُونَ ﴾[١] وأمثال ذلك ، تنادي بعدم فناء شيء منهم ولا من أعمالهم ، فلما دلّ الدليل على عدم الاستقرار والثبات وعلى عدم الاستغناء عن الإمدادات ظهر بأن أعمالهم لازمة لهم وليس إلّا لبقائهم ، وقد قال عليه السلام : (**وإنما خلقتم للبقاء وإنما تنقلون من دار إلى دار**)[٢] .

وهذا كلّه مترتب على ما أشرنا إليه من أنه نهر يجري مستديراً ويستمد أوله من آخره وعائده من ذاهبه وأنه لا يمدّ إلّا مما له فإن ما ذهب عنه ولحق بغيب كونه أو بإمكانه هو ما يمد به وفائدة هذا مع ما ذكرنا من لزوم الأوصاف والأعمال أنه إذا تكرر في أطوار الكسر والصوغ والحل والعقد نعمت أجزاؤه وتلززت ذراته وقويت بنيته وصفت طينته وترقت بتكرار الحل والعقد والكسر والصوغ إلى غايات كمالاته لتردده في مراتب أطواره ، وهذا ظاهر لمن عرف كيفية تكوين الأشياء في مراتب أطوارها ، فإن الياقوت إنما عزَّ وتميز عن أصله الذي هو التراب بكثرة السحق والحل والعقد والطبخ على النظم الطبيعي حتى تخلص عن الأوساخ والأعراض

---

(١) سورة الدخان ، الآية : ٥٠.

(٢) بحار الأنوار : ٦ / ٢٤٩.

وروي بلفظ : (**إنّكم خُلقتم للبقاء لا للفناء**) الاعتقادات ، الشيخ المفيد : ٤٧ .

وفي لفظ آخر : (**خلقتم للأبد وإنّما تنقلون من دار إلى دار**) علل الشرائع : ١ / ١١ .

وزالت عنه الغرائب ونضج بكرّ الكواكب عليه فكذلك جميع الأشياء ، فلذا تنتهي إلى غاية كمالاتها من غايات الخيرات أو الشرور .

في أن أفعال العباد قائمة بأمر الله تعالى

وقولي : (وأفعاله أيضاً قائمة بأمر الله تعالى) إلخ ، أريد به أن أفعال المكلف من حيث كونها محفوظة بأمر الله أنها قائمة بأمر الله الذي هو فعله والذي هو مفعوله الأول من جهة ما تقوّمتِ به ذاته يعني ما تقوّمت به الأفعال مطلقاً أي صدوراً وإمداداً هو ما تقوّمت به الذات فنسبته إلى ما تقوّمت به الذات نسبة الأفعال إلى الذات .

فكما أن الأفعال صفات فعلية للذات كذلك الأمر الذي تقوّمت به الأفعال صفات فعلية كذلك لما تقوّمت به وهي نسبة الشعاع إلى المنير ورتبته في الشدة والضعف نسبة الواحد من السبعين وهو جار في الأفعال كجريان أصله في الذوات بمعنى أن الذوات قائمة بالأمر الفعلي قيام صدور وبالأمر المفعولي قياماً ركنياً كذلك الأفعال قائمة بالأمر الفعلي الذي تقوّمت به الذوات قيام صدور كأصله وبالأمر المفعولي الذي تقوّمت به الذوات قيام تحقق أي قياماً ركنياً ، ولكن لا يشتبه عليك من كلامنا أنا نريد أن الأفعال صادرة بأمر الله ليكون المكلف مجبوراً ، وإنما نريد به أن هذه هي الحافظة للأفعال وفاعلها المكلف كما قلنا سابقاً إن

الحافظ للصورة التي في المرآة من حيث التقوم الصدوري والركني هو مقابلة الشخص لها ومع هذا فهي أي المرآة مستقلة بتحريكها وتسكينها مما هو من جهتها كما أن أمر الله تعالى مستقل بتحريكها وتسكينها مما هو من جهته فأفعال المكلف الاختيارية مستندة في صدورها إليه على جهة الاستقلال لا إلى حافظها كما توهمه كثير من أهل المعرفة كالملا محسن(١) وشيخه الشيرازي(٢) وأضرابهما ، فإنهم كثيراً ما يقولون بأن المنزلة التي بين المنزلتين لا يعثر عليها أهل الظاهر ولا يعرفها إلّا أهل الكشف والشهود وربما بيّنوها فقال الملا محسن في كتابه قرة العيون ما معناه : (كما أن خلق الموصوفات متفرد به الباري سبحانه لا يشاركه في صنع شيء منها أحد من خلقه كذلك خلق الصفات والأفعال)(٣).

---

(١) أي الفيض الكاشاني ، هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة : كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

(٢) أي صدر الدين الشيرازي المشتهر بملا صدرا ، وقد تقدمت ترجمته .

(٣) في نسخة : والأفعال فإنها صفات .

ومعلوم عند كلّ من نظر عبارته وفهم مقصوده منها أنه قول المجبرة بأن أفعال العباد من الله إذ لا مؤثر في الوجود إلّا الله ونحن نتبرأ إلى الله من هذا القول بل أفعال العباد منهم وهم لها فاعلون كما قال سبحانه : ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾[١] وإن كنا نقول بأن الله حافظ للمكلف ولأفعاله بأمره بمعنى أنه تعالى سبق لهم[٢] ولأفعالهم بأمره تعالى إلّا أن أفعالهم صادرة منهم باختيارهم ، هم لها فاعلون على الاستقلال لم يشاركهم سبحانه فيها ولم يكن فاعلاً لها .

في صدور أفعال المكلف منه باختياره على الاستقلال

قلت : فالذات قامت بأمر الله وأفعالها قامت بنور ذلك الأمر واختلافها على حسب اختلاف مراتبه من ذلك الأمر ، فالأمر هو الحفيظ لها كما ذكرنا والفعل المحفوظ مستند إلى فاعله المحفوظ وحفظ الاستناد من ذلك الأمر أيضاً وإلى هذا المعنى الإشارة بقول الرضا عليه السلام : (هو المالك لما ملّكهم والقادر على ما أقدرهم عليه)[٣] .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٦٣ .

(٢) في نسخة : مبق لهم .

(٣) تحف العقول : ٢٣١، وبحار الأنوار : ١٠ / ١٣٧ ح ٣.

أقول : هذا الكلام تكرير لبيان كون أمر الله حافظاً للعبد المكلف ولأفعاله والمكلف المحفوظ بهذا الأمر فاعل لأفعاله المحفوظة بنور ذلك الأمر ، إذ لو لم يحفظ المكلف لم يكن شيئاً بحيث يفعل أو لا يفعل ولو لم يحفظ له فعله لما قدر أن يفعل شيئاً لم يحفظ له وعليه فقلت : الذات قامت بأمر الله الذي هو فعله قيام صدور وبأمر الله الذي هو مفعوله الأول قيام تحقق يعني قياماً ركنياً فكان أمر الله الفعلي حافظاً لها بالإيجاد وأمر الله المفعولي كان حافظاً لها بالإمداد ، فبالوجهين كانت شيئاً يصح التكليف لها ويقع منها الفعل وأفعالها أي أفعال الذات قامت بنور ذلك الأمر الذي قامت به الذات ، وذلك النور هو صفة الأمر لأنه أمر من أمر الله ، وهو شيئان كالأمر فصفة فعل الله قامت بها أفعال الذات قيام صدور وصفة مفعول الله قامت بها أفعال الذات قياماً ركنياً ، وهذا مثل ما في الذات .

واعلم أني قد كشفت لك من سرِّ القدر ما لا تجده في غير هذا الكتاب إلّا فيما كتبناه في غيره ، وذلك من أسرار أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام ، وليس من الانتحال ولا من التوهم والخيال ولم أبق عنك في هذا إلّا ما لا يسعه المقال(١) ، وأنا أوقفك على ما كتمته فإن وصلت إلى حدِّه من مصدره فهمته وإلّا

(١) في نسخة أخرى : لا يسعه في المقال .

فلا تفهمه وإياك أن تخرج عن حدود الحق الذي ذكرته وأنا أذكره .

وأقول : إن أفعال المكلف صورها صادرة منه باختياره على الاستقلال بالله أي أن موادها من أمر الله الفعلي إيجاداً ومن أمر الله المفعولي إمداداً فلا يشتبه عليك من قولي : إنها قائمة بصفة أمر الله الفعلي قيام صدور وبصفة أمر الله المفعولي قياماً ركنياً ، إن الأفعال ليست صادرة من المكلف على جهة الاستقلال بل هي صادرة من المكلف على الاستقلال إذ جميع صورها منه على النحو الذي ذكرناه وهذا الذي ذكرته لك هو الذي كتمته عنك فإن بيّنه لك صاحبه عليه السلام فأنت تفهمه ، وإن وقفت على حدود ظاهر كلامي فأنت تسلم ، مع أنك تفوز بالسهم الأوفى من النصيب بالمعلى والرقيب .

وإن أردت أن تتخطى إلى قعره بغير تبيين صاحبه عليه السلام : قلت بالإجبار وإن تنزلت عن حدود ظاهر كلامي قلت بالتفويض ، واعلم أن في قعره شمساً تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلّا الواحد الفرد فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن ستره وسرّه وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ومن منازعته[1] في سلطانه تعالى أن تنحّط عن حدود ظاهر كلامي فإنه قول بالتفويض فافهم .

---

(١) في نسخة : من نازعه .

وقولي : (وحفظ الاستناد من ذلك الأمر أيضاً) ، أريد به أن الاستناد نفسه أعني استناد الفعل إلى فاعله من ذلك الأمر لكنه من نوره فهو نور نوره وصفة صفته على ما قرّرنا وقول الرضا عليه السلام : (**هو المالك لما ملّكهم**)(١) ، نفى التفويض بقوله : (**هو المالك**) ونفى الجبر بقوله : (**لما ملّكهم**) ولم يقل لما ملكوا ، وكذا قوله عليه السلام : (**على ما أقدرهم عليه**)(٢) ، لأنه عليه السلام يشير إلى الدقيقة التي فيها أني كتمتها عنك وإن كنت بينتها لك ، لأن فهمك لها موقوف على تعليم العالم عليه السلام ، فتفهم هذا الكلام المكرر المردد والله سبحانه ولي التوفيق .

منشأ الاختيار عند العباد

قلت : والاختيار الذي في العبد نشأ من اقتضاء الضدّين الوجود والماهية لاقتضاء ما لهما كما مرّ ومن خلق الآلة الصالحة للمتضادين ومن الاستطاعة للفعل في الفعل ومن إمكانها قبل أي الصحة وهي التي يكون العبد بها متحركاً مستطيعاً للفعل ولأنه أثر المختار فتكون مختاراً قال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(٣) .

---

(١) فقه الرضا عليه السلام : ٤٠٨، والتوحيد : ٣٦١ ح ٧.
(٢) الاحتجاج : ٢ / ١٩٨، وبحار الأنوار : ٥ / ١٦ ح ٢٢.
(٣) سورة الإنسان ، الآية : ٢.

أقول : إنا قد أشرنا في الشرح إلى بيان منشأ الاختيار وهنا ذكرناه في المتن والضدّان هو الوجود والماهية والمكلف مركب منهما وكل منهما بسبب افتقاره يقتضي الميل إلى ما هو من نوعه للاستمداد منه ما له مما تقوّم به فاختيار المكلف نشأ من تركيبه من اقتضاء كلّ من الضدّين اللذين تركب منهما ومن الآلة المخلوقة(١) لتحصيل ما يقتضيه كلّ واحد من الضدّين حيث خلقت صالحة لكلّ من الميلين ، ومن الاستطاعة لما يشاء من أفعاله فإنه تعالى خلق فيه استطاعة إمكانية سابقة على الفعل جائزة الحصول له واستطاعة فعلية واجبة الحصول [له] مع الفعل لا قبله ولا بعده وهي المفسرة في الأخبار بأنها الصحة التي بها يكون العبد متحركاً مستطيعاً للفعل ومما دل عليه قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ أي مختاراً يعرف الخير والشرّ والجيد والرديء لأنه أثر فعل المختار والأثر يشابه صفة مؤثره التي هي منشأ الأثر .

قلت : فإذا فعل العبد المختار المتقوّم بأمر الله الفعل المتقوّم بنور أمر الله وهو قادر على تركه كان قد فعل فعله وحده بقدر الله ، لأن الفعل المحفوظ مستند إلى فاعله المحفوظ وحده فبقدر الله تقوّم الفاعل والفعل وتقوم إسناده إلى فاعله ، وإلى ذلك يشير تأويل

---

(١) في نسخة أخرى : المخلوقة له .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾[(١)] فقدر الله روح فعل العبد وفعل العبد جسده وهكذا في كلّ حركة وسكون وهو سرُّ الأمر بين الأمرين .

أقول : إذا فعل العبد المختار من جهة تركبه من شيئين متضادين لكلّ واحد منهما داع يبعثه على خلاف داعي الآخر كان قادراً على فعل ذلك الفعل المأمور به أو المنهي عنه بباعث أحد جزأي ذاته وعلى تركه بباعث الجزء الآخر وتركبه من الباعثين المختلفين هو منشأ الاختيار وقد قدمنا أن انبعاث الداعيين لا يكون دفعة لاستلزام ذلك انفكاك كلّ عن الآخر المستلزم لفناء المركب منهما وأنهما ينبعثان على التعاقب .

وقد سبق أن كلّ شيء فهو محفوظ فما دامت شيئيته محفوظة عليه فهو شيء تنسب إليه الأفعال وإلّا فليس شيئاً أصلاً وهو المراد بقولنا المتقوّم بأمر الله والفعل كذلك فإن فعله إنما هو شيء في نفسه ومنه إنما هو بحفظ نور أمر الله كما بيّنا سابقاً فالعبد فاعل وتارك بقدر الله أي بأمره الفعلي إيجاداً وبأمره المفعولي إمداداً وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[(٢)] هذا هو المراد في قولنا بأن العبد

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٤٦.
(٢) سورة الإنسان ، الآية : ٣٠.

مستقل بإيجاد فعله وإحداثه لأنه إنما كان فاعلاً بقدر من الله وهو الأمر الفعلي والأمر المفعولي وهو معنى قولنا : (فبقدر الله تقوّم الفاعل والفعل وتقوّم إسناده إلى فاعله) ومعنى الإشارة بتأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ أن الظل مددناه وقبضناه بعد مدة[1] قبضاً يسيراً بالتدريج مسائرين له من المساءرة بمعنى المصاحبة يعني إنا قبضناه ولم نخله من أيدينا وهو من ظاهر الظاهر والظل آية فعل المكلف فإنه وإن كان بفعل المكلف مستقلاً به لكنا حافظون له بالإيجاد والإمداد ليتمكن المكلف من إحداثه وإلّا لم يكن شيئاً فلا يحدث المكلف ما ليس بشيء .

فقولي : (فقدر الله روح فعل العبد وفعل العبد جسده) ، أريد به ما ذكره علي بن الحسين عليهما السلام : (**من أن القدر والعمل كالروح والجسد فكما أن الروح بدون الجسد لا تحس والجسد بدون الروح لا حراك فيها كذلك القدر والعمل ، فلو لم يكن القدر بموافقة من العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئاً لا يحس ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يتم ولم يمض ولله فيه العون لعباده الصالحين**)[2] انتهى ، نقلته

---

(١) في نسخة : مدة .

(٢) عن سفيان بن عيينة عن الزهري قال : قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام : جعلني الله فداك أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل ؟ فقال عليه السلام : (**إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا تحس والجسد** =

بالمعنى أو بما يقرب من اللفظ والمعنى في تمثيله عليه السلام بالروح والجسد ما ذكرناه مكرراً من أن كلّ شيء فإيجاده من فعل الله وإمداده من أمر الله وأن المكلف وأفعاله من هذه المقولة إلّا أن صورة الأفعال هو محدثها باختياره كما مثّلنا سابقاً بالصورة التي في المرآة من أن مادتها من صورة المقابل القائمة به أعني ظلها المنفصل القائم بها قيام صدور والقائم بالمرآة قيام عروض وحلول والقائم بصقالتها وهيئتها قيام ظهور وصورة الصورة من صقالة المرآة وهيئتها .

فما من صورة المقابل حافظ للصورة في المرآة عن التهافت والفناء والاضمحلال ، لأن صورة المقابل المتصلة به حافظة للصورة في المرآة بظلها الذي هو مادة الصورة في المرآة وهو

= بغير روح صورة لا حراك بها فإذا اجتمعا قويا وصلحا كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئاً لا يحس ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم ولكنهما باجتماعهما قويا ولله فيه العون لعباده الصالحين) . ثم قال عليه السلام : (ألا إن من أجور الناس من رأى جَورَهُ عدلاً وعدل المهتدي جوراً ، ألا إن للعبد أربعة أعين عينان يبصر بهما أمر آخرته وعينان يبصر بهما أمر دنياه فإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما العيب وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه ثم التفت إلى السائل عن القدر فقال : هذا منه هذا منه) .

توحيد الصدوق : ٣٦٦ ح ٤ باب (٦٠) القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والآجال ، ومختصر بصائر الدرجات للحلي : ١٣٧ .

بمنزلة قدر الله في فعل المكلف وما من المرآة من صقالة واعتدال واعوجاج أو كبر أو صغر أو بياض أو سواد أو طول أو عرض هو صورة الصورة التي فيها من المقابلة وذلك شيء أحدثته المرآة فهي مستقلة بإحداثه[1] أعني صورة الصورة كما أنها مستقلة بتحريك الصورة المحفوظة فكذلك المكلف مستقل بإحداث صورة فعله وبتحريك مجموع الفعل أعني ما من القدر من مادته وما منه من صورته كما مرّ ، وكل حركة وسكون فقدر الله حافظ له كما قلنا من أنه روحه والحركة والسكون جسده فافهم فإن هذا هو سرُّ الأمر بين الأمرين ومن هنا :

في أن تقوّم حسنات العبد وطاعاته بقدر الله

قلت : ومثال ذلك التقوم كما تقوّمت الاستضاءة في الجدار بنور الشمس فالأمر وجه الشمس والنور الذي هو الماء نور الشمس المنبث والاستضاءة في الجدار وجود الإنسان والجدار الذي أشرنا إليه وهو نفس الاستضاءة من حيث هي هي ماهيته وفعله المنسوب إليه هو مثل الانعكاس عن الاستضاءة وهو نوعان فما انعكس عنها من جهة نور الشمس فهو خير ونور وحسنة وطاعة ، وما انعكس عنها من جهة نفسها فهو شرّ وظلمة وسيئة ومعصية .

---

(١) في نسخة أخرى : به إحداثه .

فالنوع الأول : فعل العقل عن الوجود . والثاني : فعل النفس عن الماهية فتفهم .

أقول : قولي : (ومثال ذلك التقوّم) ، إلخ ، مبني على قاعدتي من تكريري لما أذكره فإني أكرره مراراً كثيرة ليتفهمه الطالب بكثرة ذكره مرة بعد أخرى وذلك لعدم أنس الأذهان بمثل هذه المعاني وبُعدها عن مدارك الأفهام حيث لم تذكر في كتاب ولم تجر في خطاب ، وإنما أشارت إليها الأخبار إشارة خفية لأولي الأبصار ، وذلك أن تقوّم حسنات العبد وطاعاته بقدر الله مع أنها منسوبة إلى العبد وحادثة بفعله كتقوّم الاستضاءة التي ظهرت في وجه الجدار بنور الشمس لأنها هي انعكاس نور الشمس إلّا أنها لا تظهر إلّا بالجدار فكان الجدار هو المحدث لها في الظهور وإن كانت من نور الشمس لأنها قائمة بنورها الفعلي قيام صدور وبنورها المفعولي قياماً ركنياً لكنها لا تتحقق في الأعيان الكونية إلّا بالجدار كذلك الطاعة ، فإنها وإن كانت من نور الوجود الأولي المفعولي وبنور الوجود الأولي الفعلي كما مرّ إلّا أنها لا تتحقق في رتبة كونها إلّا بفعل العبد ، وكذلك تقوّم سيئاته ومعاصيه بقدر الله العرضي المعبر عنه بالتخلية والخذلان في ظاهر الشريعة ، فأمر الله الذي تقوّمت به الطاعة أولاً وبالذات مثله وجه الشمس وهو المرئي المضيء ، لأنه بمنزلة الأمر الفعلي والأمر الذي منه مادة الطاعة أعني النور الذي هو الماء يعني الذي جعل منه كلّ شيء حي أعني

المفعول الأولي[١] مثله نور الشمس المنبث من فعلها ، وهو الذي كانت منه استضاءة الجدار بالانعكاس ، والاستضاءة في الجدار مثل وجود الإنسان في تكوينه والجدار نعني به نفس الاستضاءة التي هي وجود المكلف وهذه النفس هي ماهية المكلف ، لأن الماهية نفس الوجود من حيث هو هو وفعل المكلف للطاعة المنسوب إليه على الاستقلال مثل انعكاس النور عن الاستضاءة التي هي مثل الوجود والمنعكس عنها هو النور الممازج للظل هذا إذا جعلت الاستضاءة مثلاً للوجود ولو جعلتها مثلاً للحسنة ، كان الظل مثلاً للسيئة فما انعكس عن الاستضاءة أن جعلتها مثلاً للوجود من جهة نور الشمس مثل للطاعة الصادرة عن دواعي العقل بطلب الوجود وهو خير ونور وحسنة وطاعة ، وما انعكس عن الاستضاءة أن جعلتها مثلاً للوجود أيضاً من جهة نفسها لا من جهة نور الشمس فهو مثل للمعصية الصادرة عن دواعي النفس الأمارة بطلب الماهية وهو شرّ وظلمة ومعصية[٢] .

فالنوع الأول : أعني الخير والنور والحسنة والطاعة فعل العبد من جهة دواعي عقله والعقل انبعث إلى هذه الخيرات من جهة ميل الوجود إليها وطلبه من العقل أن يسخّر الأركان في تحصيلها وكل ذلك بمعونة[٣] من الله بمدده من قضاء الخير .

(١) في نسخة أخرى : الأول .
(٢) في نسخة أخرى : وظلمة وسيئة .
(٣) في نسخة أخرى : بمؤونة .

والنوع الثاني : أعني الشر والظلمة والسيئة والمعصية فعل العبد من جهة دواعي نفسه الأمارة وهي انبعثت إلى هذه الشرور من جهة ميل الماهية إليها وطلبها من النفس أن تسخّر الأركان في تحصيل هذه الخبائث وكل ذلك بتخلية وخذلان من الله وذلك مقتضى قضاء الله بسوء فعل العبد وخبث نيته وما ربك بظلام للعبيد .

بيان أن الماهية موجودة بوجود الوجود

قلت : واعلم أن الماهية موجودة بوجود الوجود ما دام موجوداً وإذا لم توجد لم يوجد الوجود لأنها شرط لإيجاده وتمام لقابليته للإيجاد كالعكس ، وإنما قالوا إنها عدم ما شمّت رائحة الوجود لأنهم يريدون أنها لم توجد أولاً وبالذات قطّ لا أنها لم توجد أصلاً بل هي موجودة بفاضل إيجاد الوجود كما قلنا آنفاً وذلك الفاضل إذا نسب إلى إيجاد الوجود كان نسبة الواحد من سبعين كما هو شأن الآثار والصفات هذا في الظاهر .

أقول : إن[1] الماهية موجودة بوجود الوجود ما دام موجوداً بها لأنها هي هويته من نفسه والشيء لا يكون شيئاً إلّا بهويته فهي دعامته التي لا يتقوّم إلّا بها وهي كذلك بمعنى أنها إذا كانت هي

(١) في نسخة أخرى : اعلم أن .

هوية الوجود لا تتحقق بدونه لأنه إذا لم يكن فلا هوية فهو شرط كونها وتحققها وهي شرط ظهوره وقابليته .

وأما قولهم : إنها ما شمت رائحة الوجود فهي عبارة متلقاة من كلام المتقدمين وهم يريدون بها أنها موجودة ثانياً وبالعرض لأنها لم تكن مقصودة لنفسها ، وإنما طلبت لتوقف ظهور المقصود عليها أعني الوجود الذي هو المراد أولاً وبالذات إلّا أن المتأخرين من الحكماء كثيراً منهم لم يفهموا مرادهم من ذلك لأنهم غلطوا في كثير من مرادات المتقدمين ، وكانت الحكمة محفوظة بالوحي النازل على الأنبياء صلوات الله عليهم وتلقّاها الحكماء المتقدمون عنهم فلما انفردوا عن الأخذ منهم كما جرى للمشائين والرواقيين فإنهم ربما فهموا من تلقاء أنفسهم أشياء لا تجري على قواعد وحي الله سبحانه ، وخصوصاً حكماء الإسلام لتلك العلة ولأن المترجمين لكلامهم المكتوب في كتبهم باليونانية ربما ترجموا كلّ لفظة على حدة فيقع الغلط والخطأ إذ قد يكون المعنى لا يتأدى إلّا بالمجموع ، كما لو ترجمت قول الفارسي قَسَمْ بخُورْ فقلت : قسم بمعنى اليمين وبخور بمعنى كلّ فإنه يبطل المعنى ويكون غير مراد الفارسي ، لأن مراده أحلف وعلى ترجمتك يكون المعنى كلّ اليمين فلما كثر الخطأ من اجتهاد الحكماء من أنفسهم من غير أخذه من قواعد الوحي كما نزل بل ربما فرعوا عليه ما لا يدخل تحت قواعده ومن الخطأ في الترجمة ومن تجويز سوء الفهم اختلف رأي المتقدمين مع المتأخرين .

وبرهان هذا ما نص عليه حفاظ الشريعة محمد وآله عليهم السلام ، فإنهم قد بيّنوا عن الله تعالى دقيق الحكمة وجليها[١] بما يطابق العقول ويطابق قواعد التوحيد ويطابق القرآن المجيد ، وهؤلاء المختلفون في الماهيات فقالوا فيها بالأقوال المتعددة .

الأقوال في الماهية

فمنهم من قال : إنها مجعولة مطلقاً .

وبعضهم لم يقل بل قال بعدم كونها مجعولة .

وبعضهم فرّق بين مرتبتها في الأعيان ومرتبتها في العين فقال به في الثانية دون الأولى .

وبعضهم قال : جعله تعالى متعلقاً أولاً وبالذات بها وبالوجود ثانياً وبالعرض فجعل الوجود تابعاً لجعل الماهية على معنى أنه لا يحتاج لجعل جديد .

وبعضهم على العكس من ذلك فجعل الماهية تابعة لجعل الوجود على أنها لا يحتاج[٢] إلى جعل جديد .

وبعضهم قال : جعلها[٣] بمعنى أنها فائضة من الله سبحانه في الأعيان دون العين .

(١) في نسخة أخرى : جليلها .
(٢) في نسخة أخرى : لا تحتاج .
(٣) في نسخة أخرى : لجعلها .

وبعضهم قال : إن الجعل تعلق بها وأطلق .

وبعضهم قال : تعلق الجعل بها بمعنى أنها فائضة منه سبحانه بتجلياته الثانية بصورة شؤونه المستجنة في غيب هوية ذاته بلا تخلل إرادة واختيار بل بالإيجاب المحض .

وبعضهم قال : إنها ليست مجعولة بل هي صور علمية للأسماء الإلهية التي لا تأخر لها عن الحق إلّا بالذات لا بالزمان أي بالوقت بمعنى أن ظهورها مساوق لأزليته وإن كانت بعده في الرتبة فهي أزلية أبدية غير متغيرة ولا متبدلة .

وبعضهم قال : والمراد بالإفاضة التأخر بحسب الذات لا غير .

وبعضهم قال بجعل استعداداتها أيضاً وأطلق .

وبعضهم قال بمعنى أنها فائضة من الحق سبحانه إلخ ، من غير طلب منها بلسان حالها إليه .

وبعضهم قال بطلب منها بلسان حالها إليه .

وبعضهم لم يقل بإفاضتها بل قال بعدمه .

وبعضهم قال : إنها من مقتضياتها ومقتضى الذات لا يتخلف عنها ، إلى غير ذلك ما تضمنته[1] تلك العبارات عنهم وهذه

---

(١) في نسخة أخرى : إلى غيرها مما تضمنته .

الأقوال الخمسة عشر ربما تداخل بعضها في بعض ومنشأ تكثرها ما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**العلم نقطة كثَّرها الجاهلون**)[١] أو (**الجهال**) على اختلاف الروايتين .

وبالجملة : الماهية إن كانت شيئاً فالله سبحانه خالقها ، وإلّا فهي تكون قديمة غيره تعالى ، أو تكون هي الله إذ الشيء لا يخرج عن ذلك ، فإن كانت مخلوقة تم المطلوب ، وإن كانت قديمة غيره تعددت القدماء ، وإن كانت هي الله العياذ بالله لم يجز أن تكون ماهية لزيد وعمرو ، إلّا على الآراء الباطلة المبنية على القول بوحدة الوجود التي ثبت الإجماع على كفر قائلها وإن لم تكن شيئاً فلا معنى للإسناد إليها بجعل أو عدمه .

رأي الشيخ الأوحد في حقيقة الماهية

والحق أنها شيء محدث خلقها الله من نفس الوجود من حيث نفسه فكلّ محدث مركب من وجود وماهية أي مِن مادة وصورة وهو قول الحكماء الإلهيين الأولين كلّ ممكن زوج تركيبي يعني أنّ كلّ ممكن مركب من شيئين حادثين ، وهذا هو الذي يجري على قواعد الإسلام وضوابط التوحيد وبراهين العقول وتبيان الوحي .

وقولي : (إنها موجودة بفاضل إيجاد الوجود) ، قد تقدّم

(١) عوالي اللآلي للأحسائي : ٤ / ١٢٩ ح ٢٢٣، وأعيان الشيعة : ٢ / ٥٩٢، وشرح إحقاق الحق : ٣٢ / ٥١.

الكلام في بيانه وأن المراد بهذا الفاضل هو نور الفعل المحدث للوجود وهذا النور فعل مشتق من فعل الله الذي صدر عنه الوجود فراجع هناك .

وقولي : (وذلك الفاضل إذا نسب إلى إيجاد الوجود كان نسبة الواحد من سبعين كما هو شأن الآثار والصفات) إذا نسبت إلى المؤثرات وإلى الموصوفات ، وقد أشرنا في تأليفاتنا إلى وجه ذلك العدد من أن كلّ شيء فهو مربع الكيفيات مثلث الكيان لأنه حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة وجسم ونفس وروح فكلّ شيء جوهر أو موصوف ذو سبعة فإذا نسب إلى الصفة والعرض(١) اللذين في الرتبة الثانية كان سبعين ، لأن السبعة في المرتبة الثانية سبعون والصفة والأثر واحد منها لأنه عرض ولو كان من نوع موصوفه كان واحداً من عشرة فافهم .

في أن الماهية في نفس الأمر موجودة بوجود الآخر

قلت : وأما في الحقيقة المطابقة للواقع فهي موجودة بوجود آخر مستقل في نفسه وإن كان مترتباً على الأول فإن نسبة وجوده إلى الأول كنسبة وجود الانكسار إلى وجود الكسر ، وذلك لأن الأول من تمام قابلية وجودها للإيجاد ، فالوجود في الأول : موجود بالإيجاد الذي هو الفعل أوجده بنفسه لا بوجود مغاير لنفسه .

---

(١) في نسخة أخرى : إلى الجوهر والعرض .

أقول : إن الماهية في الواقع وهو الذي خلق الله عليه خلقه وفي نفس الأمر وهو الذي قام عليه الدليل القطعي موجودة بوجود الآخر أي إيجاد آخر غير ما به إيجاد الوجود وإن كان مترتباً عليه لأنه من نوره وشعاعه كما تقدم فإن نسبة إيجادها إلى إيجاد الوجود كنسبتها إليه وهو نسبة وجود الانكسار إلى وجود الكسر ، وذلك لأن وجود الوجود من تمام قابلية الماهية للإيجاد فهو لها كالجوهر للعرض فالوجود أحدثه[١] الفعل بنفسه لا بوجود آخر لأنه هو المادة والمادة لم تكن موجودة بمادة أخرى بل بنفسها بخلاف الماهية فإنها موجودة بالوجود ، هكذا قالوا وأنا أبيّن لك ما هو الواقع وهو أن الماهية موجودة بنفسها كما في الوجود لكن لمّا كان الوجود في الحقيقة هو المادة كان مادتها نفسها فيكون وجودها مادتها وهي نفسها وهي ماهيته فإن قلت : إنها موجودة بالوجود فهو صحيح بمعنى أن مادتها موجودة به وهي ماهيته وإن قلت : إنها موجودة بنفسها كما في الوجود فهو صحيح بمعنى أن ماهيتها بنفسها .

فقولي : فالوجود في الأول أي في الوجود وهو نفسه لأنه هو المادة وهو محدث بالإيجاد الذي هو فعل الله والوجود في الثاني كما يأتي أي في الماهية وهو نفسها .

---

(١) في نسخة أخرى : أحداثه .

قلت : إلاّ أن إيجاده بنفسه إدارته على نفسه كرة تدور على كرة تدور على نقطة هي الحركة الكونية من الفعل ، والكرة الظاهرة تدور على خلاف التوالي والباطنة على التوالي .
وفي الثاني : موجود بنور إيجاد الأول من الفعل وهو نقطة تدور نفس الماهية عليها على خلاف التوالي والماهية تدور على نفسها على خلاف هيئتها وخلاف التوالي وعلى الوجود في جهة غير جهته .

أقول : يعني أنّ إيجاده بنفسه عبارة عن إدارته في إحداثه على نفسه كرة تدور في استمدادها من علتها على كرة هي علتها وهذه العلة في استمدادها من علتها تدور على علتها التي هي علّة العلة وهي نقطة وهي الحركة الكونية أي التكوينية من الفعل وهي الفعل الخاص بها من الفعل الكلي والكرة الظاهرة أعني الوجود يدور على التوالي من جهة كونه مطيعاً في رتبة المعلولية وعلى خلاف التوالي بالنسبة إلى رتبة العلة ، لأن العلة تدور بمعلولها على التوالي والكرة الباطنة أي العلة وهي نفس الوجود تدور على التوالي بالنسبة إلى معلولها وهي الكرة الظاهرة والكرة الباطنة بالنسبة إلى علتها أعني الحركة التكوينية تدور في استمدادها منها على خلاف التوالي لأنها مفعول والحركة الكونية فاعل .

وأما من حيث المطابقة أي مطابقة المعلول لعلته ، فالظاهرة مطابقة للباطنة والباطنة مطابقة للحركة التكوينية وكلها جارية على التوالي فخلاف التوالي فيهما أعني الظاهرة والباطنة إضافي ، والمراد بالتوالي ما جرى على مقتضى طبيعة مؤثره فإنه حينئذ جار على النظام الطبيعي ، ولا ريب أن الوجود ونفسه الاعتبارية اللذان ليسا شيئاً[1] غيره والحركة الإيجادية كلها جارية على كمال النظم الطبيعي .

وقولي : (وفي الثاني) أي وفي الماهية إنها موجودة بنور إيجاد الأول أي الوجود من الفعل ، وبهذا النور تدور نفس الماهية الاعتبارية التي هي الماهية في نفس الأمر عليه على خلاف التوالي لأنها على خلاف مقتضى ذلك النور فجرت على غير النظم الطبيعي والماهية في استمدادها من نفسها تدور على خلاف التوالي وعلى خلاف هيئتها أي هيئة نفسها فتخالف هيئتها وتخالف علتها وتخالف التوالي وتدور على الوجود في جهة غير جهته لأنها خلقت من نفسه من حيث النفس لا من حيث جهته التي هي جهة إلى فعل الله فاستدارتها معوجة لا تنطبق على شيء من الحق حتى الفعل الذي حدثت به ، لأن استدارته أي الفعل على إيجاد المستقيم والمعوج مستقيمة ، فإذا دار على المستقيم

---

(١) في نسخة أخرى : الاعتبارية ليس شيء .

كالوجود كانت استدارته عليه مستقيمة لانطباقها على مقتضى الوجود ، وإذا دار على المعوج كالماهية كانت استدارته عليها مستقيمة لانطباقها على ما اقتضته من الاعوجاج من غير زيادة ولا نقيصة بل لو جرت على خلاف مقتضى الماهية بحيث تكون جارية على مقتضى نفس الفعل أي ذاته حال إيجاد الماهية لكانت استدارة الفعل في نفسها معوجة حيث تعلقت على خلاف ما تعلقت به .

ترابط الماهية والوجود

قلت : فحصل من الوجود والماهية كرتان متداخلتان في الأجزاء متمازجتين في الذرات متقابلتان في السطوح مختلفتان في الدوران وتمازجهما من غير استهلاك شيء من أجزائهما وذراتهما في آخر ولا استبانة شيء من شيء إلاّ في الاعتبار والأفعال والميول لاختلاف الشهوتين لتعاند الذاتين .

أقول : قد تقدّم فيما ذكرنا ما يدل على هذا الكلام فتمامه أن كلاًّ من الوجود والماهية كرة ولمّا كان الشيء مركباً منهما وكان وجود كلّ واحد منهما شرطاً لتحقق الآخر وظهوره كانا متداخلين في الأجزاء لتحقق الوحدة في المركب منهما ، وإن كانت كلّ واحدة من هاتين الكرتين متمازجتين في الذرات ، لأن كلّ واحدة

قد ملأت محل ظهورها فإذا ملأت واحدة ذلك المحل في جميع ذرات أجزائه والمفروض أنها جزء شيء واحد وجب أن تكون الكرة الثانية تحلّ في ذلك المحل وتملأه كما تملأه على فرض الاستقلال فيجب أن تتداخل أجزاؤهما ، لأن كلّ واحدة قد ملأت جميع أجزاء ذلك المكان ، ولما كانتا مختلفتين متضادتين في المبدأ والكنه كانت أجزاء كلّ واحدة منهما متوجهة إلى مبدئهما كالسراج إذا شعلته في الشمس .

فإن المحل الذي هو الهواء من الكرة البخارية كانت جميع أجزائه مملوءة من نور الشمس بحيث لم يبق جزء منه إلّا وهو مشغولٌ بشعاع الشمس ومملوءٌ من نور السراج بحيث لم يبق جزء منه إلّا وهو مشغولٌ بنور السراج إلّا أن جميع أجزاء نور الشمس متوجهة إلى جرم الشمس المنير وجميع أجزاء نور السراج متوجهة إلى جرم السراج .

ولا بدّ أن تكونا متقابلتي السطوح مختلفتين في الدوران ، لأن هاتين الصفتين من لوازم التضاد ، ولا بدّ أن تكونا متمازجتين في الأجزاء ، لأن ذلك من لوازم وحدة المركب منهما وأن يكون التمازج من غير استهلاك شيء منهما في آخر ، لأن ذلك من لوازم تباين المبدأ وتمايزه إذا كانت الأجزاء قائمة بذلك المبدأ قيام صدور وأن يكون ذلك التمازج من غير استبانة شيء من شيء ولا استهلاك شيء من شيء ، لأن ذلك من لوازم ملء المحل

بكلّ واحد من شيئين متبايني المبدأ بحيث قد قام كلّ واحد بمبدئه قيام صدور .

وقولي : (إلّا في الاعتبار) يعني عند ملاحظة كون كلّ واحد قائماً بمبدئه قيام صدور ، وفي الأفعال فإنها تصدر متميزة بحيث إن كلّ فعل لا يصح أن يصدر عن الآخر فيكون(١) مستبينة بعضها من بعض وفي الميول جمع ميل فإنها تتمايز لتمايز مبدئها ، فإن الوجود خير ويميل إلى كل خير والماهية شر وتميل إلى كلّ شرّ ، لأن كلّ واحد منهما شهوته فيما هو من نوعه فيميل إليه فتِختلف الميول لاختلاف الشهوتين ولهذا قلت لتعاند الذاتين أي تضادهما .

في أن النور للقرب من الوجود والظلمة للقرب من الماهية

قلت : وكلما قرب من النقطة الكونية كان أنور لغلبة الوجود ، وكلما بعُد كان أشد ظلمة لغلبة الماهية حتى تنتهي الشدة والضعف إلى نقطة الحركة الكونية وإلى محدب الكرة ، فتنتهي الظلمة في جهة الحركة الكونية إلى نقطة عند وجه الحركة الكونية ، فتبعد منفرجة على هيئة مخروط قاعدته محدب الكرة الظاهرة ، وينتهي

(١) في نسخة أخرى : فتكون .

النور في جهة محدب الكرة إلى نقطة على هيئة مخروط قاعدته عند وجه الحركة الكونية .

أقول : إن الوجود الذي هو النور كرة والماهية التي هي الظلمة كرة ، وكل منهما بنسبة بعض أجزائهما إلى بعض في الشدة والضعف على هيئة مخروط والوجود قاعدة مخروطته عند وجه علته أعني الحركة الكونية ، فكلما قرب من أجزائه من الحركة الكونية كان أشد نوراً لغلبة الوجود أعني الإفاضة من الفعل الذي هو الحركة الكونية ، ونعني بها الحركة التكوينية كما مرّ ، وكلما بعُد عنها كان أضعف حتى ينتهي إلى نقطة وهذا في الشدة والضعف لا في الحجم بل الأمر في الحجم على العكس في الظاهر ، ومثاله مثل أشعة السراج فإنه نور السراج كهيئة مخروط قاعدته عند شعلة السراج وكلما بعُد ضعف حتى ينتهي إلى نقطة فيعدم وفي الظاهر على العكس فإن التي عند السراج هي الصغيرة الحجم ، وكلما بعُدت الأشعة اتسعت دائرة كرتها وفي الحقيقة لو جمعت آخره وهو أعظم دائرة كرته وأوسعها حتى يكون مساوياً للأشعة التي عند شعلة السراج في شدة الإضاءة كان جميع ما جمعت نقطة لا تنقسم بالنسبة إلى ما عند الشعلة فكانت بهيئة مخروط قاعدته عند شعلة السراج ورأسه المنتهي إلى نقطة هي ما تنتهي إليه في جهة البعد والماهية كهيئة مخروط في الشدة

والضعف ، كما ذكرنا في الوجود ، وفي مثاله من أشعة السراج لا في الحجم الظاهر لأنهما في الظاهر كرتان متداخلتان ، وأما في الشدة والضعف فهما مخروطان متقابلان فمخروط الوجود والنور قاعدته عند مبدئه وينتهي إلى نقطة هي غاية بعده عن المبدأ ومخروط الماهية والظلمة قاعدته عند غاية بعد الوجود والنور عن المبدأ ورأسه ينتهي إلى نقطة هي غاية قربه من مبدأ الوجود والنور فمخروط النور ينتهي ضعفه إلى محدّب كرة الظلمة التي هي قاعدة مخروطها بنقطة ومخروط الظلمة ينتهي ضعفه إلى محدِّب كرة النور التي هي قاعدة مخروطه بنقطة ومبدأ الوجود هو الحركة التكوينية .

فقولي : (إلى نقطة الحركة الكونية وإلى محدّب الكرة) ، أريد به أن الماهية على هيئة مخروط ينتهي رأسه إلى نقطة عند نقطة الحركة الكونية وإن كانت بالعرض وإلى محدّب الكرة أي كرة الوجود أعني قاعدة مخروطه ، وكل ذلك في الشدة والضعف لا في الحجم إذ هما في الحجم متساويان ، لأن صورتهما عند اجتماعهما في الشيء المركب منهما صورة كرة واحدة فأقوى النور في تلك الكرة غاية باطنها التي هي عند الحركة التكوينية ، لأن المحدّب كرة مجوفة ونقطة قطبه وسطحه وهو عند علته التي هي الحركة التكوينية ، وكلما بعُد النور عن باطنها ضعف حتى ينتهي إلى محدب الكرة بنقطة منه وأضعف الظلمة نقطة منها عند

أقوى النور[١] يتقوّم بها ، وكلما بعُدت قويت بعكس النور حتى تنتهي إلى ظاهر الكرة ومحدبها فتقوى الظلمة وهو قولي قاعدته محدب الكرة الظاهرة .

منشأ الطاعة والمعصية ضمن حركة الوجود والماهية

قلت : فتدور الكرتان الممتزجتان على وجه الحركة الكونية في الخلق تحت الحجاب الأحمر بثلاث حركات أبداً : حركة الوجود الذاتية على التوالي ، وحركة الماهية الذاتية على خلاف التوالي ، والحركة الثالثة عرضية ، ففي حال الطاعة تدور الماهية بالحركة العرضية على التوالي وبحركتها الذاتية على خلاف التوالي ، وفي حال المعصية يدور الوجود بالحركة العرضية على خلاف التوالي وبحركته الذاتية على التوالي .

أقول : الكرتان الممتزجتان يعني في تركيب المكلف مثلاً وهما الوجود والماهية وهما يدوران على الحركة الكونية أعني علتها[٢] في الخلق أي في قابليتهما للفعل الإيجادي وهو الخلق الثاني تحت الحجاب الأحمر وهو الروح الذي على ملائكة الحجب وهو ركن العرش الأيسر الأسفل أي الظاهر ، وهو يؤدي

(١) في نسخة أخرى : النور الذي .
(٢) في نسخة أخرى : علتهما .

إلى جبرائيل وجبرائيل يخدمه فيما يتلقى منه في جميع إيجادات الغيب والشهادة بثلاث حركات أبداً ، يعني أنّ الكرتين أعني وجود الشيء وماهيته يقبلان الإمدادات والتكونات من الحركة الكونية بواسطة حاملها وهو جبرائيل عليه السلام وأعوانه بثلاث حركات ، وهي بيان لكيفية القبول من العلة فإنهما في القبول منهما يدوران عليها بثلاث حركات دائماً في كلّ تكوّن ، سواء كان في إيجاد ذات أو صفة لازمة أو غير لازمة كالأعمال والأقوال :

حركات الوجود والماهية

١ ـ حركة الوجود الذاتية

الأولى : حركة الوجود الذاتية على التوالي في تكون سائر الخيرات من الأفعال والأقوال والاعتقادات وغيرهما[١] من الذوات التي هي ثمرتها .

٢ ـ حركة الماهية حينئذ الذاتية

والثانية : حركة الماهية حينئذ الذاتية على خلاف التوالي كما هو مقتضى ذاتها .

٣ ـ الحركة العرضية

والثالثة : حركة عرضية ففي الخيرات تكون العرضية من

(١) في نسخة أخرى : غيرها .

الماهية لأنها لذاتها لا تدور على الخيرات ، ولكن إذا ترجح جانب الوجود في طلبه للخير وجب عليها متابعته بالعرض إذ لو لم تتبعه انفك التركيب الذي به تقوّم المكلف ، وإذا انفك بطل المركب أعني المكلف ويفنى ويضمحل وإذا ترجّح جانب الماهية في طلبها للشرور والمعاصي وجب على الوجود متابعتها بالعرض إذ لو لم يتبعها انفك التركيب كما ذكرنا .

ففي حال الطاعة تدور الماهية عليها بالعرض على التوالي وتدور بحركتها الذاتية على خلاف التوالي على نفسها بمعنى أنها غير قابلة للطاعة برضاها بل مكرهة أكرهها على الطاعة الوجود وجنوده من العقل والملائكة فتابعته على الطاعة بالعرض وفي حال المعصية يدور الوجود عليها بالعرض على خلاف التوالي ويدور بحركته الذاتية على التوالي على ربّه أي على أمر ربّه بمعنى أنه غير قابل للمعصية برضاه ، وإنما أكرهته على المعصية الماهيةُ وجنودها من النفس الأمارة والشياطين فتابعها على المعصية بالعرض ولا يزال يقوى الغالب منهما حتى ينعدم اعتبار المغلوب ، فإذا استقرّ على ذلك تغيّرت حقيقته فكان أخاً للغالب يدور معه حيث ما دار ، فإن كان الغالب الوجود كانت الماهية أختاً له تحب ما يحب وتكره ما يكره فحينئذ تدور على التوالي برضاها وإن كان الغالب هو الماهية كان الوجود أخاً لها يحب ما تحب من المعاصي ويكره ما تكره من الطاعات .

فحينئذ يدور على خلاف التوالي بمحبته ورضاه فتكون الماهية في الأول نوراً ليس فيها من الظلمة إلّا ما يمسك حقيقتها وإليه الإشارة بقول الصادق عليه السلام : على ما رواه في الكافي(١) في حديث معراج النبي صلّى الله عليه وآله قال : (**فكان بينهما حجاب يتلألأ بخفق ولا أعلمه إلّا وقد قال : زبرجد**)(٢) .

---

(١) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور .
كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .
توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٢) قال أبو بصير لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك كم عُرج برسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ فقال : (**مرتين فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال له : مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك قط ولا نبي ، إن ربك يصلّي فقال : يا جبرئيل وكيف يصلّي ؟ قال : يقول : سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح ، سبقت رحمتي غضبي ، فقال : اللهم عفوك عفوك ، قال : وكان كما قال الله : ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم : ٩] ، فقال له أبو بصير : جعلت فداك ما قاب قوسين أو أدنى ؟ قال : ما بين سيتها إلى رأسها ، فقال : كان بينهما حجاب يتلألأ يخفق ، ولا أعلمه إلّا وقد قال : زبرجد ، فنظر في مثل سم الإبرة إلى ما شاء الله من نور العظمة ، فقال الله تبارك وتعالى : يا محمد ، قال : لبيك ربي قال : من لأمتك من بعدك ؟ قال : الله أعلم قال : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغرّ المحجلين ، قال : ثم قال أبو عبد الله لأبي بصير : يا أبا محمد والله ما جاءت ولاية علي عليه السلام من الأرض ولكن جاءت من السماء مشافهة**) . انظر الكافي ١ / ٤٤٣ ح ١٣، والتفسير الصافي : ٥ / ٨٧، و٧ / ٢٦.

وهذا الحجاب هو ما بقي فيه من الماهية فإنها لما استولت عليها الأنوار تلاشت ظلمتها حتى لم يبق منها إلّا كالزرقة السماوية وذلك حين استولى النور على ظلمة ذاتها بقي من الظلمة ما يمسك كنهها فكان من بقية الظلمة مع النور زرقة عبَّر عن قلة الظلمة بقوله عليه السلام : (**يتلألأ بخفق**) أي باضطراب يكاد يفنى ويكون الوجود في الثاني ظلمة ليس فيه من النور إلّا ما يمسك كنهه ، ويأتي تتمة هذا الكلام .

قلت : فإذا تتابعت الطاعات ضعفت حركة الماهية الذاتية وأبطأت وأسرعت عرضيتها وإذا تتابعت المعاصي ضعفت حركة الوجود الذاتية وأبطأت وأسرعت عرضيته ، [ولأجل أن] الحركة الذاتية لا تتبع الذاتية الأخرى أبداً وإنما تتبع بالعرضية ثقلت الطاعة والمعصية لحصول التعاكس حتى يفنى اعتبار أحدهما لميله فيخف مقتضى الموجود الميل .

أقول : فإذا تتابعت الطاعات من المكلف ضعفت حركة الماهية الذاتية أعني ميلها الذاتي على خلاف التوالي لعدم استمدادها من نوعها ، وأبطأت في استدارتها على نفسها لضعف ذاتيتها ، وأسرعت عرضيتها لأنها تدور مع الوجود على التوالي تبعاً له لأنها حينئذ من الكلاب المعلمة ، لأن الوجود علّمها مما علّمه الله وإذا تتابعت المعاصي ضعفت حركة الوجود الذاتية التي

هي ميله الذاتي ودورانه على ربّه وذلك لعدم استمداده من نوعه من أنواع الخيرات والطاعات وأبطأت في استدارته على ربّه وأسرعت عرضيته وهي حركته واستدارته مع الماهية على خلاف التوالي لوجود ميل الماهية وقوته فيتبعه ميل الوجود لضعفه وهذا ظاهر .

ولأجل أن الحركة الذاتية ، سواء كانت من الوجود أو الماهية لا تتبع ذاتية الآخر أبداً لعدم انقلابه إلى نوع الآخر إذ لو انقلبت[1] الوجود عند استيلاء الماهية بدوام المعاصي إلى الماهية أو انقلبت الماهية عند استيلاء الوجود بدوام الطاعات إلى الوجود لم يبق في الشيء الذي هو المكلف تركيب ، وهو موجب لفنائه لما ذكرنا مراراً فوجب أن يكون الميل الذاتي من كلّ واحد منهما جارياً على طبيعته ، وإن كان قد يضعف ويبطؤ عند قوة ضدّه وغلبته عليه ، لأنه لا بدَّ من بقاء شيء من الضدّ الضعيف به يحفظ الضدّ القوي عن الاضمحلال ويبقى لذلك الميل الضعيف حركة على وجهه ، ولو أقل بقليل فلا تتبع الحركة الذاتية حركة الضدّ الذاتية أبداً أي ما دام المركب من الضدّين شيئاً موجوداً ، وإنما تتبع حركة التابع العرضية حركة المتبوع الذاتية .

ولأجل أن الذاتية لا تتبع ذاتية الضدّ كان ميل الماهية الذاتي

---

(١) في نسخة أخرى : انقلب .

في كلّ حال لم يعدم أصلاً عند غلبة الوجود واستيلائه بدوام الطاعات وميل الوجود الذاتي ، كذلك لم يعدم أصلاً عند غلبة الماهية واستيلائها بدوام المعاصي ولأجل بقاء الميل[(١)] التابع لذاته حال متابعته لضده ثقلت الطاعة والمعصية فثقلت الطاعة لوجود حركة الماهية الذاتية على خلاف الطاعة في حال الطاعة ، وثقلت المعصية لوجود حركة الوجود الذاتية على خلاف المعصية في حال المعصية لحصول التعاكس في الجملة ، وإن ضعف المعاكس ولا يزال حكمها كذلك أعني ثقل المعصية على المطيع والعاصي وثقل الطاعة على العاصي والمطيع حتى ينفى اعتبار كلّ واحد من الوجود والماهية لميله عند غلبة الآخر ، فيفنى اعتبار ميل الماهية عند استقرار غلبة الوجود بطاعات الله سبحانه ، ويفنى اعتبار ميل الوجود عند استقرار الماهية بمعاصي الله عزَّ وجلَّ فيخفّ مقتضى الموجود[(٢)] الميل أي يخفّ حينئذ مقتضى الذي يكون ميله موجوداً فإن كان هو الوجود خفّ مقتضاه من الطاعات لوجود ميله التام إليها وعدم ميل الماهية في عكسه .

وإنما بقي من ميلها لنفسها قدر ما يحفظ وجودها عن الاضمحلال وليس لها منه استمداد ، وإنما يستمد من دواعي الوجود ومطالبه وإن كان الموجود ميله هو الماهية خفّ مقتضاها

---

(١) في نسخة أخرى : ميل .

(٢) في نسخة أخرى : الوجود .

من المعاصي لوجود ميلها التام إليها مع عدم ميل الوجود في عكسها إذ لم يبق له من الميل إلّا قدر ما يحفظ به نفسه عن الاضمحلال وليس له منه استمداد ، وإنما استمداده حينئذ من دواعي الماهية ومطالبها القبيحة .

بيان رزق الوجود ورزق الماهية

قلت : [وتدور] الكرتان على وجه الحركة الكونية في الرزق تحت الحجاب الأبيض بثلاث حركات : حركة الوجود الذاتية لمدد الرزق على التوالي ، وحركة الماهية الذاتية لمدد الحرمان على خلاف التوالي ، والحركة الثالثة عرضية ففي حال الرزق تدور الماهية بالحركة العرضية على التوالي وبالذاتية بالعكس ، وفي حال الحرمان يدور الوجود بالعرضية على خلاف التوالي وبالذاتية بالعكس .

أقول : أيضاً تدور الكرتان كرة الوجود وكرة الماهية بحركة ميل كلّ منهما على وجه الحركة الكونية لاستمدادها منها في الرزق كلّ واحد من نوع رزقه ، [فرزق][1] الوجود إمداد وجودي كأنوار المعارف الإلهية والمعاني العقلية والصور العلمية والقوى

(١) من نسخة أخرى .

الحيوانية كروح الشهوة وروح المدرج وروح القوة وكالأرزاق الجسمانية .

[ورزق] الماهية مدد عدمي بمعنى أن أصله من المخلوق وذلك كمدد الإنكارات بعد البيان القطعي والدعاوى الباطلة من الجهل المركب والأوهام السجينية لأنها من كتاب الفجار[١] ، سجين والقوى النفسانية والأرزاق المحرمة ، وذلك هو ما قسّم لهما فقسّم للوجود وأعوانه أرزاقاً محتومة بمقتضى فطرته وأرزاقاً مشروطة بوجود قابليته بما أمر به هو وأعوانه ، وقسم للماهية مدداً لها ولأعوانها بمقتضى قابليتها ومدداً بمقتضى أعمالها الصورية وصورها الوهمية وأوهامها الإنكارية ، وذلك تحت الحجاب الأبيض الذي هو ركن العرش الأيمن النوراني الأعلى الباطني ، لأنه مصدر الأرزاق وهو على صراط مستقيم ، ويقتضي لذاته الخيرات وتختلف تعلقاته باختلاف متعلقاتها ، ويجري فيه قضاء السوء بسبب قابلية المتعلق السيئ فيدور كلّ قابل منه على وجه استمداده منه مطلقاً ، أي سواء كان القابل الوجود أو الماهية بثلاث حركات[٢] الوجود الذاتية لمدد الرزق ، أي طلب الإمداد وهو استمداده من وجه الحجاب الأبيض على التوالي ، [وحركة]

---

(١) في نسخة أخرى : لفي .

(٢) في نسخة أخرى : حركة .

الماهية الذاتية لمدد الحرمان على وجه استمدادها على خلاف التوالي ، [والحركة] الثالثة عرضية كما مرّ ففي حال الرزق باستمداد الوجود تدور حركة الماهية العرضية على التوالي لتبعية الوجود لغلبته لها ، فتتبعه وتدور بالذاتية على خلاف التوالي لمقتضى طبعها وفي حال الحرمان من الرزق المذكور سابقاً في شيء من أنواعه أو في فرد من نوع من أنواعه تدور على خلاف التوالي لموافقة طبعها ، ويدور الوجود حينئذ أي حين كونه مغلوباً بحركة(١) العرضية على خلاف التوالي لأنه تابع وعلى التوالي بحركته الذاتية بمقتضى طبعه كما مرّ .

واستمداد كلّ تابع حال التابعية من كسب المتبوع وفي هذه الدواعي والمطالب والحركات من الطرفين أسرار يطول بذكر تفصيلها الكلام والله سبحانه يرزق من يشاء بغير حساب ، وقد ذكرنا كثيراً منها في هذا الشرح مفرقاً فتفقده تجده في محله وذلك ما يترتب في الخلق والرزق والحياة والممات ويتوقف بعض منها على بعض وينشأ بعض من بعض كالشرعيات الوجودية والوجودات الشرعية .

قلت : [وتدور] الكرتان على وجه الحركة الكونية تحت الحجاب الأخضر بثلاث حركات في الموت : حركة الوجود

---

(١) في نسخة أخرى : بحركته .

الذاتية على خلاف التوالي ، وحركة الماهية الذاتية على التوالي وعرضيتهما على العكس .

أقول : إنّ الكرتين أعني الوجود والماهية تدوران على وجه الحركة الكونية الذي هو مصدر مددهما وخزانة إمدادهما تحت الحجاب الأخضر الذي هو اللوح المحفوظ ، وهو ركن العرش الأيسر الجسماني الأعلى الباطني عند موت كلّ كلي أو جزئي أو كلّ أو جزء بثلاث حركات : حركة الوجود الذاتية على خلاف التوالي ، لأن الموت خلاف الحياة ، وحركة الماهية الذاتية على التوالي لتوافق الماهية للموت في الأصل العدمي وعرضيتهما أي عرضية حركة الوجود والماهية على العكس فعرضية حركة الوجود على التوالي لمتابعتها لذاتية الماهية وعرضية حركة الماهية على خلاف التوالي لمتابعتها لذاتية الوجود .

قلت : وتدور الكرتان على وجه الحركة الكونية في الحياة تحت الحجاب الأصفر بثلاث حركات كلّ واحدة بعكسها في الموت في الذاتية والعرضية .

أقول : إن الكرتين أعني الوجود والماهية تدوران في كلّ كلي أو جزئي أو كلّ أو جزء على وجه الحركة الكونية في قبولهما منهما[1] في الحياة التي هي ضدّ الموت تحت الحجاب الأصفر

(١) في نسخة أخرى : منها .

أي الركن الأيمن النوراني الأسفل الظاهري من العرش وهو الروح من أمر الله التي قال تعالى في الإشارة إلى ذكره : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[١] بثلاث حركات كما مرّ في نظائره ، فيدور الوجود على علته في قبول الحياة بحركته الذاتية عليها على التوالي ، وتدور الماهية عليها بعكس دوران الوجود عليها في الذاتيات والعرضيات وهذا يعرف مما تقدم .

خلاصة واختصار في حركات الوجود والماهية

قلت : فكان للوجود والماهية في مراتب الوجود الأربع التي بُني عليها العرش وتجلّى الرحمن بأفعاله على العرش بها ، وهي الخلق والرزق والموت والحياة كما قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[٢] اثنتا عشرة حركة ، ثمان ذاتيات وأربع عرضيات في عالم المعاني عالم الجبروت .

أقول : هذا مجمل ما تقدم ذكره من الإشارة إلى الحركات الصادرة من الوجود والماهية في قبول آثار مصادر الخلق والرزق والحياة والممات[٣] وهو أن الحركات الصادرة من الوجود

(١) سورة الحجر ، الآية : ٢٩.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٤٠ .

(٣) في نسخة أخرى : والممات والحياة .

والماهية في تلقيهما من المبدأ الفياض وقبولهما منه في الأركان الأربعة : الخلق والرزق والموت والحياة اثنتا عشرة حركة في كلّ ركن من أركان الكون ثلاث حركات اثنتان ذاتيتان وواحدة عرضية وذلك في كلّ ذرة من ذراته فإذا نسبت هذه الأركان إلى كلّ واحد من العوالم الثلاثة الجبروت والملكوت والملك والبرزخين اللذين بينهما أعني عالم الرقائق وعالم المثال إذ في كلّ واحد منهما خلق ورزق وموت وحياة كان مجموع حركاتهما[١] في العوالم الخمسة ستين حركة .

بيان الحركات الستين للوجود وللماهية

وتفصيلها أن لهما في خلق الجبروت أعني العقول ثلاث حركات ، وفي رزقها ثلاث ، وفي موتها ثلاث وفي حياتها ثلاث فهذه اثنتا عشرة حركة ثمان ذاتيات وأربع عرضيات ، وفي خلق الملكوت أعني النفوس ورزقها وموتها وحياتها اثنتي عشرة حركة كذلك ، وفي خلق البرزخ بين هذين العالمين أعني عالم الرقائق وهي عالم الأرواح ورزقها وموتها وحياتها اثنتي عشرة حركة كذلك وفي خلق الملك أعني الأجسام ورزقها وموتها وحياتها اثنتي عشرة حركة كذلك وفي خلق البرزخ بين الأجسام والنفوس وهو عالم المثال ورزقه وموته وحياته اثنتي عشرة حركة فهذه

(١) في نسخة أخرى : حركاتها .

ستون حركة أربعون منها ذاتيات وعشرون منها عرضيات وهو معنى ما :

تفصيل الحركات الستين

قلت : واثنتا عشرة حركة كذلك في عالم الصور عالم الملكوت ، واثنتا عشرة كذلك في عالم الأجسام عالم الملك وفي عالم الرقائق عالم الأظلة كذلك ، وفي عالم الأشكال عالم المثال كذلك إلاّ أن عرضيتهما في عالم الجبروت بالقوة ، وفي عالم الأظلة بالتهيؤ وفي ما دون ذلك بالفعل فهذه ستون حركة للوجود وللماهية أربعون منها ذاتية وعشرون عرضية .

أقول : وقد تقدّم بيان هذا[1] في تفصيل الحركات بقي فيه بعض الألفاظ ربما يحتاج الناظر فيها إلى بعض البيان وهي قولنا عالم الصور عالم الملكوت ، والمراد بالصور هنا الصور الجوهرية وهي المتقوّمة في تعلقها ووجودها بالمادة بخلاف الصورة المثالية فإنها في تعلقها لا تحتاج إلى المادة وإن كانت في وجودها تحتاج إلى المادة ، فالصور الجوهرية ذوات قائمة بنفسها في الظاهر يعني أنها متقومة بمادتها وصورتها ، وأما الصور

(١) في نسخة أخرى : هذه .

المثالية فهي صفات وأظلة وأشعة للذوات قائمة بغيرها كما هو شأن الأظلة .

وقولنا : إلّا أن عرضيتهما أي الوجود والماهية في عالم الجبروت بالقوة وفي عالم الأظلة بالتهيؤ إلخ ، معناه إذا نسبنا إلى واحد منهما الحركة العرضية إذا كان تابعاً لضدّه لا تتحقق أي العرضية من واحد منهما في الحس والتميز بالفعل في شيء من العالمين عالم الجبروت وعالم الأظلة لشدة بساطة عالم الجبروت فالمغايرة فيه خفية إلّا أنها في الحقيقة منشأ للمغايرة الظاهرة ، فإذاً هي عند التعبير عنها مغايرة بالقوة وفي عالم الأظلة الذي هو عالم الأرواح وعالم النفوس بالتهيؤ يعني متميزة تميزاً إجمالياً ضمنياً ، لأن المغايرة التي في النفوس والأرواح لم يتميز تميزاً تفصيلياً كما في الأجسام فإن المغايرة في الأجسام بالفعل ظاهرة متميزة فيكون تميز الذاتية من العرضية بحسب ظهور المغايرة وخفائها .

الحركة الدهرية للماهية والوجود

قلت : [ثم اعلم أن] للوجود وللماهية باعتبار ذراتهما حركة دهرية غير حركة الكل فكلّ ذرة من الوجود تدور على وجهها لا إلى جهة وكل ذرة من الماهية تدور على وجهها لا إلى جهة وكذلك نهايات كلّ منها ولكلّ ذرة من كلّ منهما بالنسبة إلى المجموع

حكم فلك التدوير في الحامل من الإسراع والإبطاء والإقامة والرجوع وحكم المجموع في الحاجة والاستمداد والكروية فكلّ متوجه إلى مبدئه واقف بمسألته بباب ربّه لائذ في فقره بجناب غناه .

أقول : أريد أن لكلّ واحد من الوجود والماهية هذا الحكم إذا نسب إلى ذرة من ذراته من جزء أو جزئي بالنسبة إلى واحد منهما فإنه كلي بالنسبة إلى جزئياته وذلك مثل وجود زيد بالنسبة إلى عقله ونفسه وتعقله وعلمه ووهمه وخياله وفكره وحياته فإن كلّ واحد منها جزئي منه وباعتبار جزء منه ، ومن تلك الذرات جزء الجزء وهكذا فإذا نسب وجوده إلى واحد من تلك الذرات بأن لوحظ حاله معها وحالها معه كان له على ذلك الجزء حركة دهرية عقلية أو روحية أو نفسية أو طبيعية أو هبائية وهي حركة الكلي على جزئياته والكل على أجزائه حركة تقومية ركنية إذ الكل متقوّم بأجزائه والكلي كذلك على الأصح .

وكذلك لكلّ ذرة من ذراته حركة تدور بها على وجهها منه ، وهذا الوجه هو الذي يدور به على هذه الذرة ، لأن الوجه هو باب الوجود إلى تلك الذرة وبابها إليه وكذلك الماهية بالنسبة إلى ذراتها وهذه الحركات كلها دهرية وذلك كَدَورَة الكل على الجزء وبالعكس والشرط على المشروط وبالعكس والصفة على

الموصوف وبالعكس والفعل على الفاعل وعلى المفعول وبالعكس والكلي على الجزئي وبالعكس ، وكذلك كل منهما كنور النور وصفة الصفة وهكذا وبالعكس والمثل على نظيره وبالعكس والضدّ على ضدّه وبالعكس وما أشبه ذلك ، سبحانه[١] ﴿فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢] .

ولكلّ ذرة من ذرات الوجود والماهية بالنسبة إلى ما تنسب إليه حكم فلك التدوير الحامل للكوكب في حامل فلك التدوير بالنسبة إلى بادئ الرأي فإنه إذا توافقت الحركتان أسرع سير الكواكب ، وذلك لأن الفلك الأعظم يدور إلى ناحية المغرب وتداوير المتحيرة أعلاها يدور إلى المشرق وأسفلها إلى المغرب فإذا تلاقت حركات أعاليها في نقطة أوجاتها مشرقة مع حركة الفلك المحدد مغربة أقامت المتحيرة في بادئ رأي البصر لتعاكس الحركتين وهي الإقامة وإذا أخذت في دورانها إلى جهة المشرق بحركة تداويرها عرض لها الرجوع والإبطاء ، لأنّ الفلك يردها إلى جهة المغرب ، وإذا أخذت في دورانها إلى نقطة حضيضها أو إلى نقطة المغرب استقامت وأسرعت لموافقة حركتها لحركة الفلك الأعظم وهذا مثال حركات ذرات كلّ من الوجود والماهية

---

(١) في نسخة أخرى : سبحان .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١.

إليه ، لأن حركة الذرة والجزء إذا كانت في نقطة أوجها وهو أعلى أطوار تشخصها وقفت وأقامت لأنها قد خرّت ساجدة بين يدي مُبدئها تعالى .

وإذا شرعت في التعين رجعت وأبطأت وإذا كانت في غاية عبوديتها أو توجهت إلى حكم محض تبعيتها استقامت وأسرعت لموافقتها لحكم جملتها ومجموعها ، وأيضاً لكلّ ذرة من كلّ واحد من الوجود والماهية حكم الكل في الحاجة إلى الإمداد وإلى قيومية علته في التقوم وحكم الكروية في استدارتها لا إلى جهة كالمجموع فكلّ أي كلّ واحد من الوجود والماهية ومن ذراتهما وأجزائهما وجزئياتهما متوجه إلى مبدئه على الانفراد والاجتماع أي متوجه إلى مبدئه ومبدأ مبدئه ومبدأ جملته وهكذا واقف بمسألته بباب ربّه لائذٌ في فقره إلى كلّ شيء مما أشرنا إليه بجناب غناه ، لأنه قائم بأمره الفعلي قيام صدور وبأمره المفعولي قيام تحقق أي قياماً ركنياً .

قلت : [ثم اعلم] أن عرضية كلّ شيء مما ذكرنا هي جهة فقره إلى ضدّه فعرضية الوجود جهة فقره إلى الماهية في الظهور ، وعرضيتها جهة فقرها إلى الوجود في التحقق فلهذا تتبع عرضية كلّ واحد ذاتية الآخر .

أقول : قد ذكرنا أن الوجود والماهية وذرات كلّ واحد

بالنسبة إلى ذرات الآخر لا ينفك الشيء عن التركيب من ضدين منهما بأن يتركب بعض الأشياء من وجود وماهية وبعض الأشياء من جزءيهما وبعض الأشياء من ذرتين منهما ، سواء كان المركب من جوهرين أم من جوهر وصورة أم من صورتين ، وذكرنا أن المركب مكلف وأن كلّ مكلف لا ينفك في كلّ فعل أو قول أو عمل عن ثلاث حركات ذاتيتان وعرضية ، وهنا ذكرنا أن عرضية كلّ واحد هي جهة فقره إلى ضدّه فلهذا يدور على خلاف مقتضى ذاته ، فعرضية الوجود جهة فقره إلى الماهية في الظهور لتوقف ظهوره في عالم الأكوان على الماهية ، لأنها صورته ولا يقوم الشيء بدون صورته ، وعرضية الماهية جهة فقرها إلى الوجود في التحقق لتوقف تحققها في الأكوان على الوجود ومن ثم تتبع عرضية كلّ واحد من الوجود والماهية ذاتية الآخر لما بينهما من التلازم بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر لأنه شرط له .

الفائدة الثانية عشرة

في بيان ثبوت الاختيار

الفائدة الثانية عشرة
في بيان ثبوت الاختيار

قلت : الفائدة الثانية عشرة : في بيان ثبوت الاختيار :
اعلم أن الاختيار نشأ من ميل الوجود إلى ما يناسبه وميل الماهية إلى ما يناسبها كما ذكرنا مراراً وهو ذاتي وفعلي ، فالأول هو استدارة الشيء بوجه افتقاره على قطب استغنائه أي ما يطلب منه الاستغناء وقد أشرنا إلى هذا فيما سبق من حركته على قطبه والثاني استدارته بآلاته على جهة قطبه لحاجته من أحدهما .

بيان أن منشأ الاختيار عند العباد ميل الوجود والماهية

أقول : إن الاختيار المنسوب إلى المحدثين من المكلفين أي مما يتوجه إليه التكليف ، لأن التكليف شرط صحته الاختيار ، وهو أي التكليف شرط لصحة الإيجاد فلو لم يكن مختاراً لم يحسن تكليفه ولو لم يحسن تكليفه لم يحسن إيجاده ، وحيث دل النقل من الكتاب والسُّنة بأن كلّ شيء مكلف وكل شيء يسبح بحمد الله إلّا أن مراتب تكاليفها مختلفة فكلّ شيء تكليفه بحسب

تنبّه العقل بنص الكتاب والسُّنة فطلب بيانه فوجده كما نص عليه النقل واستدل بذلك على ثبوت الاختيار لكلّ موجود .

ونشير إلى ذلك وهو أنه قد ثبت أن كلّ شيء مركب من وجود وماهية ، وقد تقدّم أن هذا الكلام عبارة عن المادة والصورة كما هو المذهب الحق وأن الوجود هو حقيقة الشيء من ربّه لأنه أثر فعله عزَّ وجلَّ وأن الماهية هي حقيقته من نفسه ، وأن كلّ واحد مخالف بحقيقته لحقيقة الآخر ، وأن كلّاً منهما لا يستغني في بقائه عن المدد وأنه لا يطلب الاستمداد إلّا من نوعه وأنهما في الشيء المركب منهما غير متمازجين تمازج استهلاك وأن ميل كلّ منهما مخالف لميل الآخر وأن المركب منهما يحصل له الميلان المتعاكسان بواحد منهما يطلب وبالآخر يترك فحصل له الاختيار من حصول الميلين له المنسوبين إليه بواسطة جزئي ذاته فإذا أمر بالصلاة مثلاً مال إليها الوجود لأنها من نوعه وطلب فعلها ليتقوى بها لأنها صالحة لكونها مدداً له يحصل بها بقاؤه ، إلّا أنها خلاف مدد الماهية وتضعف بفعلها فتميل إلى تركها ، لأن ترك الصلاة من نوعها وتتقوى به والميلان صَدَرَا من الشيء من جزئي ذاته وهذا الاختيار لازم لكلّ مركب من الوجود والماهية وكل مخلوق فهو مركب منهما لا فرق في ذلك بين الإنسان والحيوان والنبات والجماد ولذا قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ

وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(١) أخبر عنهم بضمير العقلاء ولم يقل يسبحن أو تسبح وقال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(٢) ولم يقل تسبيحها وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾(٣) ولم يقل وهن داخراتٌ أو وهي داخرة .

فإن قلت : إنما استعمل ضمير العقلاء للتغليب .

قلت : فلِمَ لم يغلب في قوله : ﴿ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾ فإنه لم يقل إلى من خلق الله على أنه أتى بضمير العقلاء مع عدم من يغلب به كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٤) لأنهم مكلفون والمكلف يلزم أن يكون عاقلاً لما يكلف به وإن كان كلّ شيء كان له عقل بحسبه قال تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(٥) ولم تقولا(٦) طائعة .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٣.

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤.

(٣) سورة النحل ، الآية : ٤٨.

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٣.

(٥) سورة فصلت ، الآية : ١١.

(٦) في نسخة أخرى : ولم يقل .

وبالجملة فحيث كان الوجود في تنزله بمراتبه بمنزلة شعاع السراج كلما قرُب من السراج كان أنور وكلما بعُدَ من السراج كان أضعف نوراً وهو أي الوجود في نفسه إدراك وفهم وشعور وما أشبه ذلك من أسباب التكليف وشرائطه ، وكلما قرُبَ من المبدأ قويت فيه جهات المدارك ، وكلما بعُد من المبدأ ضعُفت فيه تلك الجهات ، والتكليف يتعلق بالمكلف بنسبة تلك الجهات ، وأقوى مراتب التكليف ما توجه إلى الإنسان ، لأن أقوى تلك الجهات ما وجدت فيه وأضعف مراتب التكليف ما توجه إلى الجماد ، لأن أضعف تلك الجهات ما وجدت فيه وما بينهما من العوالم تكليفه بنسبة قوة الجهات وضعفها ، وهذا ظاهر لمن نظر ببصيرته طالباً للحق .

أقسام الميل في الوجود والماهية

ثم إن الميل المذكور من كلّ شيء على قسمين :

١ ـ الميل الذاتي

الأول : الميل الذاتي وهو استدارة الشيء أي طلب الشيء بوجه افتقاره يعني بميل افتقاره حال تكوّنه وحال استمراره في بقائه على قطب استغنائه وهو أمر الله الفعلي صاحب القيومية له وأمر الله المفعولي الحافظ له فيستغني من فعل الله في صدوره وقبوله للتكوين ومن أمر الله المفعولي الذي هو الماء المسمّى

بالحقيقة المحمدية في بقائه ودوامه لتقوّم الشيء به تقوماً ركنياً ، إذ مادة كلّ شيء حصة منه وهذا معنى قولي أي ما يطلب منه الاستغناء فإن كلّ شيء يطلب الاستغناء من أمر الله كما فصلنا .

٢ ـ الميل الفعلي

والثاني : الميل الفعلي وهو استدارة الشيء بآلاته التي بها يعمل ويتسبب على جهة قطبه يعني قطب استدارته وهذه الجهة التي يدور عليها بآلاته هي آثار ذلك القطب ، فإن هذا القطب الذي هو أمر الله الفعلي وأمر الله المفعولي كما ذكرنا يتلقى الشيء من آثاره وبها تقوّمه صدوراً وتحققاً .

وقولي : (لحاجته من أحدهما) ، أريد به أنّه إنما يميل لفقره وحاجته إلى الاستمداد فإن كان المستمد أعني الوجود أو الماهية استمد من نوعه كما لو استمد الوجود من الطاعات والماهية من المعاصي قوي وغلب الآخر واستولى عليه وإن لم يستمد من نوعه ، وإنما تبع المستمد من نوعه ضعف وغلبه الآخر واستولى عليه لأنه إنما ينتفع بمتابعته لضده في حفظ أصل نفسه ، ولهذا يتخلق بأخلاقه ويتصف بصفاته ويتابعه في مطالبه فله من مدد متبوعه مدد عرضي وهو جزء من سبعين جزءاً(١) ، لأن ميله مع

---

(١) في نسخة أخرى : جزء .

متبوعه عرضي فعلي ناقص في أصل اقتضائه للمدد وإنما تمّ اقتضاؤه بجزء من سبعين من الصفة[١] متبوعه بفضل ميله الذاتي ، وهذا الفضل شعاع من الميل الذاتي فاستفاد من كل تابعيته حفظ أصل نفسه عن الفناء والتلاشي .

قلت : وحيث كان للشيء ميلان متعاكسان يكتفي بمتعلق أحدهما جاء الاختيار ، فهو إن شاء فعل وإن شاء ترك ، هذا في الميل الفعلي ، وأما الميل الذاتي فهو مختار في كلّ واحد من شقَّيه أي مختار في ميل الوجود نفسه إلى ما يقتضيه وفي ميل الماهية نفسها إلى ما تقتضيه .

أقول : لمّا كان للشيء ميلان متعاكسان ميل من وجوده إلى أنواع الخيرات والطاعات وميل من ماهيته بعكس ميل الوجود يعني إلى الشرور والمعاصي يكتفى بمتعلق أحدهما ، يعني أنّ الشيء المركب منهما وهو المكلف يكتفى في سدّ فاقته وبقائه بمتعلق أحدهما من الطاعات أو المعاصي على الانفراد أو على التعاقب ، لأن متعلق كل واحد[٢] منهما عام لكلّ ما يحتاج إليه بحيث لا يحتاج في طلب الطاعات والخيرات إلى شيء لا يوجد

---

(١) في نسخة أخرى : صفة .

(٢) في نسخة أخرى : متعلق كل منهما .

في متعلق ميل الوجود إلّا في متعلق ميل الماهية ، وفي طلب المعاصي والشرور لا يحتاج إلى شيء لا يوجد في متعلق ميل الماهية إلّا في متعلق ميل الوجود بل كلّ شأن من شؤون أحدهما يوجد في متعلق ميله لأنه سبحانه خلق جميع ما خلق لعباده صالحاً لأحد السلطانين وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(١) ولمّا كان له الميلان المتعاكسان كما سمعت جاء الاختيار أي ثبت له الاختيار بمعنى أنه إن شاء فعل بأحد الميلين وإن شاء ترك بالميل الآخر .

وقولي : (يكتفي بمتعلق أحدهما) ، جملة فعلية وقعت صفة لقولنا : ميلان ، ولو جعلتها حالية جاز على بعد وهذا الكلام بيان للميلين الفعليين .

وأما الميلان الذاتيان لهما فالشيء المركب من المائلين الوجود والماهية مختار فيهما بمعنى أن ميل كلّ بذاته إلى قطب استغنائه بقابليته عن اختيار مساوق لكونه ، وهذا المعنى من أسرار القدر التي تسافلت عنها أفهام الفحول من العلماء ووفّق(٢) لها من سبقت له العناية ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٣) فإن الشيء مختار في ميل كلّ من شقيه الوجود والماهية فيميل

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٧.

(٢) في نسخة أخرى : ووقف .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢١٢.

وجوده إلى الطاعات باختيار الشيء لحصول ميل ضدّه عنده وباختيار الوجود نفسه لحصول ميل ضدّه معه وتميل ماهيته إلى المعاصي باختيار[1] الماهية نفسها لحصول ميل ضدها معها كلّ إلى ما يقتضيه .

وميل الجزء باختياره أيضاً لحصول الموجب للاختيار وهو وجود الضدّ فإن الشيء إنما كان مختاراً لتقومه بتركبه من الضدّين[2] كذلك يعني إنما كان مختاراً لتقوّمه في نفسه بانضمام ضدّه إليه كما تقدم من أنّ كلّ واحد من الوجود والماهية يعتبر في وجوده وتحققه وجود الآخر إذ كلّ ممكن زوج تركيبي وكل منهما ممكن فالشيء مركب منهما والوجود مادته نفسه وصورته انضمام الماهية إليه والماهية مادتها نفسها وصورتها ضمّ الوجود إليها فكما كان الشيء مختاراً لتركبه من الضدّين المائلين على التعاكس كذلك جزؤه كان مختاراً لتركبه من نفسه وانضمام ضدّه إليه وهما المائلان على التعاكس .

بيان أن أصل منشأ الميل هو الشهوة

قلت : وبيان ذلك أن الوجود لا يشتهي إلاّ النور ولا يشتهي لذاته الظلمة وإن اشتهاها بالعرض والاعتياد الذي هو عرضي ولا يمكن

---

(١) في نسخة أخرى : باختيار الشيء لحصول ميل ضدّه عنده وباختيار .

(٢) في نسخة أخرى : من الضدين واحد الضدّين .

في ذاته من حيث صدوره بفعل الله أن يشاء الظلمة لأنها جهة الماهية منه ، فلا يمكن أن يشاء إلاّ يشاء ما يشاؤه إذ المشيئة واحدة ، فلا تنبعث حيث لا تنبعث وكذا الكلام في الماهية نفسها من حيث هي .

أقول : هذا بيان لنفس الميل بأن أصل منشئه الشهوة وطلب الملائم وهو المراد بالاستمداد من النوع كما مر ، لأن الميل الذاتي لا يكون من الشيء لما ينافي[1] طبيعته فلذا قلنا : إن الوجود لا يشتهي إلّا النور وكذا الماهية .

وأما إذا مال الوجود إلى الظلمة في حال كونه مغلوباً فإنه ميل بالعرض والاعتبار الذي هو بالعرض لا بالذات الذي هو شأن صدوره بفعل الله فإنه لا يشتهي لذاته عنه إلّا النور فإذا كان كذلك لا يشتهي من ذاته الظلمة إذ لا يمكن أن يشاء من ذاته عدم مشيته لما يشاء من ذاته فإنه إذا كان يشاء من ذاته النور لا يشاء عدمه إذ يلزم أن يشاء ما لا يشاء ، لأن المشيئة واحدة فلا تنبعث لغير موجب انبعاثها لأنه[2] ضدّ فيكون انبعاثه بموجب عدم انبعاثه وهو محال ، وأما بالعرض فلا بأس به كما قلنا وكذا الكلام في الماهية .

(١) في نسخة أخرى : ينافر .
(٢) في نسخة أخرى : لأنها .

قلت : ولا يظن أن هذا مناف لما نذكره من أنه لا يكون شيء من شيء إلاّ باختيار ولا جبر في جميع الأشياء لا لها ولا منها ، لأن الوجود لا شيئية له إلاّ في الماهية والماهية لا شيئية لها إلاّ بالوجود وما ليس له في حقيقته بكلّ اعتبار إلاّ جهة واحدة لا يمكن فيه تعدد ميل أو اختلاف انبعاث وليس هذا جبراً ، لأن الجبر أن يميل الشيء غيره على خلاف مقتضى ذاته أو بغير ميل ذاته ، وهذا بميل ذاته فليس جبراً فهو اختيار إذ لا واسطة بينهما .

أقول : لا تظن أن هذا وهو أن كلّ واحد من الوجود والماهية إذا كان مغلوباً يكون له ميل عرضي إلى خلاف ما يقتضيه ذاته فإنه إذا كان مغلوباً فهو مجبور على خلاف ما يقتضيه ، ولا يراد من الجبر غير هذا فلا يكون منافياً لما تذكرونه بعد هذا من أنه لا يكون شيء من شيء أي لا يصدر من شيء حركة أو سكون في غيبه أو في شهادته إلّا باختيار منه ، وأن جميع الأشياء من الناطق والصامت والحيوان أو النبات أو الجمّاد من الذوات أو الصفات لا جبر فيها ، لا لها أي لا يجبرها غيرها ولا منها أي ولا تجبر غيرها لما سنبيّنه من أن ما ترونه في كون الشيء يسلك به غيره غير ما يكون من شأنه مثلاً إذا رميت الحجر إلى جهة العلو فإن صعود الحجر بغير اختياره إذ شأنه النزول ، ولا نريد بالجبر إلّا هذا وليس هذا جبراً ، لأن الرامي للحجر ليس قاسراً له وإنما

هو معين له ، لأن في الحجر إمكاناً ناقصاً للصعود فكان دفع الرامي له إلى جهة العلو متمماً لما يمكن منه كما يأتي ، ومضى بعض الإشارة إلى هذا فراجع .

وأيضاً إنما قلنا : إن الوجود لا يشتهي إلّا النور وإن مال مع الماهية في فعلها للظلمة ليس لذاته وإنما هو ميل عرضي ، لأن الوجود في ذاته بسيط لا شيئية له ولا تحقق من حيث نفسه إلّا في الماهية التي لا تشتهي إلّا الظلمة ، وذلك لأنه لمّا كان في ذاته بسيطاً لأنه نور وبه(١) امتنع تعدد ميله من ذاته ، وإنما يميل إلى النور خاصة الذي هو من نوعه ، وأما اعتبار شيئيته من نفسه ليلزم تعدده في ذاته فيتعدد ميله فيميل إلى الظلمة كما يميل إلى النور فلأن ملاحظة شيئيته هي ملاحظة ضدّه أعني الماهية إذ لا شيئية له إلّا بانضمام الماهية(٢) التي ميلها عكس ميله فليس فيه لذاته تعدد فلا يميل إلى الظلمة بذاته قط وأما انضمام الماهية إليه الذي قلنا إنه صورته التي يتقوّم بها .

فحاصل ميله إنما هو إلى الظلمة إذ ليس الانضمام جزءاً لذاته من جهة محدثه وكذلك الماهية لا تشتهي النور لبساطة ذاتها فلا يكون لها ميلان ذاتيان ، وأما شيئيتها من ربها ليس إلّا ضمّ

(١) في نسخة أخرى : نور ربه امتنع .
(٢) في نسخة أخرى : إلّا بالماهية .

الوجود إليها وميله إلى النور فليس ذات أحدهما مركبة ، لأن التركيب المعتبر في كلّ ممكن بحيث تكون[١] مركبة إنما هو في الشيء الممكن في أجزائه .

وأما فيما كان حصة من مركب كحصة الحيوان للإنسان فهي مركب ويجوز أن يكون له ميلان فإن الحيوان جسم متحرك بالإرادة فللحصة منه ميل الجسمية وميل التحرك بالإرادة الذي هو الفصل الإضافي وما كان حصة من بسيط فليس له إلّا ميل واحد كالحصة من الوجود والماهية ، والفارق بينهما أن البسيط هو الذي لا يظهر إلّا مع انضمام فصل والحصة المأخوذة منه كذلك والمركب هو الموجود قبل أخذ الحصة كالخشب فإنه موجود قبل حصة السرير وكالحيوان في مثالنا والمايز بين الحصتين أن المأخوذ من نفس المادة بسيط له ميل واحد وهذا لا يدخل في الأكوان إلّا مع صورته التي هي فصله والمأخوذ من المادة والصورة النوعيتين مركب له ميلان فافهم .

وقولي : (لأن الجبر أن يميل) ، إلخ ، وهو ما قلت لك : إن الجبر أن يميل المجبر المجبور إلى غير ما يمكن في ذاته لا بالفعل ولا بالقوة ، وأما إذا ماله بما في قوّته فهو مما يمكن في ذاته إلّا أنه ناقص لا يقتضي الميل بدون معين والمجبر متمم

---

(١) في نسخة أخرى : ذاته .

لنقصه ، فعلى هذا لا يمكن الإجبار أصلاً ، وإنما[1] القلب لحقيقته ثم بعد القلب يقتضي الميل بنفسه أو بمتمم والقلب أيضاً لا يكون إلّا فيما يمكن كذلك فالإجبار في الحقيقة أي الإجبار الحقيقي ممتنع فافهم ويأتي تمام هذا الكلام .

بيان الاختيار في الماهية والوجود

قلت : إلاّ أنه يقال عليه إنه جزء اختيار ، لأن المعروف من الاختيار هو الميل إلى جهتين مختلفتين لداعيين مختلفين عن الإرادة المركبة من ذلك الشيء المركب فهذا الاختيار هو الاختيار الناقص ونظيره المعنى الذي في الحرف فإنه إذا ضُمَّ إلى غيره تم المعنى . [ولا يقال] : إن هذا هو اختيار الواجب لبساطة ذاته فليس له إلاّ اختيار جهة كما قاله كثيرون من أن وحدة مشيته ينافي الاختيار ، وأما أمر إن شاء فعل وإن شاء ترك فحكم راجع إلى الممكن من حيث هو .

أقول : قولي : (إلّا أنه يقال عليه) إلخ ، أريد به أن كون اختيار الوجود أو الماهية متحققاً مع أنه ليس له ميلان يمكن أن يقال عليه إنه جزء اختيار ، ويراد من جزء اختيار أنه اختيار ناقص

(١) في نسخة أخرى : إنما الممكن .

لأنه[١] أحد شقي الاختيار ، فإن أحد شقي الاختيار موجب ، لأن المعروف من الاختيار عند الإطلاق هو الميل إلى جهتين مختلفتين بميلين مختلفين لداعيين مختلفين عن الإرادة المركبة الاختيارية لأنها مركبة من إرادتين على التعاقب منبعثين من ذلك الشيء المركب ، وليس المعروف من الاختيار عند الإطلاق الميل الطبيعي الجبلي ليمكن أن يراد من جزء الاختيار أحد ميلي شقي المركب ، لأن هذا على الظاهر من نوع الإيجاب بل معناه يرجع إلى الاختيار الناقص ، والمراد بهذا النقص ملازمة المائل لشيء واحد غالباً لضعف اعتبار ميل الجهة الضديّة حتى يضم إليه الضدّ ، كما في الشيء المركب ونظيره المعنى الذي في الحرف فإنه معنى ناقص ولهذا قيل الحرف ما دل على معنى في غيره ، ومثله قول أمير المؤمنين عليه السلام لأبي الأسود الدؤلي : (**والحرف ما دلّ على معنى[٢] ليس باسم ولا فعل**)[٣] ، فإذا ضم إلى ذلك المعنى معنى آخر فإن المعنى حينئذ يتم ولا يقال : إن هذا يعني جزء الاختيار هو اختيار الواجب تعالى لكمال بساطته سبحانه فليس له إلّا ميل واحد فليس[٤] إلّا اختيار جهة واحدة ،

---

(١) في نسخة أخرى : لا أنه .
(٢) في بعض المصادر : (**ما أنبأ عن معنى**) .
(٣) ميزان الحكمة : ٤ / ٣٢٦٦.
(٤) في نسخة أخرى : له .

لأن التعدد يلزم منه التركيب كما قاله كثيرون مثل الملا صدرا(١) وداماده الملا محسن(٢) كما صرّح به في الوافي ، وهو عبارة عبد الرزاق الكاشي في شرح فصوص ابن عربي(٣) من أن وحدة

(١) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز .
توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .
رحل إلى أصبهان وتعلّم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .
انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩.

(٢) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة : كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥.

(٣) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي . ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) . مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .
انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥.

مشيته تنافي الاختيار ، لأن المشيئة نسبة تابعة للعلم والعلم نسبة تابعة للمعلوم والعلم والمعلوم[1] أنت وأحوالك ، وأما حكم إن شاء فعل وإن شاء ترك فحكم راجع إلى الممكن من حيث هو بمعنى أن أي الطرفين وقع فهو الذي عليه الممكن في نفس الأمر نقلت بعض كلامه في الوافي بالمعنى ، وصرّح الملا صدرا في كتبه منها شواهد الربوبية أن الاختيار الذي يوصف به الواجب وينسب إليه هو القصد إلى الفعل والرضا به لا أنه إن شاء فعل وإن شاء ترك حتى أن الملا محسن رحمه الله في الوافي قال : فليس للحق إلّا وجه واحد وهو الذي يليق لشأن الحق سبحانه وهذا كلّه غلط بل هو سبحانه مختار بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك ولا يلزم من هذا تغير علمه كما توهموا لأنه يعلم أن هذا يكون متحركاً إن شاء ذلك ويكون ساكناً إن شاءه فإذا غيّر شيئاً غيّر ما علم أنه يغيّر إلى ما علم فلا يلزم تغير علمه تعالى وإنما يلزم ثبات علمه .

اختيار الممكن أثر لاختيار المشيئة وهو أثر لاختيار الواجب

قلت : لأن هذا باطل ، وذلك لأن الاختيار المنسوب إلى كلّ ممكن بحيث إن شاء فعل وإن شاء ترك فإنما ذلك لأن كلّ أثر مشابه لصفة مؤثره وهو ما في المشيئة في نفسها ، إذ جميع ما يمكن أن

(١) في نسخة أخرى : تابعة للمعلوم والمعلوم أنت .

ينسب إلى الممكن من فعل أو انفعال أو إضافة أو غير ذلك صفة لذات ذلك الممكن ، فما لا يمكن في ذاته لا يمكن أن يكون منه أو ينسب إليه بكلّ اعتبار ولا يمكن في ذاته إلاّ ما يمكن في المشيئة ولا يمكن في المشيئة إلاّ ما يمكن في العلم وهو الذات الحق سبحانه وتعالى ، فاختيار الممكن أثر لاختيار المشيئة واختيار المشيئة أثر لاختيار الواجب .

أقول : قولي : (لأن هذا باطل) ، أريد به أن الاختيار الجزئي الذي في البسيط الممكن كالوجود ليس كاختيار الواجب لشدة بساطته ، لأن هذا أي نسبة اختيار الواجب تعالى إلى الجزئي باطل من جهة أن الاختيار التام الذي في الممكن الكلي المركب إنما هو أثر لاختيار فعل الله أعني المشيئة ، لأن جميع هيئات الممكن وصفاته الذاتية بل والفعلية أثر هيئات المشيئة التي هي فعل الله لما تقرر من أن كلّ أثر يشابه صفة مؤثره التي هي مبدأ تأثيره وذلك هو ما في المشيئة في نفسها أي هو ما اختص بالمشيئة في نفسها من صفاته الفعلية ومن آثار صفاتها الذاتية المنفصلة أعني عنواناتها التي هي ذوات تلك الآثار إذ جميع ما يمكن في الممكن وينسب إليه من فعل الذي هو آية فعل مؤثره وانفعال الذي هو آية قابلية الأثر للتأثير وإضافة التي هي آية التقييد والتشخص كلها وأشباهها صفات ذلك الشيء .

وقولي : (صفة لذات ذلك الممكن) أريد [به] أن هذه صفات لذاته في الجملة بمعنى أنها مشابهة لما منه أو به أو له أو عنه لا أنها صفات لمحض ذاته بل لما ينسب إلى جهة ذاته ، فالمشابه لما منه كالدواعي وميولات وجوده وماهيته فإنها مشابهة لوجوده أو ماهيته لأنها جهة فقره من إحدى حقيقتيه حقيقته من ربِّه كالوجود أو حقيقته من نفسه كالماهية والمشابه لما به كالنسب والإضافات كالعلم الإشراقي مثل علمه بزيد عند حضوره إذ هذه النسبة إنما تحصل بحصول زيد وتذهب بذهابه فهي في الحقيقة ما حصل به من العلم بزيد مما انكشف له منه والمشابه لما له كالأعمال الصادرة منه فإنها مشابهة لما له لأنها من مشخصات ذاته والمشابه لما عنه كالأفعال الاختيارية فإنها مشابهة لما عنه كإرادته وميولاته .

وبالجملة : فالمراد بالمشابهة للذات المشابهة لما ينسب إليها بوجه ، لأن الآثار صفة للأفعال وإنما نمنع من قول إن الآثار صفة للذات حذراً من أن تتوهم أن الآثار راجعة إلي الذات ومنتهية إليها وهي إنما تنتهي إلى الأفعال والأفعال إلى أنفسها التي هي مبادئها مع أنها أي الآثار والأفعال يقال عليها إنها صفات الفاعل إلّا أنها صفات إشراقية وهي في الحقيقة حدود للأغيار لا للذات[1] وإذا أردت أن تفهم هذا المعنى فافهم قول الرضا عليه

(١) في نسخة أخرى : للذوات .

السلام : (**كنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه**)[1] ، فافهم معنى : (**غيوره تحديد لما سواه**) .

فإن قولك : إنه تعالى ليس بجسم مثلاً أن هذه الصفة السلبية صفة غيره وتحديد للجسم .

والحاصل : إنه لا يمكن في ذات الممكن بل ولا فيما ينسب إليه إلّا ما يمكن في المشيئة أي يصح عنها إذ كلّ ما لا يكون ممكناً كالواجب لا يصح في الممكن ولا عنه ولا به ولا له ولا منه ، وكل ممكن فهو بالمشيئة أو عنها فيكون مشابهاً لصفة المشيئة على نحو ما ذكرنا في الممكن بالنسبة إلى ما ينسبِ إليه وما يمكن في المشيئة إلّا ما يمكن في العلم الذي هو ذات[2] الحق تعالى ، ومعنى الإمكان في المشيئة الإمكان الراجح والإمكان المعبر عنه في الذات الحق فهو حكاية التعريف حيث قيل يمكن في حق الحق ويمكن في حق الواجب تعالى فصحّ

---

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام : (**خلق الله الخلق حجاب بينه وبينهم ، ومباينته إياهم مفارقته إنّيتهم ، وابتداؤه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كل مبتدىء عن ابتداء غيره ، وأدوه إياهم دليل على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقة المتأدين ، وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته حقيقة وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه**) . توحيد الصدوق ٣٦ ح ٢ باب التوحيد ونفي التشبيه ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ح ٥١ ، والاحتجاج : ٢ / ١٧٦ .

(٢) في نسخة أخرى : الذات .

التعبير بالإمكان إجراء للعبارة على نمط واحد وإلّا فلا يصحّ استعمال الإمكان في حق الواجب تعالى حتى الإمكان بالمعنى العام ، أعني سلب الضرورة من الطرف المخالف فإن هذه وأمثالها حدود الحوادث حتى الوجوب المعروف ، ولكن لا مناص عن التعبير به ، لأن الحادث لا يقدر إلّا على ما هو من نوعه والمعنى في قولنا إلّا ما يمكن في العلم أي ما يصحّ يعني يجب ومعنى كون المشيئة مشابهة لصفة الحق تعالى على نحو ما ذكرنا في الممكن ، [فإذا] فهمت ذلك في حق الممكن فاعلم أنه آية ودليل على التعبير في التعريف لعنوان الواجب الحق المسمّى بمقاماته وعلاماته التي لا تعطيل لها في كلّ مكان قال عليه السلام :

اعتِصَامُ الوَرَى بِمَغفِرَتِكَ عَجِزَ الوَاصِفُونَ عن صِفَتِكَ
تُبْ عَلينَا فَإنَّنَا بَشَرٌ مَا عَرَفنَاكَ حَقَّ مَعرِفَتِكَ(١)

والحاصل : اختيار الممكن أثر اختيار المشيئة لأنه أثر إحداثها له على قابليته واختيار المشيئة أثر اختيار الواجب لأنها أثر إحداثه تعالى لها بها حين شاء بها ما شاء من خلقه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(٢) .

---

(١) شرح فصوص الحكم : ٣٤٦.
(٢) سورة النحل ، الآية : ٦٠.

وقال الصادق عليه السلام ، في الدعاء عقيب الوتيرة بعد العشاء على ما رواه الشيخ في المصباح : (**بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة يا سيدي فشبهوك واتخذوا بعض آياتك أرباباً ، يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك**)[١] الدعاء ، وإلى ما ذكرنا من الترتيب الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[٢] وهو القائل عزَّ وجلَّ في كتابه في وصف نفسه[٣] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٤] فافهم .

بيان وحدة المشيئة والاختيار عند الله تعالى

قلت : (فإن قيل) : هل يعلم في الأزل زيداً في الحدوث أنه حيوان ناطق أم لا ؟ فإن كان يعلم ذلك لم يجز ألا يخلقه أو يخلقَهُ فرساً وإلاّ انقلب علمه جهلاً وإن لم يعلم لزم الجهل بما سيكون وهو باطل بالضرورة فوجب أنه يعلم أنه حيوان ناطق والمشيئة صفة تابعة للعلم فيجب أن يخلقه كذلك ولا يمكن في حقه غير ذلك وإن كان زيد في نفسه من حيث هو ممكناً في حقه التغيير .

---

(١) مصباح المتهجد : ١١٦، وبحار الأنوار : ٨٤ / ١١٠.
(٢) سورة الإنسان ، الآية : ٢.
(٣) في نسخة أخرى : في وصفه نفسه لعباده .
(٤) سورة الإسراء ، الآية : ١.

أقول : هذا السؤال هو الذي أدخلهم في الخطأ حتى قالوا بما يلزمهم القول بالإيجاب كما سمعت من قولهم : إنه ليس للحق تعالى إلّا وجه واحد ، وإن الاختيار المنسوب إليه تعالى تنافيه وحدة المشيئة ، لأن المشيئة نسبة تابعة للعلم والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم أنت وأحوالك كما نقلناه من الملا محسن في الوافي وهو كلام عبد الرزاق في شرح الفصوص ومرادهم ما أفادهم إمامهم مميت الدين من أن علمه تعالى مستفاد من المعلوم ، حتى أنه في الوافي نقله ثم اعترض على نفسه بأن هذا يلزم منه الافتقار في علمه إلى الغير ثم أجاب بتوجيه هذا الكلام ورده ثم بعد الرد بقليل قال به في قوله السابق والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم أنت وأحوالك وتحرير شبهتهم أنه تعالى عالم في الأزل بأن زيداً حيوان ناطق فلو لم يخلقه أصلاً أو يخلقه[1] فرساً حيواناً صاهلاً انقلب على جهله[2] لعدم مطابقته ولو لم يعلم به في الأزل لزم كونه جاهلاً لعدم علمه بما سيكون قبل أن يكون ، وكلا الفرضين باطل وهذا ظاهر فوجب أن يكون عالماً بأن زيداً حيوان ناطق فيجب أن يخلقه كما علمه ، لأن فعله كذلك من أثر مشيته لذلك ومشيته من علمه وعند خصوص أتباع ابن

(١) في نسخة أخرى : خلقه .
(٢) في نسخة أخرى : انقلب علمه جهلاً .

عربي وعلمه من المعلوم حصلت لهم هذه ، لأن المعلوم يعطي العالم العلم به فعلمه مستفاد من المعلوم وأما جواز كون الممكن في نفسه قابلاً للشيء ونقيضه فأمر راجع إلى تجويز العقل بكون الممكن قابلاً للشيء ونقيضه وأي الأمرين وقع عليه الممكن فهو ما هو عليه في نفس الأمر لا غيره هذا في الجملة تحرير شبهتهم وما يتفرع عليها والجواب عن هذه بحيث يرتفع عمن قال بها إذا كان طالباً [للحق](١) منصفاً يتوقف على تطويل بتقديم مقدمات وإيراد شبهات تعارض شبهتهم حتى تنسلّ من القلوب التي أشربت حبّ هذه الأوهام ، وقد ذكرنا كثيراً منها في شرح رسالة العلم للملّا محسن من أرادها طلبها إلّا أنا نذكر شيئاً يكفي العارف المنصف إذا ساعده التوفيق .

بيان أن الله يعلم ما يكون ويعلم ما يشاء أن يغيّره

قلت : قلنا : هو سبحانه يعلم ما يكون وما يشاء أن يغير إلى ما شاء فكلّ طور يمكن أن يكون الممكن عليه فهو يعلمه وكل احتمال فيما يشاء فهو يعلمه ويعلم ما يكون مما يكون حين يشاء كيف يشاء فإذا علم زيداً أنه سيكون حيواناً ناطقاً فهو في علمه وإذا شاء أن يغير إلى ما يشاء فهو في علمه فإذا أراد غير ما يشاء كيف يشاء وفي كلّ

---

(١) من نسخة أخرى .

تغيير وتقرير ومحو وإثبات فهو مطابق لما هو عليه في علمه فتغيير ما علم إذاً تقرير لما علم لأنه شاء ما علم فإذا شاء تغييره كان شائياً لما علم سبحانه لا يقدر الواصفون وصفه .

أقول : والإشارة إلى الجواب أنه يعلم ما يكون ويعلم ما يشاء أن يغيّره إلى ما شاء قبل أن يكون أو[1] بعد أن يكون ، وأما تغيير ما علم أنه يكون قبل أن يكون هو عنده سبحانه من نوع التغيير[2] ما علم أنه يغيّره بعد أن يكون ، لأنه تعالى إذا علم أنه يغير ما علم أنه يكون قبل أن يكون كان معنى كونه الذي علم تغييره أنه يتحقق في رتبة أو رتبتين مثلاً من مراتب أكوانه وأنه يغيّره بعد ذلك كما لو علم تحقق معناه في العقول ثم يغيّره بعد ذلك أو في العقول والنفوس ثم يغيّره إلى ما شاء من حكم قوله : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[3] وهكذا وليس معناه أنه علم أنه يكون وأنه يغيّره قبل أن يكون ، لأن هذا مستحيل إذ ليس علمه زمانياً وليس فيه استقبال كما قال عليه السلام : **(ليس عند ربك زمان)**[4] ، وإنما تعلق علمه بكونه حين كان في وقت وجوده

---

(١) في نسخة أخرى : و .

(٢) في نسخة أخرى : تغيير .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٣٩.

(٤) لم نجده فيما توفّر لدينا من مصادر .

وروى الصدوق عن يعقوب بن جعفر الجعفري عن أبي إبراهيم موسى بن =

ومكان حدوده قبل أن يكون عند الخلق وعند نفس المكون ، لأن الكون والتحقق عند الخلق فيما سيكون مستقبل فإذا وقع في وقته الخاص به في مكان تكوّنه انتهى الاستقبال والانتظار عند سائر الخلائق وعند نفس المكوّن ، وليس عند الله عزَّ وجلَّ انتظار ولا استقبال فيتعلق[١] علمه بكونه حين كونه لا قبل كونه وإن كان عند الخلق قبل كونه ، فإذا علم أنه يكون فمعناه أنه تعالى علم أنه كان فلا يصحّ أن يقال علم أنه سيكون وعلم تغييره قبل أن يكون إلّا على معنى كونه في بعض مراتب وجوداته وعلم تغييره في غير ذلك البعض هذا حكم الكون .

وأما الإمكان فإن الشيء عند الله يمكن فيه ما لا يتناهى من الأكوان فإذا ألبسه كوناً منها بقيت سائر أكوانه غير المتناهية في إمكاناتها من مشيته تعالى وأزمتها بيده ما شاء منها كان وما لم يشأ

= جعفر عليه السلام أنه قال : **(إن الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان ولا يحل في مكان ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور لا إله إلا هو الكبير المتعال)** .

التوحيد : باب (٢٨) نفي المكان والزمان والسكون والحركة والنزول والصعود والانتقال عن الله عزّ وجلّ ح ١٣ .

(١) في نسخة : يتعلق .

لم يكن والعلم بها إشراقي ، سواء كان إمكانياً أم كونياً ، أما الإمكاني فقد تعلق بها أزلاً أبداً وأحصاها عدداً ، وأما الكوني فهو ما كان منها لا غير سواء استمر أم غيّر فإنه عزَّ وجلَّ لا يفقد شيئاً من ملكه من المكان الذي أقامه فيه ووقته الذي كوّنه فيه .

والحاصل أن كلّ شيء فقد أحصاه في كتبه وهو عالم بما يمكن فيها وبما يكون منها وبما يغيّره بعد كونه وبما يغيّره إذا شاء كيف يشاء فكلّ طور يمكن أن يكون الممكن عليه فهو يعلمه سبحانه ففي علمه ما كوّن وفي علمه ما غيّر وفي علمه ما لا يغيّر[1] وما لا يكوّن وفي علمه أن يغير ما لم يغير وما لا يغيّر إذا شاء ذلك كيف شاء ، فإذا علم زيداً أنه سيكون حيواناً ناطقاً فهو ما في علمه لأنه كان عنده وإن لم يكن عند نفسه ولا عند أحد من خلقه لأنه تعالى لا ينتظر شيئاً من ملكه وإذا شاء أن يغيّره إلى ما شاء فهو أي التغيير في علمه لأنه كان في ملكه إذ ليس معه استقبال فإذا كان ما في كون علمه[2] زيد حيواناً ناطقاً في عالم الأجسام وأراد تغييره فهو في ملكه إن شاء جعله صاهلاً مثلاً قبل وقت كونه ناطقاً أو بعده أو في حال كونه ناطقاً بأن يجعل ظاهره ناطقاً وباطنه صاهلاً أو ناهقاً أو نابحاً فكلّ ذلك من ملكه الذي لم يكن منتظراً لشيء منه .

---

(١) في نسخة أخرى : غير .

(٢) في نسخة أخرى : في علمه كون .

فهو تعالى مختار في صنعه بكلّ معنى للاختيار ولم يتجدد له شيء لما قلنا من أن كلّ محتمل ففي علمه بما يمكن لها يلبس منها ما شاء من ملابس أكوانها فهو لم يفقد شيئاً من ملكه فكلّ ما يحتمل ويمكن فيما يشاء فهو يعلمه ويفعله بعلمه ويعلم ما يكون في بقائه واستمراره كما أجلّ له وفي تغييره حين انتهى أجل بقائه مما يكون حين يشاء كيف يشاء ، وفي كلّ تغيير فهو في علمه وعن علمه ، وفي كلّ تقرير فهو في علمه وعن علمه ، وفي كلّ محو وإثبات ففي علمه وعن علمه .

فكلّ شيء فهو من علمه إلى علمه وكل شيء فهو مطابق لما هو عليه في علمه فتغيير[1] ما علم إذاً تقرير لما علم ، لأنه عَلِم أن أجل ما علم قد انقضى وإن انقضى يكون منتهياً إلى ما يقتضيه حاله من علمه تعالى ، فإذا غيّره فقد سبق علمه بتغييره ، فتغييره ما علم تقرير لما علم ، وهو معنى قولي : (لأنه شاء ما علم فإذا شاء ما علم تغييره كان شائياً لما علم سبحانه وتعالى عما نسبوه إليه من عدم الاختيار والتصرف في ملكه متى شاء كيف يشاء وسبحانه لا يقدر الواصفون وصفه) ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2] تسبيحاً عظيماً وتعالى علواً كبيراً .

---

(١) في نسخة أخرى : فتغيّر .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ١٨٠ .

في أنّ الله علمه ثابت
لا يحصل عنده تغيير وإن تغيّرت الحالة

قلت : وذلك لأن جميع ما يمكن في حق الممكن فإنما هو من مشيّته وما في مشيّته في علمه ، فإذا علم أن زيداً يكون في الوقت المخصوص في المكان المخصوص ثم انتقل زيد عن المكان كانت الحالة الأولى في علمه ، والحالة الثانية في علمه من غير تغيير بل هو الثبات إلاّ أنه في كونه في المكان الأول هو في علمه في المكانين فإذا كان في الأول وقع غيبه على شهادته فإذا انتقل إلى الثاني فارقت شهادته غيبه ووقع غيب الثاني على شهادته بغير تغيير في العلم على الحالين وإنما تغير زيد بتغيره .

أقول : هذا تكرير للبيان مرة بعد أخرى وهو أن جميع ما يمكن في حق الممكن فإنما هو من مشيّته وإن كان ذلك بقابلية الممكن ، لأن اقتضاء القابلية لا يكون موجباً للإيجاد ، وإنما هو استعداد لقبول المقبول والمقبول من إفاضة الفاعل كرماً وجوداً إذ لا يجب عليه شيء وكل ما يقع على الممكن من آثار مشيته ، وأما تغيرها إلى الخير والشرّ فمن القابلية وما يمكن أن يصدر من المشيئة فهو في علمه الإمكاني أو الذاتي الذي هو الله عزَّ وجلَّ ، أما الإمكاني فظاهر وأما الذاتي فلا بدّ من ارتكاب المجاز ليعود

إلى الإمكان بتقدير التعلق والوقوع الذي هو المعنى الفعلي أو بإرادة العنوان الذي هو المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان .

والحاصل إذا كان الممكن في حالة ثم تغير إلى أخرى ففي علمه الحالة الأولى والثانية من غير تغيير بل هو الثبات أني إذا علمت بأنك الآن هنا وبعد ساعة تنتقل إلى المكان الآخر ، فإذا مضت ساعة وانتقلت فليس هذا تغييراً ، وإنما هو الثبات الباتّ ، هذا بخلاف ما لو لم يكن في علمي الحالة الأولى كما توهِم من قال بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات الزمانية إلّا بعلم كلي وإلّا لزم انقلاب علمه جهلاً وحصل التغيير فيه ، فهو غلط وجهل بل الحق أن العلم الحق الذي لا جهل فيه والثبات الذي لا تغيّر فيه هو أن يعلم الشيء في الحالة الأولى وأنه ينتقل عنها إلى كذا فالأولى والثانية في علمه لا تخرج الأولى عنه بحدوث الثانية ولا تفقد منه الثانية قبل حدوثها ، فالممكن في المكان الأول هو في علمه تعالى وفي المكان الثاني هو في علمه في المكانين ، فإذا كان الممكن في المكان الأول وقع غيبه أي صورته في الكتاب الحفيظ على شهادته المدركة بالحواس وانطبق عليها فإذا انتقل بشهادته إلى المكان الثاني فارقت شهادته غيبه الأول أي السابق على شهادته ولبقي[1] غيبه أي مثاله العلمي القائم في الكتاب الحفيظ في غيب

(١) في نسخة أخرى : بقي .

المكان الأول وفي غيب الوقت الأول ، ووقع غيب المكان الثاني وغيب الوقت الثاني بمثاله الثاني على شهادته بغير تغير في العلم على الحالين بل حصلت مطابقته للمعلوم في الحالين وإنما التغير المتوهم في تغير حالتي زيد حين تغيّر من حاله[1] إلى أخرى من غير تغيّر في العلم ولا تجدد ولا اختلاف أصلاً .

قلت : وذلك لأنك إذا علمت زيداً في مكان في وقت وعلمت أنه ينتقل إلى آخر لا يتغير علمك إذا انتقل كما علمت ، بل كان علمك ثابتاً وعلمك به أولاً لم يتغير بتغير حال زيد ، بل لم تزل تعلم أنه كان في الأول والصورة العلمية من حالته الأولى باقية عندك والثانية التي طابقها زيد بانتقاله باقية لم تتغير ، وإنما انطبقت ووقعت على المعلوم حين انتقل فافهم ، ثم إنك تقول بالبداء وإن الله ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[2] وهذا شرح ما نحن فيه وتفصيل الأشياء يطول بها الكلام فلا فائدة فيه مع ظهور المرام .

أقول : هذا بيان بعد بيان وترديد لِمَا كان ليُحصل لك بالعيان وهو ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

وقولي : (ثم إنك تقول بالبداء) إلخ ، فإذا اعترفت بأن البداء ثابت في خلق الله تعالى لأنه سبحانه أجرى حكمته على إحداث

---

(١) في نسخة أخرى : حال .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٣٩.

الأشياء على حسب قوابلها وحصرها بآجالها فجعل آجالها مقوّمة لها فإذا انتهى أجل بقائها في عالم الأكوان الذي أجل لها محا عنها ما يترتب على آجالها التي انقضت وأثبت(١) لها ما اقتضته حكمته فيما يتقوّم به من الآجال وهذا مما لا إشكال فيه ، فإذا اعترفت بهذا لزمك أن تقول بأن علمه لا يتغير(٢) من خلقه على أن كلامنا هذا جار على الظاهر ، وإلّا ففي الحقيقة فبيان هذا الذي تنكشف به كلّ شبهة متوقف على القول الحق من أن العلم عين المعلوم في كلّ رتبة من مراتب ما يطلق الوجود من قديم وحادث ، فإذا وجدت هذا ظهر لك أن علمه تعالى بخلقه إشراقي وهو وقوع علمه الذاتي على ما وجد من الحوادث في أمكنة حدوده وأزمنة وجوده ، وهو الذي أشار إليه الصادق عليه السلام ، في قوله : (**كان ربنا عزَّ وجلَّ والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**)(٣) انتهى .

---

(١) في نسخة أخرى : أثبتت .

(٢) في نسخة أخرى : لا يتغيّر بما يتغيّر .

(٣) أصول الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١، وكتاب التوحيد للصدوق : ١٣٩ ح ١، وبحار الأنوار للمجلسي : ٤ / ٧١ ح ١٨.

فالعلم الذاتي الذي هو ذاته التي لم تقترن بمعلوم ولا تطابقه ولا تقع [عليه](١) والوقوع الحادث بحدوث المعلوم وهو العلم الإشراقي يوجد بوجود المعلوم ويتغير بتغير المعلوم لأنه المعلوم ، فتغير المعلوم لا يلزم منه شيء غير نفسه فإن بقي فهو العلم وإن تغير فهو العلم ولو فرضت أنه غير العلم وإلّا يلزم تغير العلم عند تغيره قلنا لك إن تغير المعلوم وبقي العلم على الحالة(٢) الأولى لم يكن العلم مطابقاً له وهو باطل بل العلم هو الذي يتغير بتغير المعلوم ألا ترى أنك إذا علمت أن زيداً قاعد فإذا قام ولم يتغير ما عندك من النسبة لم تكن عالماً ، ولهذا دخلت الشبهة على القوم حيث وجدوا هذا ولم يجدوا أن العلم عين المعلوم وإذا وجدوا أن العلم عين المعلوم ولم يجدوا أن العلم الذاتي هو ذاته وأنه تعالى عالم لذاته ولا معلوم ، لأن ذاته لا تطابق شيئاً ولا تقترن بشيء ولا تقع على شيء وليس بينه وبين شيء غير ذاته نسبة بوجه .

وإنما التعلق والاقتران والارتباط والمطابقة إنما هو في العلم الإشراقي ولا يلزم من كلامنا هذا أنه قول بأنه لا يعلم لذاته ، [لأنا](٣) نقول إن قلت : هو عالم بها في الأزل فهو باطل إذ لا

(١) من نسخة أخرى .
(٢) في نسخة أخرى : حالة .
(٣) من نسخة أخرى .

شيء معه في الأزل وإن قلت : إنه عالم في الأزل بها في الحدوث فهو حق لأنه تعالى لا يفقد شيئاً من ملكه في الإمكان كلّ شيء في مكانه الذي وصفه[١] فيه ووقته الذي حصره فيه فهو تعالى في الأزل الذي هو ذاته المقدسة لا يفقد شيئاً من ملكه في أماكنها ورتبها[٢] من الإمكان على أن الذي يلزم منه الجهل هو قولك : هو عالم بها في الأزل بأنك تعتقد أنه ليس في الأزل من الحوادث شيء فما معنى أنه عالم بها هناك ، بل الحق أن يقال : هو عالم هناك بها هاهنا لأنه تعالى ما أوجدها في الأزل فكيف يعلم ما ليس بشيء وقد قال في كتابه : ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[٣] وحيث قال : ﴿لَا يَعۡلَمُ﴾ يلزم منه نفي علمه لأنه لو علم أن له شريكاً ولم يكن له شريك كان علمه جهلاً وإذا قال : لا يعلم له شريكاً كان ذلك علماً فعدم علمه بها في الأزل لا يلزم منه الجهل بل هو العلم فافهم ، ومثال الإشراقي إذا حضر عندك زيد عن يمينك فإن كونه عن يمينك إنما يوجد بقعوده عن يمينك فإذا ذهب زالت هذه النسبة ولم يحصل تغير بوجوده ولا بذهابه فإن يمينك يمينك وأنت أنت قبل مجيئه وبعد ذهابه ، وإنما التغيير في نسبة زيد إليك ولا ينسب إليك إلّا

(١) في نسخة أخرى : وضعه .
(٢) في نسخة أخرى : وقتها .
(٣) سورة يونس ، الآية : ١٨ .

كونه عن يمينك وهي نسبة الإشراقي إلى المشرق والتعلق الحادث بحدوث الحادث والحادث الذاهب بذهابه هو العلم الإشراقي المشار إليه .

معنى الاختيار عند الله سبحانه وتعالى

قلت : فهو سبحانه مختار بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك وليس على حدّ اختيار ما ذكرنا في الوجود البسيط . [ولا يقال] : إن العلة في الوجود إنما كانت لبساطته وذات الله سبحانه أشدّ بساطة من كلّ شيء فيجري ذلك فيه بالطريق الأولى فيكون معنى أنه مختار أنه يفعل ما شاء بقصد ورضا بما فعل لا أنه إن شاء فعل وإن شاء ترك لأن هذا مقتضى المركب من الضدّين كما قرّرتم سابقاً .

أقول : إن الاختيار إذا فُسّر بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك كان الموصوف به أشد تصرّفاً وأقوى تسلّطاً ، وإن فُسّر بمعنى القصد والرضا كان الموصوف به محصوراً في جهة واحدة فيكون أوهن تصرفاً وأضعف تسلطاً والموافق بل الواجب أن يكون الاختيار الموصوف به الحق عزَّ وجلَّ ما يكون المتصف به أشد تصرفاً وأقوى تسلطاً وهو أنه إن شاء فعل وإن شاء ترك ولا ريب أنه أولى بل يجب وإنما عدلوا عن تفسيره في حقه تعالى ، بذلك إلى أنه بمعنى القصد والرضا لتوهم لزوم تغيّر علمه تعالى وهذا

جهل بمقام الجبار تعالى ، وقد أشرنا إلى عدم لزوم ما توهموه على أن عظمة الله عزَّ وجلَّ لا تقدر بعقول البشر فهو مختار بمعنى أكمل معنييه وتوهم منافاة وحدة المشيئة للاختيار ومعارضتها له غلطٌ فاحشٌ ، [لأنا][1] لا نسلّم وحدة المشيئة له لدلالة العقل والنقل على تعددها :

بين تعدّد المشيئة عند الله سبحانه

[أما العقل] فلأن ما كان من نوع البدوات التي هي مورد النفي والإثبات مثل (**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**)[2] مع

---

(١) من نسخة أخرى .

(٢) هذا حديث شريف ورد ضمن عوذة للرياح التي تعرض للصبيان رويت عن الإمام الباقر عليه السلام وهي : (**الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ولا رب لي إلا الله ، له الملك وله الحمد لا شريك له سبحان الله ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، اللهم يا ذا الجلال والإكرام ، رب موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفى ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، لا إله إلا أنت سبحانك مع ما عددت من آياتك وبعظمتك وبما سألك به النبيون وبأنك رب الناس كنت قبل كل شيء وأنت بعد كل شيء ، أسألك باسمك الذي تمسك به السماوات أن تقع على الأرض إلّا بإذنك وبكلماتك التامات التي تحيي به الموتى أن تجير عبدك فلاناً من شرّ ما ينزل من السماء وما يعرج إليها وما يخرج من الأرض وما يلج فيها وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**) . الكافي : ٢ / ٥٧٢ ح ١٠، ومصباح المتهجد : ٥٧، والتحفة السنية : ٢٢٣.

ما يشاهد من الأمور المتجددة والمتغيرة على الاستمرار لا يكون متحداً ، وما نسب إليها من الاتحاد مثل : ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾(٢) فيراد منه الكلية والأمر الكلي ، وما أشاروا إليه من الوحدة يريدون به ما يتعلق بكلّ جزئي .

[**وأما النقل**] فلا يكاد يُحصى من الكتاب والسُّنة مثل : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾(٣) الشامل لكلّ شيء حتى الأحوال والحركات وهذا ظاهر على أنا إذا نظرنا الآيات التي جعلها سبحانه دليلاً على كلّ غائب عنا مثل : ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(٤) ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(٥) ومثل قول الصادق عليه السلام : (**العُبوديةُ جَوهرةٌ كُنهها الرُّبوبيّة فَما فُقد في العُبودية وُجِدَ في الرُّبوبية ، وما خَفي في الرُّبوبية أُصيبَ في العُبودية**)(٦) الحديث .

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ٢٨.

(٢) سورة القمر ، الآية : ٥٠.

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٣٩.

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

(٥) سورة الذاريات ، الآية : ٢١.

(٦) مصباح الشريعة : ٧، وتفسير الأصفى للفيض الكاشاني : ٢ / ١١٢١، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧، وميزان الحكمة : ٣ / ١٧٩٨ ح ٢٤٩٠.

ومثل قول الرضا عليه السلام : (**قد عَلم أُولو[١] الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك[٢] لا يُعلم[٣] إلّا بما هاهنا**)[٤] انتهى .

وجدنا أن مشيئتنا لا تنافي وحدتها اختيارنا بل لا وحدة لها أصلاً إلّا في نفسها لا في تعلقها بل تعلقها متعدد بتعدد شؤوناتنا إن في ذلك ﴿ لَآيَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾[٥] ، وإن ما نسبناه إلى الوجود من الاختيار الناقص لبساطته فلأنه إذا نسب إلى ما يتركب منه ومن ضدّه يكون ناقصاً فلا يكون له ميلان متغايران في المتعلق كالنور والظلمة بل ولا ميل واحد يختلف تعلقه بنور وظلمَة بل مع ما نثبت له من الاختيار لا يميل بطبعه إلى ضدّ نوعه وإن مال إلى أصناف متعددة من نوعه خاصة ، والواجب عزَّ وجلَّ ليس من نحو ما ندركه حتى نحكم عليه بأحكام مدركاتنا بأن البسيط يكون أثره بسيطاً كما توهمه المشبهون حيث قالوا : إن الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد[٦] ، فأحالوا جواز تعدد العقل الكلي قياساً على أحوال

---

(١) في التوحيد والبحار : ذوو .

(٢) في نسخة أخرى : هنالك .

(٣) في التوحيد والبحار : لا يكون .

(٤) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ٤٢، والتوحيد : ٤٣٨ باب بيان علّة إرادته تعالى ، والبحار : ١٠ / ٣١٦ باب ١٩ ح ١، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦.

(٥) سورة الروم ، الآية : ٢٢.

(٦) في نسخة أخرى : الواحد .

خلقه فهو قياس مع الفارق ومع عدم معرفة الخلق أيضاً ، لأن الصادر من الواحد إن كان من ذاته فتلك الولادة وإن كان بفعله فالصادر من الفعل متعدد باختلاف الكمّ والكيف والمكان والوقت والرتبة والجهة ، بل الذي أظهر سبحانه لنا من آثار أفعاله هو الجمع بين الأضداد ليعلم أن لا ضدّ له ، وكثرة الشؤون وكثرة اختلاف خلقه ليعلم أن عظمته لا تقدر على مقدار عقول خلقه فقد تعرّف لنا بأنه تعالى ينسب إليه ما هو عندنا جمع بين الأضداد وارتفاعها ، وأن ارتفاعها عين اجتماعها في وصف تعرّفه فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره بعيد في قربه قريب في بعده دان في علّوه عال في دنوه .

وأمثال ذلك كلها في حال واحدة بجهة واحدة في حقه تعالى قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**لم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً أو يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً**)[1] انتهى .

وعرّف صنائعه لنا فقال : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[2] فكلّ ما يصدق عليه اسم الشيء وكل ما يسمّى باسم ما خلا الله فقد خلقه الله من كلّ ما هو ظاهر أو ما يجري في الضمائر وتكنّه السرائر إما بالذات أو بالعرض

(١) شرح أصول الكافي : ٤ / ١١، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٢٨٥، وتفسير الميزان : ٦ / ٩٤.
(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢١.

بمقتضى أوهام الملحدين والغافلين ، ولقد روى الصدوق[١] في أول كتابه علل الشرائع بإسناده إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام : قال قلت له : لِمَ خلق الله سبحانه الخلق على أنواع شتى ولم يخلقه نوعاً واحداً ؟

فقال عليه السلام : **(لئلا يقع في الأوهام على أنه عاجز ولا تقع صورة في وَهْمِ أحد[٢] إلّا وقد خلق الله عزَّ وجلَّ عليها خلقاً لئلا يقول أحد : هل يقدر الله عزَّ وجلَّ على أن يخلق صورة كذا وكذا لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير)**[٣] انتهى .

فيكون القياس على بساطة الوجود غلطاً والأولوية ممنوعة فيكون معنى كونه تعالى مختاراً خصوص أنه يفعل ما يشاء بقصد ورضاء بل يكون مع هذا إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وأما جعل معنى إن شاء فعل وإن شاء ترك مقتضى المركب من الضدّين فهو

---

(١) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٢) في المصادر (ملحد) .

(٣) علل الشرائع : ١ / ١٤ ح ١٣ باب ٩ (علّة خلق الخلق واختلاف أحوالهم) .

ما ذكرنا من قياسهم الباطل حكم الربوبية على حكم العبودية وليس هذا إلّا حيث لم تظهر لهم هيئة من الربوبية فقاسوها على حكم أنفسهم ، كما قال الصادق عليه السلام في الدعاء المذكور سابقاً : (**بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة يا سيدي فشبّهوك واتخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك**)[(١)] الدعاء .

قلت : [لأنا نقول] : قد قرّرنا أنه سبحانه يتصف بجهتي النقيضين وبجهتي ارتفاعهما وبجهة المركب من حيث بساطته ، لأن كلّ ما يمكن في غيره يمتنع عليه وكل ما يمتنع في غيره يجب له ولهذا قال الرضا عليه السلام : (كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه)[(٢)] ، فالبسيط من حيث بساطته لا تصدر عنه آثار المركب وبالعكس هذا في الخلق ، وأما في ذاته سبحانه فذلك

---

(١) مصباح المتهجد للطوسي : ١١٥ ، وبحار الأنوار : ٨٤ / ١١٠ .

(٢) قال الإمام الرضا عليه السلام : (**خلق الله الخلق حجاب بينه وبينهم ، ومباينته إياهم مفارقته إنّيتهم ، وابتداؤه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كل مبتدىء عن ابتداء غيره ، وأدوه إياهم دليل على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقة المتأدين ، وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته حقيقة وكنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه**) . توحيد الصدوق ٣٦ ح ٢ باب التوحيد ونفي التشبيه ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ح ٥١ ، والاحتجاج : ٢ / ١٧٦ .

بخلاف ما يمكن في الخلق فهو العالي في دنوه ، الداني في علوه بجهة واحدة الظاهر ببطونه الباطن بظهوره بجهة واحدة ، القريب في بعده البعيد في قربه بجهة واحدة ، الأول بآخريته الآخر بأوليته بجهة واحدة ولا يجري ذلك وما أشبهه فيما سواه ويجب في حقه سبحانه فهو في بساطته إحدى المعنى فلا تكثّر في ذاته ولا تعدد ولا حيث وحيث ولا جهة وجهة ولا اختلاف في ذاته بكلّ اعتبار لا بالإمكان والفرض والتوهم ولا بالواقع .

أقول : قد قرّرنا مما عرفناه(١) سبحانه من صفات أفعاله على لسان نبيّه صلّى الله عليه وآله وألسن خلفائه صلّى الله عليه وآله أنه يتصف أي يوصف بجهتي النقيضين وبجهتي ارتفاعهما وبجهتي المركب من حيث بساطته .

أما أن قولي يتصف يعني يوصف فلأنه عزّ وجلّ أكرم وأجل من ذلك ومما تتوهمه الأوهام ولو في التنزيه الإمكاني .

وأما أنه تعالى يوصف بجهتي النقيضين إلخ ، بأن يوصف بمعنى اجتماعهما في وصفه ، لأن امتناع اجتماعهما وارتفاعهما من حدود الحوادث فيكون وجوب اجتماعهما الذي هو عين ارتفاعهما وصفاً للقديم ، إذ ما يمتنع على خلقه يجب له وما يجوز عليهم يمتنع منه تعالى فكون اجتماعهما عين ارتفاعهما أن

---

(١) في نسخة أخرى : عرفنا .

قولك : عال دان معناه ليس بعال ولا دان ، لأن قولك : عال يدل على الجهة[١] العليا والداني عكسه والمعنيان محالان عليه تعالى ، لأن هذا معنى حادث ، وإنما الواجب له سبحانه ما يراد منه أنه ليس بعال إما بمعناه أي يراد منه معنى لا يدل على علو الجهة أو بمعنى ضده وهو دان يعني إذا قلنا في معنى عال نريد أنه بمعنى دان ودان معنى عال وكذا معنى أول هو آخر وليس بذي بدء ، وهكذا فالأول الآخر ليس بأول ولا آخر والظاهر الباطن ليس بظاهر ولا باطن والعالي الداني ليس بعال ولا دان والقريب البعيد ليس بقريب ولا بعيد وهكذا ، وليس ما بين كلّ ضدين يعني ليس بعال ولا دان ولا ما بينهما وهكذا باقي الصفات .

والحاصل هو عزَّ وجلَّ لذاته لا يعرف بشيء ولا ضدّه ولا اجتماعهما ولا ارتفاعهما بل باجتماعهما بمعنى ارتفاعهما وبارتفاعهما بمعنى اجتماعهما ويتصف بجهتي المركب أيضاً من حيث بساطته بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك ، لأن هذا لا يكون لذات شيء إلّا إذا كان مركباً وهذا حكم الحادث .

وأما القديم فيصح منه إن شاء فعل وإن شاء ترك من حيث بساطته بخلاف الحادث ، لأن كلّ ما يمكن في غيره يمتنع عليه وكل ما يمتنع في غيره يجب له لا بمعنى العكس ، إذ الوصف

---

(١) في نسخة أخرى : جهة .

بمعنى العكس من أحكام الحوادث ، وهو المراد بقول الرضا عليه السلام : (**كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه**) ، إذ لا يعرف تعالى بشيء ولا بضده ، لأن كلا الوجهين من أحكام الخلق إذ كلّ منهما غير معنى القديم سبحانه وما هو غيره فهو حدّ لخلقه أي حدّ لذلك الغير وجهة الارتفاع غير[١] جهة الاجتماع في وصف الحق تعالى نفسه لخلقه واتحاد الجهة في كلّ حال عنوان معرفته فهو في بساطته أحديّ المعنى في نفس الأمر وفي الخارج وفي جميع احتمالات الأوهام فلا تكثّر في كنه ذاته ولا فيما تعرّف به ولا حيث وحيث ولا جهة وجهة ولا اختلاف في ذاته ولا فيما تعرّف به بكلّ اعتبار لا بالإمكان إذ لا إمكان في ذاته ، ولا يعتبر إمكان فيما تعرّف به لخلقه وإلّا لما عرف به إذ لا يعرف بالإمكان ولا بالفرض فإنه إمكان ولا بالتوهم فإنه إمكان ولا في الواقع كثرة في ذاته ولا في صفات ذاته لأنها ذاته ، وإنما تكثّرت المفاهيم من ألفاظهما وتعددت ألفاظهما[٢] باعتبار إرادة صفات أفعاله وإنما تعددت صفات أفعاله باعتبار تعدد متعلقاتها ولا فيما تعرّف به كذلك كما ذكرنا مكرراً .

---

(١) في نسخة أخرى : عين .

(٢) في نسخة أخرى : من ألفاظها وتعددت ألفاظها .

قلت : (فكلّ ما ميّزتموه في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم)[١] يعني منكم إليكم والله الغني وأنتم الفقراء ، ومع هذا فهو المؤلف بين المتعاديات والجامع بين المتعاندات وتصدر عنه الأفعال المتضادة فليس بين فعله وبين ما سواه موافقة ولا مخالفة ، لأنه أثر ذاته التي لا يضادها شيء ولا ينادّها شيء هو هو لا إله إلاّ هو إنما الشيء من مشيّته ففعل الشيء وتركه بالنسبة إلى مشيّته سواء ، فهو إن شاء فعل وإن شاء ترك بجهة واحدة ومشيئة واحدة كذلك الله ربي كذلك ربي .

ليس بين فعل الله وبين ما سواه موافقة ولا مخالفة

أقول : (فكلّ ما ميّزتموه) إلخ ، من كلام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، ومعناه كلّ شيء ميّزتموه من غيره بنوع من

(١) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦، وكتاب الوافي : ١ / ٨٩، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : (هل سمّى عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهّم أن لله زبانيتين لأنّهما كمالها وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له) .

أنواع التمييز جسماني أو نفساني أو عقلاني بحيث يتميز بالمائز أنه هو لا غيره بمعنى التعين بالتعيين والتميز بالتمييز (**بأوهامكم**) مما تتوهموه بخيالاتكم وعقولكم (**في أدقّ**) ما يحتمل من معانيه (**فهو مخلوق**) يعني خلقه الله الذي خلقكم (**مثلكم**) أي كما أنكم مخلوقون أو مثلكم أي أنه خلق بمقتضى مداركم فهو مثل لكم ، يعني صفة من صفات أنفسكم أو من صفات أفعالكم فهو صورة أفعالكم (**مردود إليكم**) أو (**عليكم**) على نسخ الحديث .

والمعنى أنّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو غير المعبود تعالى فلا تقبل منكم هذه المعرفة والتوحيد ، بل هو مردود عليكم وأنه[1] من أمثال ذواتكم يرد إليها ، لأنه من صفاتها صدر منها وإليها يرجع ، والله سبحانه مستغن عن معرفتكم إياه وأنتم محتاجون إلى معرفته بما تعرّف به لكم ، ومع هذا أعني ما وصفنا مما عرفنا من نفسه سبحانه من عدم التعدد والتكثر البالغ فوق الإدراك من البساطة فهو المؤلف بين المتعاديات لعموم قدرته وإحاطة علمه ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] والجامع بين المتعاندات كالأضداد ليعلم عباده أن لا ضدّ له وأبرز من فعله القدير على ما يشاء من أمره الأفعال المتضادة بمفاعيلها المتعاندة

---

(١) في نسخة أخرى : أو أنه .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦٣ .

ليعلم أنه ليس بين فعله وبين شيء من خلقه مخالفة ولا موافقة إذ لو وافقها لشابهها ولو خالفها لما صدرت عنه ، لأن فعله أثر ذاته التي ليس لها ضدّ فيضادها ولا ندّ فيشابهها هو هو لا إله إلّا هو .

وقولي : (هو هو) ليس مما يكشف عن[1] كنه ذاته ، لأن ذلك إشارات إلى الخلق وهو قول أمير المؤمنين سيد الوصيين عليه السلام ، في خطبته المسماة بالدرة اليتيمية قال عليه السلام : **(وإن قلت مم ؟ فقد باين الأشياء كلها فهو هو ، وإن قلت فهو هو فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)**[2] إلى آخره .

إنما الشيء من مشيته فلا يكون ضداً له ولا ندّاً له ، لأن الشيء

---

(١) في نسخة أخرى : عنه .

(٢) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : **(وإن قلتَ : مِمَّ هُو ؟ فقد باين الأشياء كلّها فهو هو ، وإن قلتَ : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلتَ : له حدّ فالحدّ لغيره ، وإن قلتَ : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمى القلب عن الفهم والفهم عن الإدراكِ ، والإدراكُ عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطَّلب إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على الفقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته)** . وهي الخطبة المعروفة بدرّة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤، وأولها : **(الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء** =

لو كان ضداً لما صدر عن المشيئة ولو كان نداً[1] لاستغنى عنه .

وقولي : (إنما الشيء من مشيته) ، مقتبس من قول علي عليه السلام ، في خطبة يوم الجمعة والغدير : (وهو منشئ الشيء حين لا شيء)[2] (إذ كان الشيء من مشيئته)[3] .

= شاكر . .) . وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناة . له حقيقة الربوبيّة إذ لا مربوب ومعنى الإلهيّة إذ لا مألوه . صفة أنّه ربّ وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصوّرته الأوهام فهو بخلافه . ليس بربّ من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة ـ م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأوّل لا أوّل له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) . رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢.
ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩.

(١) في نسخة أخرى : نداً له .

(٢) في خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير : (. . . له الإحاطة بكلّ شيء ، والغلبة على كلّ شيء ، والقوة على كلّ شيء ، والقدرة على كلّ شيء ، ليس مثله شيء ، وهو منشىء الشيء حين لا شيء دائم قائم بالقسط . . .) الاحتجاج : ١ / ٧١، ومصباح المتهجد : ٧٥٣ ح ٨٤٣، خطبة الغدير ، والإقبال : ٢ / ٢٥٥، ومصباح الكفعمي : ٦٩٦، والبحار : ٩٤ / ١١٣.

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام فيها : (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا =

فهو إنما سُمّي شيئاً لأنه مشاء ، وأما إطلاق الشيء عليه عزَّ وجلَّ فمن باب التسمية إذ لا بدّ من التعبير عما يعينه[١] من صفاته التعرفية بما يدل عليها من الألفاظ ، ولأجل إنا إنما نعرف مما وصف به نفسه ما هو من نوع الخلق قال الرضا عليه السلام : (**وأسماؤه تعبير وصفاته تفهيم**)[٢] ، فإذا فهمت ما أشرنا إليه ظهر لك أن فعل الشيء وتركه بالنسبة إلى مشيته سواء ، فهو إن شاء فعل وإن شاء ترك بجهة واحدة ومشيّة واحدة سبحانه وتعالى .

قلت : والتنظير بالخلق تشبيه بكلّ اعتبار وفي الدعاء : (بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة فشبّهوك يا سيدي وجعلوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك يا إلهي)[٣] ، وهذا حال من عرف

= شريك له شهادة بزغت عن إخلاص الطوي ونطق اللسان بها عبارة عن صدق خفي إنه الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ليس كمثله شيء إذ كان الشيء من مشيئته وكان لا يشبهه مكونه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه بانفراده عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس ، وانتجبه آمراً وناهياً عنه ، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه إذ لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ولا تمثّله غوامض الظنن في الأسرار . .) . انظر تحف العقول للحراني : ١١ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥١ ، وإقبال الأعمال : ٢ / ٢٥٥ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٩٤ ح ١١٣ .

(١) في نسخة : يعنيه .

(٢) تحف العقول : ٦٣ وفيه : (أسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم) . وانظر التوحيد للصدوق : ٣٦ ، ونور البراهين : ١ / ١٠٣ .

(٣) مصباح المتهجد : ١١٦ ، وبحار الأنوار : ٨٤ / ١١٠ .

من نفسه هيئة فعرف بها ربّه والله لا يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به . فإن قلت : أنا عالم وهو عالم وأنا حي وهو حي ، وأنا موجود وهو موجود ، ولا يستدل على شيء من وصفه بتلك الصفات إلاّ بما نجده .

أقول : إن التنظير بخلقه في شيء مما عرّف به نفسه ليعرفوه به تشبيه له تعالى بخلقه على أي فرض كان والواجب على العباد أنهم إذا وجدوا شيئاً في أنفسهم وفي الآفاق فإن كان بنحو معرفتهم وطريق تمييزهم نزهوا مقامه عزَّ وجلَّ(١) أن يعرف بهَ وإن كان بنحو ما علمهم على ألسن أوليائه عرفوا بأن ذلك من آياته التي يعرف بها وعلى الوجهين ينزهون ذاته المقدسة عن كلّ شيء ، قال سيد العارفين وجمال الموحدين جعفر بن محمد صلوات الله عليهما في الدعاء عقيب الوتيرة : (**بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة**) ، يعني بدت قدرتك بآثارها التي انحطت دون معرفة أدناها عقول خلقه ولم تبد هيئة لها ليصفوها بتلك الهيئة إذ لو بدت هيئتها لفني جميع خلقه وفي الحديث النبوي : (**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف حجاب منها لأحرقت سبحات وجهه جميع ما انتهى إليه بصره من خلقه**)(٢) .

(١) في نسخة أخرى : عزّ وجلّ من أن .
(٢) عوالي اللآلي : ٤ / ١٠٦ ح ١٥٨ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ٤٥ و٧٣ / ٣١ ،=

وروى ابن إدريس من مستطرفات السرائر عن الصادق عليه السلام ، وقد سُئل عن الكروبيين فقال عليه السلام : (**قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ، ولما سأل موسى ربّه ما سأل أمر رجلاً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكّاً**)[١] انتهى .

ولما لم تبد هيئة ولم يقفوا على حدّ لهم من معرفته على بيانه في كتابه وفيما أوحى إلى أوليائه عليهم السلام : فشبهوه بخلقه واتخذوا بعض آياته أرباباً كالصوفية الذين قالوا : إن الله عزَّ وجلَّ هو وجود كلّ شيء فكلّ شيء من خلقه مركب من وجود وهو الوجود الحق تعالى ومن[٢] حدود موهومة فإذا زالت حدود الخلق ظهر الوجود الحق وقد قال شاعرهم :

وَمَا النَّاسُ فِي التِّمثَالِ إلّا كَثَلجَةٍ
وَأَنتَ لَهَا المَاءُ الذِي هُو نَابِعُ

= وشرح أصول الكافي : ٤ / ١٢٩، والحكمة المتعالية في الأسفار : ٧ / ٧٨.

ورواه المازندراني في شرح أصول الكافي بلفظ : (٤ / ١٢٩) (**إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه كل من أدرك بصره**) قيل : سبحات وجهه جلاله وعظمته .

(١) بصائر الدرجات : ٨٩ ح ٢، وبحار الأنوار : ١٣ / ٢٢٤ ح ١٨.

(٢) في نسخة أخرى : ومن ماهية هي .

وَلَكِن يَذُوبُ الثَّلجُ بِرَفعِ حُكمِهِ
وَيُوضَعُ حُكمُ المَاءِ وَالأَمرُ وَاقِعُ(١)

ويقول أحدهم : أنا الله بلا أنا ، يعني إذا تجردت عن حدود الماهية فأنا الله والله سبحانه علّمهم في كتابه أنه إذا تجرد عن حدود الماهية كان آية الله أي دليل معرفته وحقيقة وصفه نفسه لهم قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٢) ولم يقل(٣) ذاتنا .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**)(٤) ، بمعنى أنه تعالى خلق نفس عبده وصفاته(٥) وصف استدلال عليه لا وصف كشف له لأنه تعالى وصف نفسه فلما خلق ذلك الوصف جعله حقيقة عبده فإذا عرف العبد حقيقته عرف ربّه ، لأن حقيقته وصف ربّه لعبده والشيء إنما يعرف بوصفه ، وهذا الوصف حادث لأنه عزَّ وجلَّ كان ولم يوصف وصف ولا موصوف له فخلق وصفاً يعرف به وجعله نفس عبده الذي تعرّف له

---

(١) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١٦٤ .
(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .
(٣) في نسخة أخرى : ولم يقل تعالى : سنريهم .
(٤) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوالي اللآلي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ ـ ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة ـ البحث الروائي .
(٥) في نسخة أخرى : نفس عبده وصفاً له .

به ، وهو وصف دال لا وصف كاشف لأنه كالدخان فإنه يدل بوجوده على وجود النار ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(١) وهو العزيز الحكيم ، والقوم طلبوا معرفته عزَّ وجلَّ من نحو ذاتهم(٢) فشبّهوه بخلقه واتخذوا بعض آياته أرباباً فمن ثم لم يعرفوه ، فإن قلت أنا عالم وهو عالم ، انتهى . كما توهمه بعضهم حيث استدل بمفهوم وحدة الوجود قال : إني موجود يعني هستم وهو موجود يعني هست ، وإذا أمرنا بالاستدلال على معرفته بمعرفتنا دلّ على الاتحاد فقاسوا صفاته على صفاتهم وهو ظاهر الفساد .

سبب وصف الله بالعلم
أنّه خلق العلم وبالحياة أنه خلق الحياة

قلت : قلت هذا معنى قوله عليه السلام : (بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة)(٣) إلخ ، أنّا إنما وصفناه بالعلم لأنه خلق فينا العلم وبالحياة لخلقه فينا الحياة وبالوجود لإيجادنا وليس هذا كمثل ما هو عليه وإنما قبل منكم هذه التوصيفات وتعبّدكم بها لأنها مبلغ وسعكم وحقيقة ذواتكم التي تعرف لكم بها فتصفونه بما هو كمال

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٠.

(٢) في نسخة أخرى : ذواتهم .

(٣) الأمالي للصدوق : ٧٠٧ ح ٩٧٠، والتوحيد : ١٢٤ ح ٢.

عندكم (**وإن الذرة لتزعم أن لله زبانين**)[١] ، **لأن كمالها في وجودهما لها ولهذا قال الرضا عليه السلام : (وأسماؤه تعبير وصفاته تفهيم)**[٢]، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٣] .

أقول : هذا جواب قول من اعترض بقوله : أنا عالم وهو عالم ، وتقرير الجواب أن قولكم هذا هو قول الصادق عليه السلام ، إخباراً عمن شبّه صفاته تعالى بصفات خلقه بقوله عليه السلام : (**بدت قدرتك يا إلهي**) إلخ ، فإنهم كما ذكرنا لما لم يفهموا قول الله سبحانه ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ توهموا أن ما يرونه في أنفسهم هو الله وصفاته الذاتية ، ولو فهموا أن ما يرونه آية معرفة الله سبحانه بما تعرف لهم به من الوصف الحادث لنزهوه عن مشابهة مخلوقاته وشبهتهم بأنا إنما نعرف ذاته وصفات ذاته بما خلق فينا من صفاتنا ، غلط ، لأن معرفة ذاته وصفاته بخلقه تشبيه وإنما نعرف صفاته بما أظهر لنا من صفات فعله فنعرف صفات أفعاله بآثارها و[٤]الأثر يشابه صفة مؤثره .

---

(١) أي قرنين ، انظر كتاب الوافي : ١ / ٨٩.

(٢) تحف العقول : ٦٣ وفيه : (**أسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم**) . وانظر التوحيد للصدوق : ٣٦، ونور البراهين : ١ / ١٠٣ .

(٣) سورة الصافات ، الآية : ١٨٠ .

(٤) في نسخة أخرى : بآثارها إذ .

في أنّ ذات الله لا تُعرف بالكنه بل بصفات الأفعال

وأما ذاته فليس لنا طريق إلى معرفتها وصفاتها عينها ، ولا يمكن معرفتها بالكنه ، وإنما نعرفه بصفات أفعاله إذا نظرنا إلى آثارها فنعلم أنه تعالى عالم ، لأنه خلق العلم والعالم ، ولما خلق فينا العلم علمنا أن الجاهل لا يصنع العالم وعرفنا أنه تعالى حي لأنه أحدث الحياة فينا إذ الميت لا يحدث الحي ، وعرفنا أنه تعالى موجود لأنه أوجدنا ، لأن المعدوم لا يوجد شيئاً وليس هذا الذي عرفنا من صفات أفعاله بآثارها كمثل ما هو عليه في كنه ذاته ، لأن الأفعال لا تدل إلّا على الصفات الفعلية ، كما إذا رأينا الكتابة فإنها إنما تدل على صفة الفعل ، أما أنها تدل على صفات الفاعل الذاتية ، فلا تدل على قوته أو ضعفه أو بياضه أو سواده أو طوله أو قصره أو حسنه أو قبحه ، وإنما قبل منكم هذه الصفات(١) التي لا تدل إلّا على صفات الأفعال وتعبدكم بها لأنها مبلغ وسعكم وغاية طاقتكم وحقيقة ذواتكم التي تعرف لكم بها إذ لا تعرفون كمالاً إلّا على ما عندكم وما تجدونه كمالاً فهو كمال عندكم فما معرفتكم وتوحيدكم بالنسبة إليه إلّا كمعرفة النملة كما روي عن الصادق عليه السلام : (**إن الذرة تزعم أن لله**

---

(١) في نسخة أخرى : التوصيفات .

زبانين)[١] يعني أنّ النملة الصغيرة الحمراء تزعم أن الله سبحانه زبانين أي قرنين ، لأن الكمال في وجودهما عندها وفي عدمهما نقص ، فتصف الله بما هو كمال عندها ، والخلق كلهم بالنسبة إلى ذاته المقدسة كمثل الذرة فإنهم يصفونه بما هو كمال عندهم وهو سبحانه منزه عن جميع ما وصف به خلقه ، وإنما تعرف لهم على حسب ما يمكن منهم وهو أكبر وأجل من أن يوصف بذلك ، ولهذا قال الرضا عليه السلام : **(وأسماؤه تعبير وصفاته تفهيم)** يعني أموراً عبّر بها لهم ليفهموا بها وكلها حادثة وهو متعال عنها ، وهنا قال عزَّ وجلَّ : ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾[٢] وإنما قال : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ لأنه لما نزه نفسه تعالى عما نسبوه إليه من قولهم إن الملائكة بنات الله بقوله : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا

---

(١) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦، وكتاب الوافي : ١ / ٨٩، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : **(هل سمّى عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهّم أن لله زبانيتين لأنّهما كمالها وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له)** .

(٢) سورة الصافات ، الآيتان : ١٨٠ ، ١٨١ .

﴿عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾[١] يعني بهم المرسلين الذين نزهوه عن تلك النسبة فإنهم وصفوه بما أمرهم به وعلمهم إياه فاستثناهم من المشركين بمعنى استثنى وصفهم من وصف المشركين فربما يتوهم أن وصف المرسلين الذين نزهوه عن جميع النقائص يليق بعزه فبيّن لعباده أن وصف النبيين إنما قبله منهم لأنه علمهم إياه ووصف نفسه بذلك لهم لأنه مبلغ علمهم وغاية إمكانهم وإلّا فهو أجل وأكبر من ذلك فبين هذا في آخر السورة إشعاراً بأنه هو نهاية النهايات فقال : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٢] هم والمرسلون[٣] وسلام على المرسلين حيث فعلوا ما أمروا فقال : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي السلام المؤمن حفظهم من كلّ ما لا يحب وحفظ عليهم رضاه لإبلاغهم وتبليغهم وقيامهم بما أمروا به ثم أثنى على نفسه لتنزيهه ذاته المقدسة بالاختصاص بالحمد على ما خلق وعَلِم ورزق .

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان : ١٥٩ ، ١٦٠ .
(٢) سورة الصافات ، الآية : ١٨٠ .
(٣) في نسخة : هم المرسلون .

بيان أن كل ما في الوجود مختار

قلت : (ثم اعلم) أن ما تجد من الاختيار التام فهو أثر اختيار فعله واختيار فعله أثر اختيار ذاته (والوجود) بأسره ليس في شيء منه اضطرار محض ، ولا جبر خالص بل كلّه مختار وكل ذرة من الوجود مختارة ، لأن أثر المختار مختار وهذه الحقيقة اشترك جميع ما خلق فيها الإنسان والجماد إلاَّ أنه كلّما قرب من الفعل كان أقوى اختياراً وأظهر وكلما بعد كان أضعف اختياراً وأخفى كالنور المتشعشع عن المنير كلّما قرب منه كان أشد نوراً وأقوى إظهاراً وظهوراً وكلّما بعد كان أضعف وأخفى حتى ينتهي الوجود فيفنى الاختيار حيث يفنى الوجود سواء كان ذاتياً أم عرضياً كلّ بحسبه .

أقول : اعلم أن الاختيار التام المشار إليه بأن معناه إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وهو المنسوب إلى المكلفين هو أثر اختيار فعل الله ، لأن المنسوب إلى فعل الله هو الذي معناه إن شاء فعل وإن شاء ترك ، واختيار فعل الله أثر اختيار ذاته تعالى ، واختيار ذاته هو ما ينسب إلى فعله بلا مغايرة بكلّ اعتبار ، أما الاختيار الواجب فهو ذاته تعالى ولا كلام للخلق فيه ، وإنما الكلام في

الاختيار المنسوب إلى فعله ومعناه على ما قرّرنا سابقاً[١] : إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وأما تفسيره بمعنى القصد إلى الفعل والرضاء بما يفعل فقد أشرنا سابقاً إلى بطلانه .

واعلم أن الوجود الممكن بأسره ليس في شيء منه اضطرار ولا جبر إلّا ما نفى به من رجحان الفعل عند الفاعل ، بحيث يتعين عنده الفعل ، بحيث لا يتركه إلّا أنه قادر على تركه ، ولكنه لا يشتهيه فمن ثم عيّن الفعل على نفسه وذلك لغلبة شهوته على جهة العقل[٢] ، وكذا كلّ ذرة من ذرات الوجود من كلي أو جزئي إذ[٣] كلّ أو جزء من ذات أو فعل أو صفة أو موصوف أو عرض أو معروض مختارة ، لأنها أثر المختار وأثر المختار مختار لأنه مشابه لصفة مؤثره ، وهذه الحقيقة أعني الاختيار بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك اشترك فيها جميع ما خلق الإنسان والجماد وما بينهما من أنواع الحيوانات والنباتات والمعادن وما بين جميعها من البرازخ إلّا أنه كلّما قرب من الفعل الذي هو أمر الله الفعلي وأمر الله المفعولي كان أقوى اختياراً لأجل قرب مشابهته لصفة مؤثره وأظهر بمعنى ظهور[٤] اختياره كما ترى في الإنسان فإن

---

(١) في نسخة أخرى : سابقاً أنه .
(٢) في نسخة أخرى : الفعل .
(٣) في نسخة أخرى : أو .
(٤) في نسخة أخرى : ظهوره .

الاختيار فيه أقوى منه في الحيوان وفي الحيوان أقوى منه في النبات وهكذا حتى يتوهم من لم يقف بسره على هذه الحقيقة ولم يعثر بلطيف[١] حسّه على هذه الدقيقة أن النبات والجماد غير مختارة بل الحيوانات العجم مع أنه يسمع كلام الله ينطق باختيارها كما قال في السماء والأرض : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[٢] وقال : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[٣] ومثل ذكر الضمائر العائدة إليهم بمضمرات العقلاء ، وقد تقدم بعض بيان ذلك ، وكذلك يسمع ألسِنة المسنون[٤] ناطقة بتكليف الجمادات والنباتات ومعاقبتها على المخالفة وما أعجب حال من ينكر ذلك ولا يقبل التعريف ممن يعرف وما هو إلّا كما عنى الشاعر بقوله :

إِذَا كُنتَ مَا تَدرِي وَلا أَنتَ بِالذِي
تُطِيعُ الّذِي يَدرِي هَلَكتَ وَلا تَدرِي
وَأَعجَبُ مِن هَذَا بِأَنَّكَ مَا تَدرِي
وَأَنَّكَ مَا تَدرِي بِأَنَّكَ مَا تَدرِي[٥]

(١) في نسخة أخرى : بلطف .
(٢) سورة فصلت ، الآية : ١١ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤ .
(٤) في نسخة أخرى : السنّة المنوّرة .
(٥) لم نعثر على هذه الرواية في المصادر التي عندنا .

وكلما بعد من الفعل كذلك كان أضعف اختياراً وذلك مثل الجمادات وأخفى اختياراً حتى أن من لا يعرف يدري(١) بأنها ليست مختارة أصلاً فإنه يدري(٢) أن الإنسان يتصرف في الجمادات والنباتات كيف يشاء ولا يمتنع عليه منها شيء ولم يتفطن في نفسه مع أنه لا ينكر كونه مختاراً مع أنّ القدر يجري عليه وهو لا يشعر ويفعل الله به ما يشاء وهو لا يعلم كما قال عزّ من قائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣) فهو مع اختياره بالنسبة إلى من فوقه بحكم الجماد فليعتبر بهذا في اختيار الجماد بالنسبة إلى اختياره ومثال ذلك كالنور المتشعشع عن المنير هو شيء واحد ولكن أجزاؤه متفاوتة .

فكلما قرُب من المنير كالسراج مع أشعته كان أشدّ نوراً وأقوى إظهاراً لغيره وظهوراً في نفسه ، وكلما بعُد من السراج كان أضعف إظهاراً لغيره ، وأضعف ظهوراً في نفسه أي أخفى وهذا مثل خلقه الله للوجود الكوني وانبساطه في مراتبه من الفعل فإن وجود الإنسان ووجود الجماد وما بينهما كلّه فائض عن الفعل مثل نور السراج فإنه فائض عن السراج فكما أن نور السراج متساوي

(١) في نسخة أخرى : يرى .
(٢) في نسخة أخرى : يرى .
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٢ .

الأجزاء في مطلق النورية في الطبيعة ، وإنما اختلفت في الشدة والضعف من جهة قربها من السراج وبعدها والقرب والبعد هو من متممات قابليتها للاستنارة من المنير .

وتختلف باختلاف قوة المتمم وضعفه ، كذلك أجزاء الوجود الكوني فإن اختلاف مراتبه من متممات قابليات أجزائه فتختلف الأجزاء باختلاف قوتها وضعفها مع تساويها في مطلق قابلية صفاته من النورية والاختيار والشعور والإدراك واختلاف هذه الصفات فيها باختلاف القرب والبعد من الفعل ، وهكذا حكم تفاوت مراتب الوجود حتى ينتهي في انبعاثه من الفعل فيفنى الاختيار بفناء وجودها فما دام شيء من التحقق ثابتاً فالإدراك والشعور والاختيار ثابت بنسبة تحققه بل هي مقتضى الكون فلا يوجد ما لم يوجد بل حيثما عدم عدم الاختيار وبالعكس وهكذا كلّ ذاتي أو عرضي كلّ بحسبه .

في أن للممكن ملكاً موكل به يفعل من دون إجبار

قلت : وما ترى من المجبول كنزول الحجر الذي لا يقوى ظاهراً على الصعود ، فاعلم أن الله سبحانه وَكَّلَ به ملكاً يضعه حيث أمره الله وذلك مما يمكن في الحجر من النزول ، وما ترى من المجبور ظاهراً كالحجر الذي يدفعه الشخص إلى جهة العلو فيصعد مع أنّ شأنه النزول ، فاعلم أن الله سبحانه وكل به ملكاً كان موكلاً بعضو

الشخص الدافع هو أقوى من الملك الموكل بالنزول ، وقد أمر الله الملك الموكل بالنزول أن يمتثل أمر الملك الموكل بالدفع إلى انتهاء شعاع ذلك الملك وشهوة الحجر في شهوة الملك الموكل بالنزول .

أقول : اعلم أن الحجر إذا ترك ونفسه نزل ولم يصعد ويقال هو مجبول على النزول ، ويريدون أنه خلق على طبيعة لا تقتضي إلّا النزول ، وإنما لم يقولوا هو مجبور ، لأن الإجبار لا يكون للشيء من نفسه وهذا طريقة العوام فيما يدركون من الأشياء ، والعلماء عليهم السلام ، والمتعلمون منهم عليهم السلام يشاهدون الأشياء كلها مختارة ، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ وكّل بكلّ شيء ملكاً يقدره حيث يريد الله منه مما هو مقتضى نظام الكون ، فوكل بالحجر ملكاً ينزل به لأنه عزَّ وجلَّ لما خلق الإنسان على أكمل وجه يحتمل الكون جعله في وسط العالم وهو كرة الهواء ، وقدر المكوّنات فوقه وتحته فجعل النار فوقه والماء والسماوات فوقها والأرض تحته ، فوكل بالحجر ملكاً ينزل به إلى قراره وليس أنه مجبول ينزل بطبيعته بل موكل[١] به من ينزل به وليس على نحو الإجبار ، ولكنه جعل شهوته في متابعة الملك فإن صعد الملك صعد الحجر وإن نزل نزل فإذا ترك الملك المنزل وما وكّل به

---

(١) في نسخة أخرى : وكل .

والحجر وشهوته نزل بالحجر لا يريد الصعود ، وقد وكل الله سبحانه ملكاً بعضو الشخص الدافع ، وقد جعله أقوى من الملك المنزل للحجر مثلاً وأمر الله عزَّ وجلَّ الملك المنزل للحجر بطاعة الملك الدافع ، وجعل شهوته في طاعته في خلاف ما وكل به بمقدار شعاع الدافع وسعة أجنحته ، فإذا أخذ الشخص الحجر وزخّه في الهواء تولى الملك الدافع قوة عضو الشخص الرامي بمقدار ما أمره الله سبحانه وقدر له من مسافة الصعود ، واشتهى الملك المنزل متابعة الملك الدافع فيما أمر به من الصعود ، واشتهى الحجر متابعة الملك المنزل في شهوته التكليفية كما اشتهى متابعته في شهوته الطبيعية إلى أن ينتهي شعاع الملك الدافع ، والمراد من شعاعه نهاية قوة دفعه للحجر إلى جهة العلو ، فإذا انتهى شعاعه أوحى إليه مدبر الأمور ومقدرها بأن يكف عن الدافع[1] ويمنع العضو الدافع فيرجع الملك المنزل بعد انقضاء مدة سلطان الدافع إلى مقتضى طبيعته من النزول بالحجر ، لأنه هو تكليفه بما يشتهيه فيرجع معه الحجر إلى النزول وصعود الحجر بالدفع ذاتي له إلّا أنه ناقص والملك الدافع له بالعضو متمم لنقصه فمع المتمم يتساوى عنده الصعود والنزول إذ كلّ منهما ممكن له وكل ممكن له إذا تمت شرائطه مال إليه بشهوته .

---

(١) في نسخة أخرى : الدفع .

وقولي : (بشهوته) أنه كالجائع إذا حضر بين يديه الطعام المتمكن من الأكل بدون مانع فإنه لا بدّ أن يأكل مع أنه لو شاء لم يأكل وإن مات جوعاً فهو مع نفيه[١] للأكل مختار فيه كذلك الحجر ولو قلت لك [هل][٢] يمكن في الحجر الصعود ، قلت : نعم إلّا أنه بدافع ومعين ، وهذا هو مرادنا من اختياره إذ لو لم يكن منه الصعود كان متعذراً فإمكان النزول والصعود بالنسبة إليه كلّ منهما بشرائطه على حدّ سواء ، ولا نعني بالاختيار إلّا هذا ، وإنما كان نزوله وصعوده بميل شهوته لأنه هو باب استعداده[٣] الذي به بقاؤه وقوامه والشيء يلائمه ما به بقاؤه وقوامه وهو معنى الشهوة ولأنه هو تكليفه الذي هو علّة إيجاده فافهم ، فشهوة الحجر فيما يكون من الملك في نزول أو صعود وشهوة الملك المنزل إذا خلّى ونفسه في النزول بالحجر إلى ما يمسكه على مركزه وإذا حضر الملك الموكل بالعضو الدافع للحجر إلى غير جهة السفل مثلاً كانت شهوة الملك المنزل في متابعته ما دام حكم سلطانه ثم ترجع شهوته إلى ميل طبيعته .

---

(١) في نسخة أخرى : تعينه .
(٢) في نسخة أخرى : بل .
(٣) في نسخة أخرى : استمداده .

لا جبر في فعل الممكن بل هو شهوة الاختيار

قلت : فإذا انتهى شعاع الدافع اشتهى المنزل النزول واشتهى الحجر ما اشتهاه الملك ، وليست في الحقيقة قسراً وإنما هي شهوة اختيار كشهوة الجائع للأكل ، فإنه يأكل ولكنه مختار مع أنك ترى أن الجائع الذي يحصل له الطعام وهو قادر على الأكل منه وليس له مانع لا من نفسه ولا من خارج بكلّ فرض لا بدّ أن يأكل مع أنه مختار قطعاً ، هذا كمثال الحجر حرفاً بحرف لا فرق بينهما ، ولكن الطرف الآخر من اختيار الحجر وهو عدم النزول منه باختياره خفي جداً ، لأن الاختيار من الجمادات والنباتات لا يعرفه الإنسان إلاّ بطور وراء العقل ، وذلك لأنسه بأبناء نوعه وجنسه فلا يعرف من الاختيار إلاّ ما كان من نوعه كالإنسان أو من جنسه كالحيوان ، وإذا كان ممن له طور من المشاعر وراء العقل عرف اختيار النباتات والجمادات .

أقول : إذا انتهى شعاع الدافع أي قوة دفعه فإن القوة الفعلية شعاع الفاعل ولم يكن له ميل إلى طبيعته ارتفعت شهوته للصعود كالجائع إذا شبع ارتفعت شهوته للطعام فإذا كان كذلك اشتهى الملك المنزل النزول لأنه[1] مقتضى طبيعته فيميل بشهوته إلى

(١) في نسخة أخرى : لأنها .

النزول ، لأن شهوته للصعود حين انتهى[1] الدافع الصعود ليست بمقتضى طبيعته وإنما ذلك شهوة المتابعة ، فإذا اشتهى المنزل النزول اشتهى الحجر ما اشتهاه الملك المنزل لأنه من نوع طبيعته ، لأن ذلك الملك الجمادي[2] ، وليست أعني شهوة الحجر للنزول في الحقيقة شهوة قسر ، وإنما هي شهوة اختيار كشهوة الجائع للأكل ، فإنه لا بدّ أن يأكل ولا يقدر على ترك الأكل لكنه مختار وتدرك من نفسك أنه مختار وهو يدرك ذلك من نفسه أنه لو شاء ترك وإن مات ، مع أنك تدري[3] أن الجائع إذا حصل له الطعام وهو قادر على الأكل منه ، ولا مانع له لا من نفسه كبعض الأمراض أو من خارج على أي حال كان لا بدّ أن يأكل ، وميل الحجر إلى النزول مثل الجائع في الأكل بلا فرق لكن الطرف الآخر أي ما يقابل ميل الجماد والنبات والحيوان بشهوته التامة ، والطرف المقابل ناقص الشهوة بدون المتمم أي جهة صعود الحجر مثلاً خفي جداً وخفاؤه على من يطلب منها اختياراً كاختيار الإنسان في ظهوره وعدم خفائه ، لأن مثل هذا الرجل قد أنس بأبناء نوعه وجنسه ، فلا يعرف من الاختيار إلّا ما كان من نوع اختيار نوعه ، لأن اختيار الجمادات والنباتات لا

(١) في نسخة أخرى : اشتهى .
(٢) في نسخة أخرى : جمادي .
(٣) في نسخة أخرى : ترى .

يعرفه الإنسان بعقله ، وإنما يعرفه بطور فوق عقله كما إذا كان من أهل التوسم الذين ينظرون بنور الله أعني بأفئدتهم .

أدلة إثبات اختيار النباتات والجمادات وشعورهما

قلت : وأنا أذكر لك شيئين مثالاً وبياناً تستدل بهما على إثبات اختيار النباتات والجمادات وشعورهما .

فالأول : اعلم أن الوجود الصادر عن المشيئة كالنور الصادر عن السراج ومعلوم أن أجزاء النور كلما قرب من السراج كان أقوى نوراً وحرارة ويبوسة مما كان أبعد منه وهكذا حتى يكون آخر أجزاء النور أضعف الأجزاء نوراً وحرارة ويبوسة فإذا فقد النور فقدت الحرارة واليبوسة ولا يمكن وجود أحد الثلاثة الأوصاف بدون الآخرين بل إذا وجد واحد وجدت الثلاثة وإن فُقد فقدت الثلاثة فكذلك الوجود الصادر عن المشيئة كلما قرُب منها كان أقوى وجوداً وشعوراً واختياراً كالعقل الأول وكلما بعُد ضعفت الثلاثة على حدّ سواء إلى الجمادات فتكون الجمادات أضعف وجوداً وشعوراً واختياراً كما قلنا في نور السراج لأنه آية الله تعالى في الآفاق لهذا المطلب لمن ورد هذا المشرب قال تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١) فافهم .

أقول : قد ذكرنا هذا فيما سبق فلا فائدة في ذكره مع أنّ العبارة ظاهرة ليس عليها غبار ، وقد ذكرنا في ما تقدم أن قولنا العقل الأول ليس لأنا نذهب إلى القول بثبوت العقول العشرة بل نريد به أول المخلوقات من عالم الغيب والشهادة ويجري على الألسن ولا نريد به إلّا عقل الكل أي عقل العالم كلّه .

قلت : (والثاني) : اعلم أن الشيء الجماد مثلاً كالحجر إذا أتاه شيء دفعه إلى العلو لا يندفع إلاّ إذا كان يمكنه الاندفاع ولا يمكنه ما ليس في حقيقته بل إنما اندفع إلى العلو لأن ذاته قابلة لذلك كما أن ذاته قابلة للنزول بنسبة واحدة ولكن الله سبحانه جعل علّة النزول وشهوته واختياره راجحة ملازمة للجماد بتسخير الله لأجل منفعة الخلق وأبان علّة الصعود وشهوته واختياره بوجود المقتضى له كما أن علّة النزول وشهوته واختياره بوجود المقتضى له وهو الذي يسمونه العوام بالثقل ، وإذا دفعه إلى العلو دافع فليس في الحقيقة قاسراً بل هو معين لما تقتضيه ذاته ، لأن القاسر هو ما يسلك بالشيء ما لا يمكن في ذاته وهذا محال لأنه إذا دفعه وكان

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

الاندفاع غير ممكن في ذاته فإن لم يندفع لم يقع قسر وإن اندفع فليس هو ذلك بل المندفع غيره .

بيان علّة اختيار الجمادات

أقول : إن هذا الكلام فيه بيان اختيار الجمادات بمعنى بيان علّة الاختيار فيها مثل الحجر إذا دفعه دافع إلى العلو فإنه يندفع ولو لم يمكنه الاندفاع لذاته لم يندفع لكنه إمكان ناقص فيتم إمكانه فيساوي إمكان نزوله ويرجح عليه ما دام موجوداً ولهذا يصعد الحجر الذي من شأنه النزول ظاهراً وإنما اندفع إلى العلو ، لأن ذاته قابلة للنزول وللصعود وإن كان الصعود يحتاج إلى شيء آخر يدفعه لأنا نقول أيضاً النزول يحتاج إلى منزل فلا ينزل من ذاته على جهة الجبر حتى يقال إنه لا يصعد من ذاته بل نقول هو يصعد كما ينزل ، ففي كلا الحالتين قدر الله معه ملكاً بنسبة واحدة إلّا أنه أي الملك المنزل ملازم للحجر لأجل منفعة الخلق ، لأن ذلك هو علّة إقلالهم ، لأن الأرض إنما ثقلهم(١) بكونهم فوقها وهي تحتهم فجعل بلطيف حكمته الملك المنزل للحجر ملازماً له وربما سموه العوام بالثقل حتى أن كثيراً من قشرية الحكماء جعلوا الملائكة صفات الأشياء فقالوا : الملك المنزل للحجر هو ثقله

---

(١) في نسخة أخرى : نقلهم .

والملك الصادم من الحجر هو صلابته ، وهكذا بحيث لو أخذت الملائكة من الحجر ما بقي منه شيء لأنها عبارة عن صفاته ، وهذا غلط وباطل بل الملائكة حيوانات متحركة بالإرادة موكلون بكلّ شيء وهم مفارقون لصفات الحجر مثلاً وإن كان كلّ صفة موكل بها ملك وهو غيرها والملائكة أنفس طيبة طاهرة مفارقة بذاتها للأشياء الموكلة بها مقارنة لها بأفعالها مدبرة لها وهي مغايرة للأشياء ولصفاتها وجميع ما يجري من الأشياء فبالملائكة الموكلين بها ، لأن الملائكة هي المدبرات أمراً والملائكة النفسانية فما دونها من الطبيعية والمادية والصورية والجسمانية لها أجسام لطيفة شفافة على اختلاف أنواعها وأصنافها .

والحاصل إنما ذكرت هذه الإشارة رفعاً(١) لما عسى أن يتوهم متوهم أنا نريد بالملائكة هذه الصفات المنسوبة إلى الأشياء ولأنك إذا عرفت أن جميع أحوال الأشياء إنما تصدر عنها بواسطة الملائكة الموكلين بها عرفت أن نزول الحجر وصعوده بالنسبة إلى ذاته ، سواء باعتبار كون كلّ منهما ممكن الوقوع منه وإن رجح النزول في حالة عدم وجود الدافع فإنما هو لمرجح غلبة شهوة الحجر لأجل ميل الملك المنزل ، كما يترجح الصعود حالة الدفع فيكون الدافع معيناً لا قاسراً والدليل عليه أنه إذا دفعه إلى جهة

---

(١) في نسخة أخرى : دفعاً .

العلو وكان الدافع أقوى من المنزل فإن اندفع فقد كان الاندفاع ممكناً وإن كان لم يندفع لعدم إمكان ذلك في ذاته لم يتحقق القسر وإن اندفع حيث لم يمكن في حقه ، فقد ظهر أن المندفع غيره لأنه لا يمكن فيه الاندفاع وهذا المندفع ممكن فيه الاندفاع فهو غيره فلم يتحقق القسر أصلاً فافهم إن شاء الله تعالى .

قلت : لأنه إذا أمكن فيه ما لا يمكن فيه لا يكون حتى يغير حقيقته إلى ما يمكن فيه فلا يكون هو إياه ، لأن ما لا يمكن فيه لا يمكن أن يمكن فيه ، فإذا دفعه فاندفع كان الاندفاع ممكناً فيه ولكن لطيفته من الوجود قصرت عما يمكن فيه أن يكون بنفسه فكان هذا الدافع معيناً لما يمكن أن يندفع ومتمماً له فكان به الاندفاع ممكناً في ذاته لما في ذاته من قوة الانقياد وهو مطاوعة وهي اختيار لمن يفهم .

أقول : هذا الكلام ظاهر بمعونة ما ذكرنا قبله وكررنا معناه وقولي : (فلا يكون هو إياه) ، أشير به إلى ما ذكرت قبله من قولي ، لأن القاسر هو ما يسلك بالشيء ما لا يمكن في ذاته ، وذلك لأنه إن سلك به ما يمكن في ذاته فهو مطاوع للسالك والسالك متمم لما نقص من المطاوع ، والمطاوع لا يكون مجبوراً ، وإن سلك[1] ما لا يمكن في ذاته فقد صيّره مما يمكن

(١) في نسخة أخرى : سلك به .

في ذاته وهو شيء غير الأول بخلاف ما إذا كان ممكناً في ذاته فإنه مطاوع ولكن لطيفته من وجوده نقصت فتممها الدافع ولطيفة الشيء من وجوده هي كنه حقيقته الإمكانية التي ألبست حلّة الكون فلما تممها الدافع بفاضل لطيفته صعد الحجر فكان الدافع معيناً ومتمماً وكان الحجر مندفعاً والمندفع مطاوع مختار وهو قولي وهو مطاوعة وهو اختيار لمن يفهم .

الاختيار لازم لجميع ذرات الوجود

قلت : فالاختيار لازم لجميع ذرات الوجود ولكن الأمر المحكم أن يكون الشيء على كمال ما ينبغي وكمال ما ينبغي أن يكون التابع تابعاً باختياره لأحوال المتبوع من حيث المتبوعية وإلاّ لم يكن التابع تابعاً ولا المتبوع متبوعاً إذ التابعية والمتبوعية نسبة ارتباط بينهما ومشابهة في الذوات تقتضي المجانسة المقتضية للميل الذاتي المقتضي للاختيار بسبب اختلاف جهة ذات كلّ منهما كما أشرنا إليه مراراً .

أقول : يتفرع على ما ذكرنا سابقاً أن الاختيار لازم لجميع ذرات الوجود فلا يتحقق شيء من ذرات الوجود من ذات أو صفة عارض أو معروض عين أو معنى إلّا مع الاختيار لما بيّنا أولاً ، لأن الاختيار شرط التكليف والتكليف شرط الإيجاد ، لأن

التكليف إرشاد إلى القابلية وتحصيلها وحصولها فلو لم يكن مختاراً لقبح إيجاده قطعاً والحكيم لا يفعل القبيح ، فلا بدّ أن يكون مختاراً ، لأن صحة الاختيار مترتبة على صحة الإيجاد ، ولكن الأمر المحكم المطابق للحكمة الجاري بمقتضى صنع الحكيم العليم القدير على ما يريد أن يكون الشيء على كمال ما ينبغي ، لأنه هو مقتضى صنع الحكيم العليم القدير على ما يشاء ومن كون الشيء جارياً على كمال ما ينبغي أن يكون التابع من حيث هو تابع تابعاً باختياره لأحوال المتبوع ، لأنه لو لم يكن تابعاً باختياره لم يكن تابعاً في الحقيقة ، إذ مفهوم التابع أن يكون تابعاً باختياره لأنه لو لم يكن تابعاً باختياره لكانت التابعية ليست من فعل التابع وإنما هي من فعل المتبوع ، وكذلك حكم المتبوع في أمر الاختيار ، فإنه من حيث المتبوعية مختار وإلّا يسقط حكم متبوعيته ، كما في قصة عيسى عليه السلام مع مَن عَبَدَهُ من دون الله سبحانه غير راض بذلك ، إذ التابعية والمتبوعية نسبة ارتباط بشرط الرضاء وهو الاختيار هنا إذ بدون الرضاء لا يتحقق التابعية والمتبوعية ، ولهذا سقط اعتراض عبد الله بن الزبعرى على قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[1] بقوله : نرضى أن نكون نحن وآلهتنا وعيسى ابن مريم عليه السلام في جهنم ، لأنه عليه السلام عُبِدَ من

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٨ .

دون الله فسقط اعتراضه لعدم تحقق النسبة[١] التابعية والمتبوعية ، لأن ذلك بغير اختيار عيسى ابن مريم عليه السلام وبغير رضاه ، وأيضاً التابعية والمتبوعية مشابهة في الذوات مقتضية للمجانسة ولولا المجانسة في الجملة لما حصلت المشابهة ، ولولا المشابهة لما حصلت التابعية والمتبوعية ، وإنما حصلت لوجود المجانسة والمجانسة تقتضي الميل الذاتي من كلّ واحد من المتجانسين[٢] إلى الآخر وهذا موجب للاختيار بسبب أن جهة التابعية مخالفة لجهة المتبوعية ، فميل الموافق إلى المخالفة والمخالف إلى الموافقة لا يكون إلّا عن اختيار كما ذكرنا ذلك مراراً فافهم والمخالفة في التابعية والمتبوعية والموافقة في المجانسة .

قلت : ولو كان تابعاً بغير اختياره لم يكن تابعاً لما قلنا والنبات والجماد في الوجود تابعان للحيوان لأنهما من فاضل طينته فيجب أن يكون تابعاً في تلك الأحوال ، فيجب في الحكمة لانتظام الوجود أن يكون تابع يحمله ويقلّه كالماء والتراب ، وتابع يظله كالنار والسماء ، وتابع يحيط به كالهواء ، لأن جميع الأكوان تابع للإنسان فعلة الصعود والنزول لتسخير ولي التدبير لأنها إعانة منه لها فيما أراد منها .

---

(١) في نسخة أخرى : نسبة .

(٢) في نسخة أخرى : المجانسين .

أقول : قد ثبت أن التابع تابع باختياره لأنه لو كان تابعاً بغير اختياره لم يكن تابعاً بل هو مجبور والمجبور قاده المجبر له بغير اختياره فلا يكون تابعاً ولما ثبت أن النباتات والجمادات كلها تابعة في الوجود للإنسان ، لأن الحيوانات والنباتات والجمادات كلها خلقت من فاضل طينته أي من شعاع وجوده لأجله أي لينتفع بها في نفسه وفي شؤونه ، وجب في الحكمة أن تكون كلها تابعة لأحواله لكونها من فاضل طينته خلقت ولمنافعه كونت ، فكان الإنسان هو علتها المادية والغائية فيجب في الحكمة أي[1] تَجري في جميع أحوالها وصفاتها على متابعة علتها وأصلها فيما يوافقها وما يوافق العلة التي هي الإنسان لانتظام وجوده فيكون بعضها ، أعني تلك التوابع تابعاً يحمله ويقله كالماء والتراب ويكون بعضها تابعاً يظله من فوقه كالنار والسماء ويكون بعضها تابعاً يحيط به كالهواء ، لأن الهواء به استنشاق روحه ودوام حياته ومادتها بحرارته ورطوبته ولأنه وسط التوابع إذ فوقه النار وسبع سماوات وفلك المنازل وفلك البروج والكرسي والعرش وجسم الكل والمثال وجوهر الهباء والطبيعة والنفس والروح والعقل فهذه تسعة عشر بعدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم وتحته الماء وسبع أرضين والملك الحامل لها والصخرة سجين والثور والحوت

---

(١) في نسخة أخرى : أن .

والبحر والريح العقيم وجهنم والطمطام والثرى وما تحت الثرى والجهل ، فهذه تسعة عشر أشياء بعدد زبانية سقر فالإنسان هو القائم بين الطتنجين والمتوسط بين البحرين ، لأن هذه الأكوان العلوية والسفلية كلها تابعة للإنسان فتكون علّة صعود بعضها وهبوط بعضها من تسخير الله سبحانه بتدبيره لمنافع الإنسان ببقائها وعلة بقائها بتكليفها ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(١) وعلة تكليفها بكونها مختارة وعلة اختيارها صنع كلّ شيء منهما مركباً من شيئين مختلفين كما مرّ وأوجدها على ما تكون مختارة لئلا تكون للناس ولسائر خلقه عليه تعالى حجة وإعانة منه سبحانه لها على ما يريد منها وله الحمد أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً .

في بيان كمال الصُّنع

قلت : فكمال التابع على ما ينبغي وكما ينبغي أن يختار المتبوع متبوعية التابع ويريدها ويختار التابع تبعية المتبوع ويريدها وهو المراد من الاختيار ، وسخّر الله كلاًّ منهما معونة منه لما أحبّا ، وإلاّ لم يكونا إياهما إذ لا يكون الشيء إياه إلاّ بما يمكن له فافهم ما كررنا لك .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٤.

أقول : هذا من تمام ما تقدم وهو أنه قد ثبت أن كمال الصنع أن يكون على كمال ما ينبغي وكمال صنع الشيء أن يكون المصنوع وصنع الشيء على كمال ما ينبغي أن يكون مختاراً في كلّ شيء من أحواله ومن ذلك أن يختار المتبوع متبوعية التابع بمعنى أن يكون مختاراً في المتبوعية إذ لو لم يختر ذلك لم يكن متبوعاً للتابع ولو فرض أن التابع اتبعه(١) لأنه إذا كان بإجباره لم يكن متبوعاً له وإن تبعه فلا تترتب عليه أحكام المتبوعية إذ لا تترتب إلّا مع الرضا بالمتبوعية عن اختيار كما حكى سبحانه عمن رضوا بالمتبوعية عن اختيار في ترتب الأحكام على متبوعيتهم قال تعالى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾(٢) وكذلك التابع فإن كمال إيجاده أن يختار تبعية المتبوع كما ذكرنا ، وإنما جعل الله ذلك في كلّ من التابع والمتبوع لما في حقيقة كونهما وإعانة منه سبحانه لهما على ما أراد منهما من وقوع التضايف لما يترتب عليه من الأحكام وإنما هما كذلك بما جعل لهما من خصوص هذا الميل الاختياري وأمثاله ولو لم يجعل لهما ذلك لم يكونا إياهما أي تابعاً ومتبوعاً بل كانا شيئاً وشيئاً آخر فافهم .

---

(١) في نسخة أخرى : تبعه .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ١٣ .

في بيان أن الاختيار كان في عالم الذرّ

قلت : وليس تسخيره تعالى قسراً وإنما خلقها على ما هي عليه وما هي عليه إلاّ بما سألته ولم يجبرها على السؤال بل سألها باختيارها ، ولهذا قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1] استخباراً وتقريراً لما علموا فأتاهم بذكرهم وما انطووا عليه ورضوا به فلما أتاهم بالاختيار وخيّرهم أقرّ من أقر وجحد من جحد ولو قسرهم لم يمتنع منهم أحد وهذا البيان والمثال إنما هو باللسان الظاهري .

أقول : قد ذكرنا أن تسخير الله تعالى سبحانه للأشياء على التلازم والانضمام والاقتران ليس قسراً بأن يكون تعالى عزَّ وجلَّ أجبرهم على ذلك لما قرّرنا سابقاً من أن المحدث من ذات أو صفة أو عين أو معنى مادي أو مجرد حيوان أو غيره مركب أو بسيط لا يمكن أن يكون حتى يكون له اعتبار من ربّه وهو وجوده ، واعتبار من نفسه وهو ماهيته ، فخلق على ما هي عليه من كونها لا تتحقق إلّا بالاعتبارين المذكورين ، ولا تكون مخلوقة على ما هي عليه حتى تخلق على مقتضى قابليتها

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

باختيارها ، ولا يكون ذلك حتى يجري عليها الإيجاد ويوجه الصنع بسؤالها ذلك منه تعالى ، ومع هذا لم يجرها[١] في الصنع على محض السؤال ، إذ مقتضى محض السؤال أن يخلق على مقتضى الفعل ، سواء كان على نحو الاختيار أم على نحو الاضطرار ، إلّا أنه لو خلقها على نحو الاضطرار لم تكن على كمال ما ينبغي ، وإن لم تكن على كمال ما ينبغي لم يكن الصنع على كمال ما ينبغي ، بل يكون مخالفاً للكمال والحكمة ، وذلك صنع العاجز الجاهل ، وأما صنع القدير العليم فيجب أن يكون على كمال ما ينبغي وذلك مقتضى للإيجاد على جهة الاختيار والإيجاد على جهة الاختيار اقتضى أن يتوجه طلب قبول التكوين على جهة السؤال ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ استخباراً لهم في الرضاء بالاستجابة له فيما طلب منهم وتقريراً لهم على ما طلبوا منه بإجابته لهم بأن خلقهم على ما قبلوا من تكوينه إياهم ، فأتاهم من أمره الفعلي والمفعولي بما ذكّرهم به حين ذكّرهم في خلقه وجعله لهم على ما ذكّرهم به في صنعه وما انطووا عليه من حقائق ذواتهم وقوابلهم مما رضوا به كما ذكرنا ، فلما أتاهم بذكرهم على نحو الاختيار أقرّ من أقرّ باختياره وجحد من جحد بإنكاره بعد اعترافه وإصراره ، ولو قسرهم وأجبرهم لم يمتنع منهم

---

(١) في نسخة أخرى : لم يجبرها .

أحد ولا أنكر منكر منهم ولا جحد ، وهذا البيان والمثال كله باللسان الظاهري أعني طريقة المشائين ، لأنهم إنما يعرفون من المعاني ما دلت عليه العبارة الظاهرة العامية .

خاتمة في بيان علّة تكرار المطالب من المصنف

قلت : وأما المعنى الباطني فهو ما ذكرنا لك من أنه من ملائكة ، وكمال البيان يطول به الكلام ، لما في هذا المقام من الدقائق الخفية ، ولكن هذا تلويح وتمثيل وإشارة . واعلم أن هذا التكرير في العبارات والترديد إنما هو للتفهيم ولو هُذّبت العبارة واقتصرت على الإشارة لكلّت البصائر وانسدّت المذاهب إلى هذه المطالب ومع هذا فإن عرفت فأنت أنت والله ولي التوفيق .

أقول : هذا آخر ما كتبت من الفوائد وبيانه آخر ما أردت من البيان والتعليق على هذه الفوائد حيث إنها لا تعرف إلّا بتعريف مني لبعدها عن إدراك الأوهام وبنائها على معاريض الكلام من حكمة الأئمة الأعلام عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وقولي : (المعنى الباطني) فهو ما أشرنا إليه من ذكر أن الإنزال والإصعاد في النبات والجماد من الملائكة الموكلين به كما أشرنا إليه قبل هذا إلّا أنه هو لسان أهل الشرع عليهم السلام ، وإياك ثم إياك أن تطلب فهم هذه المطالب بنمط ما

ذكروه في كتبهم ، فإن طريقهم وفهمهم كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : (**ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها**)(١) انتهى .

وهذه المطالب المشار إليها في هذه الفوائد مستنبطة من معاني كلام العيون الصافية التي تجري بأمر الله لا نفاد لها وإياك أن تقول :

وَكُلٌّ يَدَّعِي وَصلاً بِلَيلَى   وَلَيلَى لا تَقِرُّ لِهُم بِذَاكا(٢)

---

(١) بصائر الدرجات : ٥١٧ ح ٨، والكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٤.

ونصّه كما في الكافي : . . . عن مقرن قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ؟ فقال : (**نحن على الأعراف ، نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف يعرفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط ، فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه . إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا ، فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتصم الناس به ، ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها ، لا نفاد لها ولا انقطاع**) .

(٢) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ١١٥، وتفسير الآلوسي : ١ / ١٠٤.

فإني أقول لك :

إِذَا انبَجَسَت[١] دُمُوعٌ فِي خُدُودِ تَبَيَّنَ مَن بَكَى مِمَّن تَبَاكَى[٢]

وإنما كرّرت الألفاظ وردّدت المعاني رجاء أن تفهم المراد ولا تظن أن هذا عن عجزي في تهذيب العبارة فإنه أمر سهل على كلّ أحد ولكني رأيت هذه المقاصد بعيدة عن تناول الأفهام فرددت لك وكررت عليك والله سبحانه ولي التوفيق .

إلى هنا انتهى شرح هذه الفوائد في الليلة التاسعة من شهر شوال سنة ثلاث وثلاثين بعد المئتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام ، بقلم المؤلف لها العبد المسكين أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن داغر الأحسائي المطيرفي غفر الله له ولهم أجمعين والحمد لله ربّ العالمين .

---

(١) في بعض المصادر كلمات مختلفة مثل : (اشتبكت) ، (انسكبت) ، (اشتبهت) .

(٢) بحار الأنوار : ٣٥ / ٣٧٧، وتفسير القرطبي : ٩ / ١٤٥، ووفيات الأعيان : ٣ / ٣١٥.

الفائدة الثالثة عشرة

في الإشارة إلى بيان كيفيّة تكوّن الموجودات وتنزّلاتها في مراتب ظهوراتها وبيان ما يلحق أكوانها من عوارض مراتبها

الفائدة الثالثة عشرة
كيفية تكوّن الموجودات وتنزّلاتها

اعلم أنَّ الله سبحانه خلق الأشياء لا من شيء[1] ، أي لا من مادة كانت معه غير مكوّنة وإلّا لكانت مخلوقة من حِصَص قديمة لم تزل ، تعالى ربي عن ذلك عُلوّاً كبيراً بل خلق لها مادةً اخترعها لا من شيء سبق ، وإنّما هي تأكيد فعله وأثره مثل إيجاد ضربٍ الذي هو الحدَث مِنْ ضَرَبَ وذلك هو هيولى الأشياء ووجودها وهو الذات الذي ذوَّتَ منه ومن أشعّته الذوات ، لأنَّ الجوهر إن

---

(١) علل الشرائع : ٢ / ٦٠٧، وشرح أصول الكافي : ٤ / ١٥٥، وبحار الأنوار : ٥ / ٢٣٠. والحديث طويل عن الإمام الباقر عليه السلام وفيه كما في العلل قال : (يا إبراهيم إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء ومن زعم أن الله تعالى خلق الأشياء من شيء فقد كفر لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليته وهويته كان ذلك الشيء أزلياً بل خلق الله تعالى الأشياء كلها لا من شيء فكان مما خلق الله تعالى أرضاً طيبة ثم فجّر منها ماءً عذباً زلالاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام طبقها وعمها ثم انضب ذلك الماء عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمة عليهم السلام ثم أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ، ولو ترك طينتكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئاً واحداً) .

كان جسماً فهو متقوّم بصفاته وأعراض أفعاله التي هي منشأ قابليته للتكوين والظهور في أعيانِ رتبته ، وإن كان مجرّداً فهو متقوّم بما تلبّسَ وأمكن فيه من صفات أفعاله وأعراض رتبته من الكون وإلى هذا المعنى الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام : (**والذي بالجسم ظهوره فالعرَضُ يلزمه**)[1] انتهى .

والمراد أن المجرّد لا يوجد إلّا إذا قَبِلَ الإيجاد وقبوله لا بُدّ أن يكون متأخراً عن مقبوله بالذات والرتبة لأنَّ القبول فعل موجود والفعل صفة فاعله والصفة متأخرة عن الموصوف في الذات والرتبة لأنّها مخلوقة منه .

ولما لم يكن موجوداً قبل قبوله للإيجاد لتوقفه على قبوله ولم يعقل وجود الصفة قبل الموصوف ، وجب أن يكون ظهورهما معاً لتوقف ظهور المقبول على وجود القابل وتوقف تحقق القابل على وجود المقبول ، لأنّه صفة المقبول وذلك كالكسر والانكسار ، فإنّ الانكسار فعل من الكسر وصفة له إلّا أن ظهوره متوقف على الانكسار ، فلما خلق الله المقبول أعني الهيولى انخلق فانخلق هو القبول وهو فعل من المخلوق أي المقبول خلقه الله بإمكانه واستعداده من نفس المقبول من حيث نفسه أي من حيث هو هو ، وهذا القبول هو صورته وماهيته وظاهره اللازم له وظاهر المجرد

---

(١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار لحيدر الآملي : ٢٣٤.

اللازم له هو وباطن جسمه فإذا تنزّل إلى رتبة الجسمية بظاهره ظهر جسمه ، وهو مادة جسمه أيضاً هي المقبول وظاهرها هو القبول ، أعني معيّناتها من الكمّ والكيف والوقت والمكان والرتبة والجهة وما يلزم ذلك ، وهكذا كلما نزل إلى رتبة تلبّس بأعراضها التي هي حدود قابليته للتنزل[١] إلى تلك الرتبة ، فالقبول في كلّ رتبة من مراتب النزول ظاهر وصفة ومركب حامل للمقبول والمقبول في كلّ تنزّلاته باق في كلّ تنزّله في رتبته قبل التنزل ، وإنما ينزل بحدود صفاته الفعلية ، فالفؤاد تعيّن بإمدادات فعلية فؤادية عقلية تنزّل بها إلى رتبة العقل بالعقل ، والعقل تميّز بتأييدات فعلية تنزّل بها إلى رتبة الروح ثم النفس ، والنفس تشخّصت بمشخصات فعلية نفسانية تنزّلت بها إلى رتبة الطبيعة والطبيعة أنعمت وذابت بأحوال فعلية طبيعية انعقدت بها وتنزّلت [بها][٢] إلى رتبة جواهر الهباء والحصص المادية والجواهر الهبائية والحصص الماديّة تنقّلت[٣] في مراتب تنزّلاتها بما به تعيّنها من آثار الصور الجوهرية النفسانية وتلك الآثار هي الصور المثالية فنزلت تلك الجواهر الهبائية مصاحبة لما لبست من تلك الآثار التي اتّصفت أفعالها بها بالقوة فتلقّتها الملائكة المدبّرة من العرش الذي تلقّتها من الماء

(١) في نسخة أخرى : المتنزل ، التنزل .
(٢) من نسخة أخرى .
(٣) في نسخة أخرى : انتقلت .

الحامل له حتى ألقتها على الريح وألقتها الريح على السحاب ، وألقتها السحاب على الأرض ماء فاختلط به نبات الأرض فانحلّ منه جزآن بجزء من التراب مشاكل فجرى غذاء في الشجر والنبات فخرج متاعاً للإنسان والأنعام ، فكان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم يكسى العظام لحماً ثم ينشىء خلقاً آخر عند الولادة الجسمانية حين ظهرت النفس الحيوانية الفلكية الحسيّة ، ثم تظهر النفس الناطقة القدسيّة عند الولادة الدنيوية وهي التي موادّها من التأييدات العقلية فتتولد نفوس عمرو وبكر وخالد من نفس أبيهم زيد بما صحبها من مقتضيات تشخّصاتها من أفعال طبايعها وأوصافها الكامنة فيها بسبب اختلافها وتغايرها كما تتكثّر(١) الصور المنعكسة عن صورة زيد المنطبعة في المرآة إذا قابلت مرايا متعددة .

ومثال ما أشرنا إليه أيضاً مثل حبّة الحنطة إذا زرعت فإنّ طبيعتها مثل الجوهر المجرد وصفاتها وصفات صفاتها مثل الإمدادات والتأييدات والتنزّلات على نحو ما ذكر في تنزل الفؤاد ، أعني الوجود ، فإن الحبّة تنشق بما فيها من الطبيعة والأفعال التي هي القابلية في كلّ رتبة بحسبها حتى يظهر ما في صفاتها بالقوة منها إلى الفعل عوداً أخضر والحبّة في غيب العود

(١) في نسخة أخرى : لتكثّر .

الأخضر كامنة كنطفة زيد في صلبه التي يتكوّن منها ابنه عمرو إلى أن تتكوّن من تلك الأوصاف سنبلة تكون للحبّ[١] بمنزلة المشيمة وبطن الأُمّ للجنين .

ولما تعددت تلك الأوصاف الفعلية الطبيعية تعدّدت آثارها واختلفت فكانت تلك السنبلة متعددة البيوت فانبسطت تلك الطبيعة على تلك البيوت فتعددت كما تتعدد الصور من الوجه الواحد في المرايا المتعدّدة ، وكما يتعدد[٢] عمرو وبكر وخالد من نطفة أبيهم زيد وهذه الأوصاف الفعلية التي منها تكون الأطوار الجسمية والجسمانية والتعيّنات العقلية والنفسية والطبيعية كانت منها مقبولات عرضية في كلّ رتبة بنسبتها جعلت لها قابليات من نفسها كالمقبولات الذاتية وتحقق الاتّصاف بها بتحقق قوابلها إلى انتهاء قوس النزول بانتهاء أدبار مؤثرها ، فلما قيل له : أقبل فأقبل بآثاره ، أقبلت الآثار بأغراضها بالغين المعجمة وألقت أعراضها بالعين المهملة فاتّصف باطنها بظاهرها وتحلّى[٣] ظاهرها بباطنها ، فحصل لباطنها الأغراض الظاهرة كالباطنة وحصل لظاهرها الأغراض الباطنة كالظاهرة ، فأدركت

(١) في نسخة أخرى : للحبّة .
(٢) في نسخة أخرى : تعدد .
(٣) في نسخة أخرى : تجلّى .

بباطنها الباطن والظاهر وأدركت بظاهرها الظاهر والباطن ، والأصل فيما أشرنا إليه أن الهيولى الأولى أعني الوجود بالمعنى الأول لا تتقوّم إلّا بصورتها ، أعني الماهية بالمعنى الأول لأنها جزء ماهية الشيء إذ كلّ ممكن مركبٌ من مادة وصورة ولكنها في كلّ رتبة بنسبتها فتعيّن الأجناس بالمعيّنات الجنسية والأنواع بالمعيّنات النوعية والأفراد بالمعيّنات[(١)] الشخصية ، والمعيّنات التي هي حدود الصورة والقابلية مخلوقة من نفس المقبول أعني المادة من حيث هي هي ، فإذا[(٢)] كانت جزء ماهية الشيء وإن كانت ظاهره الحامل لباطنه كما خلقت حوّاء من آدم عليهما السلام قال تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[(٣)] ، لأنَّ المادة هي الأب كما تقدم والصورة هي الأم كما دلّ عليه العقل ونصّ عليه النقل[(٤)] .

فالحبّة التي مثّلنا بها هي المادة بصورتها ، والعود الأخضر الذي هو ظاهرها غيب فيها طوته الحبّة في وصفها وفي صورتها

---

(١) في نسخة أخرى : بالتعيّنات .

(٢) في نسخة أخرى : فلذا .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١ .

(٤) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم من رحمته فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه ، أبوه النور وأمه الرحمة**) انظر محاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١، وبصائر الدرجات : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ و ٢ .

طيّاً فإذا زرعتها ظهر العود الأخضر وكمنت الحبة في باطنه كما كمن قبل زرعها في ظاهرها حتى تظهر الحبّة في السنبلة متعددة متكثّرة في أكمامها المتكثّرة ومحالّها المتعددة كما تتحد النطف في صلب الرجل وتتعدد في القوابل وتتكثّر في الأرحام وقد أشرنا إلى ذلك قبل هذا وأدلة ما أشرنا إليه في قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] .

وفي مثل قول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام : **(العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فُقد في العبودية وجِدَ في الربوبية وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية)**[2] الحديث .

وفي قول الإمام الرضا عليه السلام : **(قد علم أولو**[3] **الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يعلم**[4] **إلّا بما ها هنا)**[5] انتهى ، وأمثال ذلك مما يفيده دليل الحكمة .

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

(٢) مصباح الشريعة : ٧، وتفسير الأصفى للفيض الكاشاني : ٢ / ١١٢١، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧، وميزان الحكمة : ٣ / ١٧٩٨ ح ٢٤٩٠.

(٣) في التوحيد والبحار : ذوو .

(٤) في التوحيد والبحار : لا يكون .

(٥) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ٤٢، والتوحيد : ٤٣٨ باب بيان علّة إرادته تعالى ، والبحار : ١٠ / ٣١٦ باب ١٩ ح ١ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٦.

الفائدة الرابعة عشرة

في أن الموجودات المتكثرة من طينة واحدة

الفائدة الرابعة عشرة
أن الموجودات المتكثرة من طينة واحدة

اعلم أن الوجود الممكن ذهب فيه أكثر الحكماء والعلماء من أهل الملل وأهل النحل إلى أن هذه الموجودات المتكثرة المتعددة المختلفة كلها من طينة واحدة ، وإنما اختلف[١] باختلاف معيّناته وتغايرها وتكثّر[٢] بتكثّر مراتبه[٣] من جهة القرب إلى المبدأ والبُعد كما تكثّرت مراتب نور السراج الواحد من جهة قربه من السراج وبعده فأقواها نوراً وحرارةً ما كان أقرب إلى السراج ، وأضعفها نوراً وحرارةً ما كان أبعد منه وما بينهما بالنسبة . فإنه تعالى خلق الوجود لا غير وهو أول ما خلق الله عزّ وجلّ وهو الماء المذكور في القرآن والأحاديث ، فخلق من صفوته نور محمد صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، ثم خلق من صفوة الباقي أنوار الأنبياء عليهم السلام ، ثمّ خلق من صفوة

(١) في نسخة أخرى : اختلفت .
(٢) في نسخة أخرى : تكثّرها .
(٣) في نسخة أخرى : وتكثر مراتبه .

الباقي أنوار المؤمنين من الإنس ، ثمّ المؤمنين من الجن ، ثم الملائكة ثم الحيوانات ثم النباتات ثم المعادن ثم الجمادات .

وأمّا [الإنس][1] الكفّار والجنُّ الكفّار والشياطين والمسوخ والنباتُ المُرّ والأرضُ السبخة فمن عكوسات أولئك الأنوار وأظلّتهم ودلّهم[2] على وحدة طينة هؤلاء المتكثرين ظواهر الأخبار ، فإن ألفاظ تلك الأدلة وردت بالوحدة مثل قوله عليه السلام : (**إنّ أول ما خلق الله الماء وخلق منه كذا وكذا**)[3] .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا

---

(١) زيادة من نسخة أخرى .

(٢) في نسخة أخرى : ولهم .

(٣) روي في العلل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (**إن الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده ثم ذكر ما قال الله للملائكة في أمر خلق آدم إلى أن قال : فاغترف ربنا عزّ وجل غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات وكلتا يديه يمين فَصَلصَلَهَا في كفّه حتى جمدت ، فقال : منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمة المهتدين والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم القيامة ولا أبالي ولا أُسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، ثم اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأُجاج فصلصَلها في كفه فجمدت ثم قال لها : منك أخلق الجبارين الفراعنة والعتاة وإخوان الشياطين والدعاة إلى النار يوم القيامة وأشياعهم ولا أبالي ولا أُسأل عمّا أفعل وهم يسألون**) علل الشرائع : ١ / ١٠٤ ـ ١٠٦ باب ٩٦ ح ١.

ورووا من طرقهم عليهم السلام : (**أوّل ما خلق الله العقل**) انظر محاسن البرقي : ١ / ١٩٦، وأصول الكافي : ١ / ٢١ ح ١٤.

يُؤْمِنُونَ ﴾[١] ، حتى أنه لا يكاد يوجد قائل بخلاف هذا ويجعلون جميع الممكنات من طينة واحدة ورتبة واحدة ، وإنما اختلفت الأشياء بسبب اختلاف مشخّصاتها وبتغاير مراتبها في الشدّة والضعف كما هو شأن مراتب المشكّك بحيث كانت عندهم طينة الحجر والتراب من طينة نور محمد صلّى الله عليه وآله ، وهذا غلط وباطل وزبد مجتث زائل ، إذ لو كان كذلك لأمكن في الناقص أن يلحق بالكامل مع بقاء نقصانه الذاتي فيجوز للمؤمن الصالح العامل بما أمر به أن يسأل الله تعالى أن يجعله نبياً لأنه على هذا القول إنما لم يكن نبياً لأنّه ناقص في بعض ما يتعلق به التكليف ، وإلّا فطينة الأنبياء عليهم السلام وطينة المؤمنين واحدة ، وليس كذلك .

فإن قلت : إنه قد ورد أن الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين مشتركون في طينة واحدة[٢] . . . .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠.

(٢) روي في الكافي والبصائر بسنده عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : **(إن الله خلقنا من نور عظمته ، ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، فأسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيب وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا ، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ، ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلّا للأنبياء ، ولذلك صرنا نحن وهم الناس وصار سائر الناس همجاً للنار وإلى النار)** المحتضر للحلي : ٢٨٣ ح ٣٧٦، وبصائر الدرجات : ٤٠ ح ١٠ .

كما هو معنى حديث بصائر الدرجات[١] .

قلت : نعم وسنذكره إن شاء الله تعالى ، ولكن المراد منه إمّا كون المراد من الشيعة الأنبياء عليهم السلام ، فيكون المراد من الشيعة مطلق الأنبياء ومن الأنبياء المرسلين ، أو المراد بالطينة المشترك فيها طينة الصفة أعني الشيعة لا طينة الذات أو الصورة الذاتية ، أعني الصبغ في الرحمة . فإنَّ الله تعالى خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته[٢] ، والمراد بالمشاركة في نقل العلم منهم عليهم السلام كما قال الباقر عليه السلام في حديث الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً ﴾[٣] .

---

(١) هو لمحمد بن الحسن الصفار ابن فروخ الصفار أبو جعفر الأعرج مولى عيسى بن موسى بن طلحة بن عبد الله بن السايب بن مالك بن عامر الأشعري ، عالم جليل له مؤلفات كثيرة منها : كتاب فضل القرآن ، والمثالب ، والمزار ، والمناقب ، والرد على الغلاة ، والملاحم ، والجهاد ، والصلاة ، والنكاح ، وغير ذلك . توفي سنة ٢٩٠ هـ .

(٢) قال الإمام الصّادق عليه السلام لسليمان : (**يا سُلَيْمانِ إنّ الله تعالى خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية ولعليّ أمير المؤمنين فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوهُ النور وأمّه الرحمة ، وإنّ المؤمن ينظر بنور الله الذي خُلق منه**) بصائر الدرجات : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ ـ ٢ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ٧٥ ح ٦ ، وتفسير الصافي للفيض الكاشاني : ٥ / ٥١ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وميزان الحكمة : ٣ / ٢٣٩٥ .

(٣) سورة سبأ ، الآية : ١٨ .

وقال عليه السلام : (بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن فنحن القرى التي بارك الله فيها وذلك قول الله عزّ وجلّ فيمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم أن يأتونا ، فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ ، أي جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها ﴿ قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ السير مثل العلم سير به سيروا فيها ليالي وأياماً ، مثلٌ لما يسير من العلم والليالي والأيام عنّا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام آمنين فيها إذا أخذوا عن معدنها الذي أمروا أن يأخذوا منه آمنين من الشك والضلال والنقلة من الحلال والحرام)(١) . رواه الطبرسي(٢) في الاحتجاج .

عدم اتحاد الوجود الممكن وكيفية خلقهم

والحق أنَّ الوجود الممكن ليس متحداً في الرتبة الذاتية ولا في الرتبة التنزلية كما ذكره الأكثرون من أن تعدده في الرتبة التنزليّة كتعدد نور السراج الواحد في مراتبه التنزليّة مع أنّ رتبته الذاتيّة واحدة .

---

(١) الاحتجاج للشيخ الطبرسي : ٢ / ٦٣ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٢٣٣ ح ١ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٣٣٠ ح ٤٩ ، والتفسير الصافي : ٦ / ٩٢ باختلاف يسير .

(٢) هو أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي أو المشهدي . =

فقولنا : إنَّ وجودات الممكنات ليست متحدة في الرتبة الذاتيّة ، نريد به أن الرتبة الأولى مختصّة بالخلق الأول وليس لمن بعدهم فيها نصيب بوجه من الوجوه (ولا ربط بينهما) إلّا ربط العليّة والمعلوليّة فالوجود الذي خلقت منه العقول لم تخلق منه النفوس لا من صفوته ولا من باقيه ، وإنّما خلقت النفوس من أثر ما خلقت منه العقول بمعنى أنها خلقت من شعاع ما خلقت منه العقول وآيته ومثاله ودليله أنَّ شعاع الشمس الواقع على الجدار خلق من ظهور جرم الشمس به واستنارة المقابل للجدار المستنير خلقت من شعاع استنارة الجدار واستنارة المقابل للمقابل المستنير ، خلقت من شعاع استنارة المقابل للمقابل وهكذا مراتب الوجود في ترامیها من النور المحمدي صلّى الله عليه وآله إلى التراب ، كلّ سابق منير وما بعده شعاعه ونوره وكل نور جزء من سبعين جزءاً من نور منيره السابق عليه وهو معنى ما رواه في بصائر الدرجات بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال يعني محمد بن مروان سمعته عليه السلام يقول :

(خلقنا الله من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً

= ولد في أربع مئة وسبعين (٤٧٠ هـ) .
توفي شهيداً سنة (٥٦١ هـ) ودُفن في المشهد الرضوي .

وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة ، ولم يجعل الله لأحد في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلّا الأنبياء والمرسلين ، فلذلك صرنا نحن وهم الناس وصار الناس همجاً في النار وإلى النار)[١] انتهى .

والمراد من هذا الحديث الشريف على ما أعرف على سبيل البتّ والقطع عندي أنه تعالى أول ما خلق نور محمد صلّى الله عليه وآله[٢] ، وخلق من نوره نور عليّ وفاطمة والحسن والحسين والتسعة الأطهار من ذرية الحسين عليهم السلام ، كخلق السراج من السراج وهو قول علي عليه السلام : **(أنا من محمد كالضوء من الضوء)**[٣] ، والضوء من المنير لا النور

(١) بصائر الدرجات : ٤٠ ح ٣، والكافي : ١ / ٣٨٩ ح ٦.

(٢) قال أبو جعفر عليه السلام : **(يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين ، فكانوا أشباح نور بين يدي الله)** .
قلت : وما الأشباح ؟
قال عليه السلام : **(ظل النور أبدان نورانية بلا أرواح وكان مؤيداً بنور واحدة وهي روح القدس فيه . كان يعبد الله وعترته ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح ، والتهليل ويصلّون الصلوات ويحجّون ويصومون)** أصول الكافي : ١ / ٤٤٢ ح ١٠.

(٣) بحار الأنوار ٣٨ / ٧٩ ـ ٨٢، ومعاني الأخبار : ٣٥٠ ـ ٣٥٢، وغاية المرام : ١ / ٣٤ باب ٢ ح ١، وأمالي الصدوق : ٤١٥ مجلس ٧٧ ح ١٠ والطرائف لابن طاوس : ٥١٩، والخصائص الفاطمية : ٢ / ٦٠٩، واللّمعة البيضاء : ٦٤. =

وبقوا كما روي[(١)] ، لقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[(٢)] ، وبقوله كما روي عنهم عليهم السلام[(٣)] : (ألف دهر)[(٤)] على ما يظهر لي مئة ألف سنة

= قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً ؛ بقوة جسدية ولا حركة غذائية ، لكن أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة ، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء**) أمالي الصدوق : ٤١٥ مجلس ٧٧ ح ١٠ .

(١) في نسخة أخرى : والضوء هو المنير لا النور .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٥ .

(٣) في الاختصاص وغيره بإسناده عن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرتُ اختلاف الشيعة فقال : (**إنّ الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانيّة ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما شاء ، وفوّض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرّف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية ، فهم أبوابه ونوّابه وحجّابه يحلّلون ما شاء ويحرّمون ما شاء ، ولا يفعلون إلّا ما شاء ، ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الإسراء : ٢٨] ، فهذه الديانة التي مَن تقدّمها غرق في بحر الإفراط ، ومن نقّصهم من هذه المراتب التي رتّبهم الله فيها زهق في بحر التفريط ولم يعرف آل محمّد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم**) . ثم قال : (**خذها يا محمد فإنها من مخزون العلم ومكنونه**) الكافي : ١ / ٤٤١ ح ٥ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٩ ح ٢١ ـ ٤٤ ، ومجمع النورين للمرندي : ٢٤ ، وموسوعة أحاديث أهل البيت : ٢ / ١٩٥ ح ١٦٥ .

(٤) في نسخة أخرى : كل دهر .

يسبّحون : (ألف دهر)(١) على ما يظهر لي مئة ألف سنة يسبّحون الله ويحمدونه ويهلّلونه ويكبّرونه ليس في الوجود الممكن سواهم ، ثم خلق عزّ وجلّ من أشعة أنوارهم أنوار مئة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي عليهم السلام ، وبقوا ألف دهر يسبّحون الله ويحمدونه ويهلّلونه ويكبّرونه ليس في الإمكان غير محمد وآله وغيرهم صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين ، لم يخلق تعالى من تلك الأشعة غير الأنبياء عليهم السلام .

ثم خلق تعالى من أشعة أنوار الأنبياء عليهم السلام أنوار المؤمنين الإنس(٢) ثم أنوار المؤمنين من الجن ، وهكذا على نحو ما ذكرنا قبل هذا ، وهذا هو الحق وهو الذي دلّت عليه آيات الله التي أراها عباده ﴿فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾(٣) (منها السراج ونوره) ، فإنّ نور السراج مع تفاوت أجزائه كلّه من رتبة واحدة (والوجود في تفاوت أجزائه ليس من رتبة واحدة) فلا تكون العقول المجرّدة والأرواح القادسة والجمادات الكثيفة الغاسقة من رتبة واحدة كجزءين من نور السراج ، بل من رتبتين رتبة المنير ورتبة النور فإذا طرق سمعك شيء من كلامهم عليهم السلام مثل

---

(١) في نسخة أخرى : كل دهر .

(٢) في نسخة أخرى : من أنوار المؤمنين الإنس .

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

قولهم عليهم السلام : (**خلق من فاضل طينة كذا**) ، فاعلم أنهم عليهم السلام يريدون بالفاضل شعاع الشيء وإشراقه ووصفه لا تتوهم أنهم عليهم السلام يريدون بالفاضل بقية الشيء أبداً فافهم .

الفائدة الخامسة عشرة

كان اللّه وحده لا شريك له
وليس معه غيره

الفائدة الخامسة عشرة

كان الله وحده لا شريك له وليس معه غيره

اعلم أن الله عزّ وجلّ كان في عزّ جلاله وقدس كماله وحده لا شريك له وليس معه غيره ، وهو الآن على ما كان أعني وحده لا شريك له وليس معه غيره ، ثم أحدث المشيئة الإمكانية بنفسها ، ثم أحدث الإمكان بها فكانت إمكانات الأشياء بإحداثه بمشيّته أعني فعله .

ومعنى أنه أحدث المشيئة بنفسها أن المشيئة معناها بالعبارة الظاهرة التبيينيّة(١) أنها الحركة الإيجادية والحركة الإيجادية محدثة يتوقف إحداثها على حركة إيجادية وهي حركة إيجادية فلا يحتاج في إيجادها إلى غير نفسها .

وإذا سمعت أنّا نقول : خلق الله المشيئة بنفسها ، فاعلم أنّا نريد بذلك أنها شيء واحد غير متعدد لا في ذاته بأن تكون نفسها شيئاً وهي شيئاً آخر ولا في حيثية(٢) بأن تكون نفسها من حيث هي علّة غيرها من حيث هي معلولة ، وإن أردنا هذا في حال التعريف

(١) في نسخة أخرى : التنبيهيّة .

(٢) في نسخة أخرى : حيثيته .

والتبيين وهي بسيطة في أعلى مراتب البساطة الإمكانية إذ كلّ ما يميّز ويدرك مما سواها فبها كان وعنها صدر ولا أول لها في الإمكان غيرها ومكانها الإمكانات التي بها صدرت ووقتها السرمد ، وأحدث سبحانه بها إمكانات الأشياء على وجه كلي لا يتناهى في الإمكان بمعنى أنّ إمكان زيد يمكن أن يكون عمراً ، وأن يكون منه عمرو ، وأن يكون نبياً أو شيطاناً ، وأن يكون منه نبي أو شيطان ، وأن يكون سماءً وأرضاً أو بحراً أو جبلاً أو حيواناً ، وأن يكون منه سماء أو أرض أو بحر أو جبل أو حيوان وهكذا إلى غير النهاية .

والحاصل : إنَّ الممكن ممكن لغيره لا لذاته كما ذكره من قسّم الأشياء إلى خمسة أقسام ، فقال : واجب لذاته وهو الله عزّ وجلّ ، وواجب لغيره وهو وجود المعلول عند وجود علّته التامّة ، وممتنع الوجود لذاته وهو شريك الباري ، وممتنع الوجود لغيره وهو وجود المعلول عند عدم وجود علّته التامّة ، وممكن الوجود لذاته قالوا : ولا يجوز أن يكون ممكن الوجود لغيره إذ لو فرض ذلك لكان قبل الغير ، إمّا أن يكون واجباً أو ممتنعاً إذ الأشياء لا تخلو من أحدها[1] فكان بالغير ممكناً فيلزم انقلاب الحقائق وهو ممتنع .

---

(١) في نسخة أخرى : أحدهما .

والجواب : بالمعارضة أنه[1] إذا كان لذاته كان قديماً لأنّه إن كان شيئاً قبل ما من الغير كان قديماً ، وإن لم يكن شيئاً إلّا بالغير فهو ممكن بالغير وبدليل الحكمة أنه تعالى كان ولا شيء معه في الأزل والأزل ذاته المقدّسة ، بمعنى أن كلّ ما يصدق عليه اسم الشيء حقيقةً أو مجازاً فهو ممتنع في رتبة ذاته تعالى غير ذاته المقدسة وما سواه ، فهو مصنوع له تعالى فلا يكون لذاته بل لغيره ، والممكن إن كان شيئاً فهو ممكن لغيره ، وإلّا فلا عبارة عنه والممتنع ليس شيئاً فلا عبارة عنه ، وقد تقدّم بيان هٰذا في الفائدة الثانية .

بيان أن الإمكان منشأ الأكوان

ثمّ إذا فهمت ما أشرنا إليه فاعلم أنّ الإمكان هو منشأ الأكوان ، وحيث تقرّر في الحكمة أن وجود الصفة فرع وجود الموصوف وجب أن يكون الإمكان ذاتاً لا صفة ، إذ ليس مسبوقاً بموصوف ، وإنما ظهر في الأشياء بصورة الصفة لأنه أصل الأشياء المكوّنة خلقت أكوانها منه وخلقت أعيانها من أكوانها وأكوانُ الأشياء موادها وأعيانُها صور موادها ، وتظهر الأكوان في الأشياء بصورة الصفات فتقول : هذا شيء مكوّن كما تقول ممكن

---

(١) في نسخة أخرى : عنه بشيئين بالمعارضة وبدليل الحكمة ، وأما بالأول فبأنه .

والإمكان للأكوان كالنطفة للإنسان لأنّ الأكوان عقد لمايع الإمكان ، فالأعيان خلقت من الأكوان كما خلقت الأكوان من الإمكان والشيء المركب من مادة وصورة يكون أقوى ركني ذاته ومادتُه ، ولمّا كان الإمكان إنما تقوّم تقوّماً ركنيّاً بهيئة الفعل الإمكاني ، لأنّها مادته وصورته نفسه كما أنّ مادة الصورة التي في المرآة هيئته المقابل وصورتها هيئة الزجاج من الكبر والصفاء والاستقامة والبياض وأضدادها كان ظاهراً فيما هو أصله بصورة الاتصاف به ، ولذا قلنا : إنه ذات إذ ليس قبله موصوف ويظهر بصورة الصفة في الشيء الذي كان هو أصله ، وإن مادته صفة للفعل إذ الذوات أعراضٌ لعللها التامّة ومعروضاتٌ لصفاتها ولظواهرها ، وليس معنى قولنا : إن هذا الجسم مثلاً أو النفس أو العقل ممكن أنه شيء وصف بالإمكان ليكون له رتبة قبل الإمكان ، أي وجد فيها قبل أن يكون موصوفاً بالإمكان كما هو شأن الصفات ، فإنّها إنما تكون من فعل الموصوف اتّصف بها أو من فعل الفاعل للموصوف لحقته بعد تكوين الموصوف فيكون على كلّ حال موجوداً قبل وجود الصفة فيلزم كونه في حال ليس بممكن وهو خلاف الواقع .

وإنما المراد من معنى قولنا : إنه ممكن أنه كوّن من الإمكان أي من الوجود الممكن الذي كنهه من الإمكان ، فلذلك قلنا : هو

ذات بالنسبة إلى ما خلق منه وهو صفته لعلّته التامّة ، فظهر وصفاً للشيء كما تقول : هو موجود ، والقولُ بأنّ الإمكان اعتباري لا تحقق له في الخارج غلطٌ ظاهر ، لأنّهم إن أرادوا بأن زيداً ممكن أنه اتّصف به ذهناً لا خارجاً فهو باطل ، لأنّه إن لم يتصف به خارجاً كان زيد الخارجي قديماً لأنّه إن لم يكن ممكناً كان قديماً ووصفه به ذهناً لا يجعله ممكناً[١] كما لو وصفه بالقديم ذهناً لم يكن بذلك الوصف الاعتباري قديماً ، وإن أرادوا أنه لم يكن قديماً[٢] بنفسه في الخارج فلا ينافي كونه متحققاً في الخارج كالبياض والسواد وكالعلم والقدرة ، فإنها لم تقم إلّا في محالّها [لا بأنفسها[٣]] مع أنّها موجود[٤] في الخارج بلا خلاف إذ ليس شرط الوجود الخارجي بمعنى المقابل للذهني أو الخارجي بمعنى الذي تترتب الآثار على صفاته أن يكون ذاتاً أو عرضاً قائماً بمعروضه قيام عروض بل كلّ ما يقع في الأوهام أو وضع بإزائه لفظ فهو موجود في الخارج ، نعم قد تقع صورته المنتزعة من الخارجي بالذهن[٥] تكون في الذهن لأنّ كلّ شيء لا يتقوم إلّا

---

(١) في نسخة أخرى : إن لم يكن في الخارج ممكناً .
(٢) في نسخة أخرى : قائماً .
(٣) من نسخة أخرى .
(٤) في نسخة أخرى : موجودة .
(٥) في نسخة أخرى : بالذهني .

بمحلّه اللائق به وذلك ما أشار إليه الصادق عليه السلام بقوله : **(كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم)**(١) انتهى .

وبقول الرضا عليه السلام على ما رواه الصدوق رحمه الله(٢) في علل الشرائع بسنده إلى الحسن بن علي بن فضّال ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلتُ [لهُ] لِمَ خلق الله عزّ وجلّ الخلق على أنواع شتّى ولم يخلقه نوعاً واحداً ؟

فقال : **(لئلّا يقع في الأوهام على أنه عاجز ولا تقع صورة في وهم أحد(٣) إلّا وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها الخلق لئلا يقول**

---

(١) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦، وكتاب الوافي : ١ / ٨٩، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : **(هل سمّى عالماً قادراً إلّا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهّم أن لله زبانيتين لأنّهما كمالها وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له)** .

(٢) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .
ولد بدعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٣) في أغلب المصادر : (ملحد) .

أحد : هل يقدر الله عزّ وجلّ على أن يخلق صورة كذا وكذا لأنّه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير)[١] انتهى .

و[٢]الإمكان مما وضع بإزائه لفظ وليس بلفظ مهمل ، ولو كان الإمكان اعتبارياً لكان لفظه على الأصحّ مهملاً لأنّ من قال : إن الوضع بإزاء المعاني الخارجة[٣] كما هو الأصحّ يكون عنده مهملاً بلا إشكال ، ومن قال : إنه بإزاء المعاني الذهنية فإن مراده بتلك المعاني ، المعاني المنتزعة من الأُمور الخارجية ولو كان مراده[٤] الذهنية خاصّةً لكان إذا وضع[٥] بإزائها فاتّفق وجود خارجي لها أو مساوٍ لها لم يصدق اللفظ عليه ولم يميّزه [من غيره][٦] ووجب وضع لفظ آخر للخارجي بل يجب وضع آخر مطلقاً أي سواء طابق أم لا ، وكان مطلقاً من باب الوضع اللفظي حتى لو وضع لفظ زيد على صورته الذهنية لم يكن استعماله في زيد الخارجي إلّا مجازاً بل مقتضى الدليل أنه لو لم يستعمل اللفظ في الذهني واستعمل بعد أن وضع للذهني في المعنى الخارجي

(١) علل الشرائع : ١ / ١٤ ح ١٣ باب ٩ (علّة خلق الخلق واختلاف أحوالهم) .
(٢) في نسخة أخرى : لا ريب أن .
(٣) في نسخة أخرى : الخارجية .
(٤) في نسخة أخرى : المعاني .
(٥) في نسخة أخرى : لكان المعنى إذا وضعت الألفاظ .
(٦) من نسخة أخرى .

أنه يكون مجازاً[١] إلّا أن يجعل الوضع للذهني آلة للوضع على الخارجي فإن كان الإمكان متحققاً في الخارج صحّ الوضع والاستعمال وإلّا كان اللفظ مهملاً لما قرّرنا إن فهمته ونظرت إليه بعين الإنصاف .

(١) في نسخة أخرى : متحققاً في الخارج ، صح الوضع .

الفائدة السادسة عشرة

الفعل من المختار الحكيم لا يتعلّق بمفعول

الفائدة السادسة عشرة

الفعل من المختار الحكيم لا يتعلّق بمفعول

اعلم أنّهم قالوا : إن الفعل إذا كان من المختار الحكيم لا يتعلّق بمفعول إلّا إذا اقتضى التعلّق به بأن يكون راجحاً في قبول الإيجاد وذلك أنهم إنما قالوا : إن الترجيح[1] بلا مرجح محال لأنّهم يريدون أن المحدث لا يمكن أن يوجد بلا موجد ونحن نقول هنا : إن الترجيح[2] بلا مرجح واجب ونريد أن ترجيح الفعل بلا مرجّح لا يجوز من الحكمة ولا يجوز أيضاً أن يكون المرجّح من الفاعل لأنّه يكون ترجيحاً بلا مرجّح ، فلا بدّ أن يكون المرجّح للفعل من المفعول ليكون إيجاده ترجيحاً بمرجح ، وقد أشار سبحانه إلى أن الترجيح[3] يكون من ذات المفعول بقوله : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[4] بمعنى يكاد يوجد قبل الإيجاد .

---

(١) في نسخة أخرى : الترجّح .

(٢) في نسخة أخرى : الترجّح .

(٣) في نسخة أخرى : الترجّح .

(٤) سورة النور ، الآية : ٣٥.

فإن قيل : كيف يكون للشيء رجحان قبل أن يكون شيئاً ؟

قلنا : لهذا جوابان أحدهما ظاهر وثانيهما باطن .

فالأول : إنَّ ترجيح(١) الشيء صفة ذاتية له والصفة لا يعقل وجودها ولا يتصور وجودها حال كونها صفة قبل وجود الموصوف لكنها شرط لوجود الموصوف قد خلقها الله من موصوفها كما أن الانكسار صفة للكسر وشرط لوجوده خلقه الله من الكسر ، فالترجيح(٢) خلق من الشيء الراجح مع خلق الشيء الراجح مع خلق الشيء ، فهما متساوقان في الوجود والظهور ، كما أنَّ الانكسار خلق من الكسر متساوقين فكما أن إمكان الشيء والكسر متّصف بإمكان الترجيح(٣) والانكسار فكذا خلقا(٤) منهما ، لأن الصفة إنما تخلق من موصوفها من جهة الاتصاف .

والثاني : يراد بكون المفعول راجحاً في نفسه عند موجده وهو سبحانه لا يفقد شيئاً ولا ينتظر شيئاً ولا يستقبل شيئاً ، فلم يوجد له شيء قبل شيء فلا يوجد في ملك الله الشيء قبل رجحانه ، ولا رجحانه قبله ، فإذا كان عزّ وجلّ لا يفقد شيئاً ولا ينتظر شيئاً ولا يستقبل شيئاً بل كلّ شيء من ذات أو صفة

---

(١) في نسخة أخرى : ترجّح .

(٢) في نسخة أخرى : فالترجّح .

(٣) في نسخة أخرى : الترجّح .

(٤) في نسخة أخرى : خلق .

حاضرة[١] عنده في مكان حدوده ووقت وجوده بجميع شرائطه ومرجّحاته وأسبابه تمّ له الصنع على أكمل وجه يحتمله الإمكان ، وجرى له الفعل على أمر يقتضي كمال التعريف والبيان ، فجرى إيجاده لعباده على مقتضى العدل بأن أعطاهم ما سألوه باختيارهم وعلى مقتضى الفضل بأن تأنّاهم بلطفه ولم يكلفهم ما لا يطيقون بإجبارهم ، إذ لو كان إيجاده إياهم بدون مرجّح من أنفسهم يقتضي من فعله تعالى ما اختاره لما جرى لهم ثواب بطاعة[٢] ولا عليهم عقاب بمعصية[٣] لأنّ قدرته وفعله يتساويان إلى جميع الأشياء ولا يميّز بينها[٤] إلّا مرجّحاتها وأسبابها ومشخصاتها .

والحاصل : الترجيح بلا مرجّح من المفعول إذا كان من الفاعل[٥] ، سواء كان المرجّح من الفاعل أم بدون مرجح ممتنع في الحكمة إذ يلزم منه العبث والجبر في الأفعال الاختيارية وليس بممتنع في الإمكان بل له تعالى إن شاء أن يفعل ذلك ولا يلزم العبث والجبر ولكن يلزم عدم التعرّف والتعريف ، إذ الشيء لا يدرك إلّا ما كان من نظائره وذلك لأنّه مؤلّف على مقتضى الحكمة

---

(١) في نسخة أخرى : حاضر .

(٢) في نسخة أخرى : بطاعته .

(٣) في نسخة أخرى : بمعصيته .

(٤) في نسخة أخرى : لا تميّز بينهما .

(٥) في نسخة أخرى : المختار الحكيم .

ولو ألّف على خلاف مقتضى الحكمة ليدرك ما يخالف الحكمة لكان على خلاف مقتضى الحكمة فلا يكون مدركاً إذ الإدراك أثر الاستقامة والاعتدال ، وذلك إنما يكون فيما ألّف على مقتضى الحكمة إذ لو كان شيء على خلاف الحكمة لكان على الإهمال وإذا كان على الإهمال لم يدخل تحت قاعدة فيكون التعريف متعدداً مختلفاً بتعدد الأفراد المختلفة فيجب لكلّ شيء من ذات أو صفة تعريف غير ما للآخر فتمتنع معرفة الأشياء لكلّ ممكن إذ الأشياء غير متناهية فلا يمكن ضبط تعريفات غير متناهية للممكن المتناهي إلّا بالضوابط الكلية لأنها هي التي تحيط بالأفراد غير المتناهية ولو كانت بالإهمال ، لم تحط بها الضوابط الكلية فيمتنع التعريف فتمتنع المعرفة فتنتفي فائدة الإيجاد ، وإنّما قلنا : إنّ فائدة الإيجاد تتوقف على معرفة الأشياء لأنّها متوقفة على معرفة الصانع عزّ وجلّ ، ومعرفة الصانع تتوقف على معرفة الأشياء لينزّهه[1] عن مشابهة الأشياء ومشاركتهم له في الذات والصفات والأفعال والعبادات ذات ، وعلى[2] فرض الإهمال لا يتميز[3] الفرق عند المكلّف بين الصانع والمصنوع إلّا بتحصيل المعرفة جميع مميّزات جميع أفراد الأشياء ، وهي غير متناهية فيجب

(١) في نسخة أخرى : لتنزّهه .
(٢) في نسخة أخرى : العبادات وعلى .
(٣) في نسخة أخرى : لا يميّز .

الصنع في الحكمة على مقتضى الحكمة ، وأما الترجّح[1] بلا مرجّح بمعنى موجب الصنع فهو من ذات المفعول حين تكوّنه كما مرّ ولو كان من غيره أو لم يكن أصلاً لكان الفعل مخالفاً للحكمة فيلزم ما ذكرنا في الترجيح بلا مرجح فافهم .

(١) في نسخة أخرى : الترجيح .

الفائدة السابعة عشرة

في سرّ التكليف
وبيان مقتضى الأعمال

الفائدة السابعة عشرة
في سرّ التكليف وبيان مقتضى الأعمال

اعلم أن التكليف في نفس الأمر هو قابلية الإيجاد وهو قسمان : طبيعي واختياري ، فالطبيعي يستلزم الشرع الإيجادي وهو أي الشرع الإيجادي نريد منه الإيجاد على مقتضى الحكمة كما يفعل البنّاء في بناء الجدار ، بأن يضع اللبنة في الموضع اللائق بها بحيث لو نقصت تممها أو زادت كسر منها ما زاد على حجم الدار[١] فهذا هو الشرع الإيجادي اللازم للصنع وبدونه لا يقع الصنع لأنّه إن جرى على مقتضى الحكمة لزمه الشرع الإيجادي وإلّا فلا ، والاختياري يستلزم الإيجاد الشرعي وهو أي الإيجاد الشرعي نريد منه إيجاد مقتضى العمل المأمور به والمنهي عنه بمعنى أنّه إن فعل ما أمر به خلق الله ثوابه ، وإن ترك ما أمر به خلق الله عقابه والثواب مخلوقة[٢] من مادة وصورة فمادته نور يحمله إليه الأمر التكليفي كما أنّ مادة المكلّف نفسه يحملها الأمر الإيجادي وهو (كُن) . فلما قبل الأمر وهو كُن خلق الله سبحانه المكلف من

---

(١) في نسخة أخرى : الجدار .

(٢) في نسخة أخرى : مخلوق .

الوجود الذي حمله كُن وهو مادة المكلّف ، ومن صورة قبوله لتلك المادة وهي ماهيته ، وهذا هو الكون الإيجادي .

فكما أن مادته أي وجوده حمله إليه كُن فكان منه ومن ماهيته وهي قبوله كذلك المدلول عليه بقوله فيكون كذلك خلق ثواب عمله الصالح من مادته التي حملها إليه صلِّ وزكِّ ، وما أشبههما إذا عمل ما أمر به كما أمر ، ومن صورة عمله بذلك الأمر وامتثاله له وهو قبوله للأمر بالامتثال به وخلق تعالى عقابه على مخالفته للأمر أو ارتكابه للنهي من المادة الظلمانية التي حملها النهي إليه ، ومن صورة مخالفته للأمر وارتكابه للنهي فالثواب مادته النور الذي حمله إليه الأمر وصورته عمل المكلّف ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾(١) .

والعقاب مادته الظلمة التي حملها إليه النهي ، وصورته هي ارتكاب المكلّف للنهي ومخالفة الأمر وإن أسأتم فلها ، فالشرع التكليفي ولازمه الإيجاد الشرعي وهو روح الكون والإيجاد الكوني ولازمه الشرع الكوني [وهو] ظاهر الكون هو سرّ التكليف وثمرته إيصال الأشياء إلى ما خلقت له من رحمة الله أو غضبه وذلك هو ما أراده لهم .

وفي الحديث عن جابر أنه جاء سراقة بن مالك فقال : يا

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ٧ .

رسول الله صلى الله عليه وآله بيّن لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ، ففيم العمل اليوم فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل ؟

قال صلى الله عليه وآله : (**بل فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير**)[١] .

قال : فَبِمَ[٢] العمل ؟

قال صلى الله عليه وآله : (**اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق لهَ وكل عامل بعمله**)[٣] انتهى .

قيل : إنه صلى الله عليه وآله علقهم بين الأمرين رهبهم بسابق القدر ثم رغّبهم في العمل ولم يترك أحد الأمرين للآخر ، فقال صلى الله عليه وآله : (**كلّ ميسر لما خلق له**) أي أنه ميسر في أيام حياته للعمل الذي سبق به القدر قبل وجوده فافهم ، انتهى .

أقول : ذكر هذا الشيخ ياسين بن صلاح الدين البحراني[٤]

---

(١) شرح أصول الكافي : ٧ / ١٦٠ .

(٢) في نسخة أخرى : فيم .

(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني : ٧ / ١٦٠ ، وصحيح مسلم : ٨ / ٤٤ ط . القاهرة ، ومسند أحمد : ٣ / ٢٩٣ .

(٤) هو ياسين بن صلاح بن علي بن ناصر بن علي بن عبد علي بن خلف بن محمد بن خميس بن راشد البلادي البحراني توفي سنة ١١٢٥ هـ (انظر ترجمته في الكواكب المنتشرة للطهراني) .

على التفسير من فائدة المراد ، وأمّا بيان التيسير الذي ذكره صلى الله عليه وآله فهو ما ذكره عزّ وجلّ في كتابه العزيز في مواضع كثيرة على أكمل بيان ، وإن كان لا يذوقه إلّا أولو الأفئدة بدليل الحكمة ومنه ما قال تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾(١) .

وذلك أنه سبحانه يسبّب أسباب ما علم وقوعه كما قلّل المشركين في أعين المسلمين وقلّل المسلمين في أعين المشركين وآمالهم إلى ما يريد وقوعه منهم إمالة لا تبلغ به الإلجاء والاضطرار ، وإنما ذلك من التمكين في فعل الخير والشر والإقدار على الطاعة والمعصية لما قدّمنا أنه لو لم يتمكن من فعل المعصية ويكون قادراً عليها لما كان قادراً على الطاعة وإذا لم يكن قادراً على الطاعة لم يحسن تكليفه ، وإذا لم يحسن تكليفه لم يحسن إيجاده .

والحاصل : إنه هو مقتضى الحكمة بحيث لو كشف للمسلمين والكافرين الغطاء عن بصائرهم لما اختاروا إلّا هذا ، وإليه

---

(١) سورة الأنفال ، الآيتان : ٤٣ ـ ٤٤ .

الإشارة بقوله تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾(١) ، أي بل أتيناهم بشرفهم وفخرهم ، يعني بما فيه ما يحبّون وما يشتهون مما فيه صلاحهم وبلوغ مآربهم ، والسرّ في ذلك أنهم وأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم موجودون حاضرون في ملكه كلّ في رتبته من مكانه ووقته مترتّباً على أسبابه وعلله المشروحة المبيّنة التي يحصل بها التعريف والمعرفة على نحو الاختيار والاختبار ، لأنّ وصول الشيء إلى غاياته التي خلق لأجلها متوقف على أعماله وأقواله وأحواله التي هيَ قوابله للإيصالات الإلهية ، والإيصالاتُ الإلهية متوقفةٌ على التمكين الإلهي والتمكينُ الإلهي يكون بأحد شيئين :

الأول : التمكين مما يحب تعالى ويكون بالإمدادات الإلهية والفواضل الربانية والتوفيقات والألطاف ، ومنها تقوية الميل الفؤادي بمثل ما أشير إليه في الآيتين المتقدم ذكرهما .

والثاني : التمكين مما يكره تعالى ويكون بالتخليات الإلهية والخذلان التي تقوى بها الميولات النفسانية ، ومنها مثل قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ﴾(٢) .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٧١.
(٢) سورة التوبة ، الآية : ٣٧.

ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾(١) .

ومثل : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾(٢) .

وأمثال ذلك ، وليس ذلك موجباً للاختيار والاضطرار ، ولأجل ذلك حكى الله سبحانه عن جواب إبليس لعنه الله لمن ادّعوا عليه أنه هو الذي أغواهم أنه قال لهم : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾(٣) لأنه لو كان ذلك الإغواء والتزيين منه والغرور رافعاً لاختيارهم لما قال لهم : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ .

وهذا التمكين للطاعة والمعصية بجميع أنواعه ما ذكرنا ، ومنها ما لم نذكره من المقويات لتصميم عزم المكلّف على فعل ما مال إليه قلبه من الطاعة ميلاً لا يعدل عنه إلّا إذا كان مجبوراً وعلى فعل ما مالت نفسه إليه من المعصية ميلاً لا يعدل عنه إلّا إذا كان مجبوراً ، وهي في الطاعات إمدادات وألطاف وتقوية ، وفي

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٧ .
(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦.
(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٢.

المعاصي خذلان وتخلية ، إذ بدون ذلك لا يحصل التمكين الذي لا يتحقق الاختيار إلّا به والذي لا يستقيم التكليف إلّا به .

وقولي : (لا يعدل عنه إلّا إذا كان مجبوراً) ، أريد به أن المكلّف لو أتته المعونة من الله عزّ وجلّ قبل أن يصمم عزمه على الفعل ، لكان ذلك منافياً للطف به لأنّ الفعل لو كان معصية لزم إعانته على المعصية ، ويلزم من ذلك الظلم لو عوقب عليها ، وأمّا إذا صمم على الفعل بحيث لا يترك الفعل إلّا مجبوراً على الترك فإنه يجب في الحكمة أن يعينه عزّ وجلّ على فعل المعصية ولا يلزم من هذا الظلم إذا عاقبه عليها لأنّه لو لم يعنه لم يقدر على المعصية ، وإذا لم يقدر على المعصية لم يقدر على الطاعة ، إذ الطاعة لا يتصور وقوعها منه إلّا إذا ترك المعصية وهو قادر عليها متمكّن من فعلها بحصول جميع ما يتوقف فعلها وإيجادها عليه ، وفائدة تكليفه بل وإيجاده لا تتحقق إلّا بالتمكين من الطاعة ، والتمكينُ من الطاعة متوقفٌ على التمكين من المعصية ، والتمكينُ من المعصية متوقفٌ على المعونة عليها كما في الطاعة والمعونة على الشيء ، إنما تكون بما يطابقه ويلائمه ويوافقه ، ولما كانت المعصية عدميّة الأصل لا ترجع إلّا إلى مجتث لا ثبات له من نفسه ولا يرجع إلّا إلى نفسه ، كانت المعونة عليها مثلها فهي التخلية والخذلان بمعنى أنه تعالى إذا نهى عبده المكلف عن شيء ورغّبه في الترك ورهّبه من الفعل وعلم تعالى

منه أنه لا يقبل من مولاه هداه إلّا إذا أجبره على الترك ورفع عنه الاختيار ، أعانه على تلك المعصية بأن تركه ونفسه وخلّى بينه وبين هوى نفسه وشهوته ولم يدحر عنه الشيطان المغوي .

(اللهم لا تخلّني من يدك ولا تتركني لقاً[١] لعدوّك وعدوّي ولا توحشني من لطائفك الخفيّة وكفايتك الجميلة)[٢] .

ولو فرض أنه يتمكن من فعل المعصية بغير تخلية الله وخذلانه لما صح هذا الفرض إلّا على فرض استغنائه عن الإله الحقّ عزّ وجلّ ، ولهذا صرّحت أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام أنَّ القول بالتفويض شرك بالله العظيم سبحانه وتعالى[٣] ، وتزيين المعاصي والشهوات وإغواء الغاوين من شياطين الإنس والجن ، وأمثال ذلك من قوابل التخلية والخذلان لأنّ تلك تكون من الخلق بتقدير الخالق تعالى والتخلية والخذلان منه تعالى بأعمالهم وشهواتهم وهوى أنفسهم وما ربّك بظلام للعبيد ، والمعونة على الطاعة كذلك بمعنى أنه تعالى إذا أمر عبده المكلّف بشيء ورغّبه في الفعل ونهاه عن تركه وتوعده على تركه ووجّه إليه دواعي المنع والترك لأمره[٤] بما مالت إليه نفسه وزيّن لهم الشيطان الغرور

(١) لقا من اللقاء ، (لقاً لعدوك أي ضحية لعدوك) .
(٢) مفتاح الفلاح للبهائي العاملي : ٨٣، والبحار : ٨٣ / ٣١٩.
(٣) كما فصّله المصنف في المجلد الثاني من شرح الزيارة الجامعة .
(٤) في نسخة أخرى : بأمره .

وصمّم عزمه على الفعل بحقيقة ما هو أهله من فضل الله وعنايته وعلم تعالى منه أنه لا يترك أمر مولاه ولا يعدل عما فيه رضاه إلّا إذا أجبره على الترك ورفع عنه الاختيار وأعانه عزّ وجل بأن قوّى جوارحه وشدّ على عزمه جوانحه ودحر عنه الشيطان وغرس في جنانه أفنان الخشوع واليقين والإيمان فامتثل أمر الله عزّ وجلّ بإعانته وتقويته فكان هو الفاعل لما أمره الله سبحانه بالله وإعانته وتقويته بأن حفظ عليه جميع ما أنعم به عليه مما يتوقف عليه الفعل بجميع أسبابه فهو الفاعل بالله لا مع الله ، إذ لا يتخذ لنفسه من خلقه عضداً ولا بدون الله إذ لا يشرك في ملكه أحداً ، فقولي فهو الفاعل بالله ، بيانٌ وتفريعٌ لقولي بأن حفظ عليه جميع ما أنعم به عليه مما يتوقف عليه الفعل بجميع أسبابه فتفهّمه راشداً ففيه الحق والهدى .

الفائدة الثامنة عشرة

خلق اللّه الخلق على أكمل ما تقتضيه الحكمة

الفائدة الثامنة عشرة

خلق الله الخلق على أكمل ما تقتضيه الحكمة

اعلم أنا قد قدّمنا الإشارة فيما تقدّم من الفوائد وفي كثير من رسائلنا وأجوبتنا إلى أن الله سبحانه خلق ما خلق من جميع خلقه على أكمل ما ينبغي مما تقتضيه الحكمة الإمكانية بحيث ينطبق صنعه على دواعي العقول السليمة المرتاضة بالأخلاق الشرعية المؤدّبة بآداب الروحانيين لما لوّحنا إليه من العلة الغائية أنّه تعالى إنّما خلقهم ليعرفوه بما تعرّف لهم به من وصفه الذي ذكّرهم به في خلقه إيّاهم كما قال تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾(١) .

فإنّه عزّ وجلّ أتى كلّ شيء من خلقه بما ذكره به ، والعقول السليمة دلّت على أن المفيض أقوى من فيضه ، وأنّ ما قرب من المفيض أقوى مما بعُد منه ، وأن المصنوع من الأقوى أقوى من المصنوع من الأضعف ، وأن هذه الأمور الثلاثة ذاتيات لموضوعاتها بحكم ترجّح الأشياء الذي يتوقف صنع صانعها عليه لذاتها .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٧١.

فإن قلت : يلزم من هذا تقدّم وجود ترجّح الأشياء الذي يتوقف به هو[١] صفة المصنوع وشرط تعلّق الفعل به على وجوده ولا يعقل تقدّم وجود الصفة على وجود الموصوف .

قلت : لمّا كان الصانع عزّ وجلّ في أعلى مقامات التجرّد والغنى وفوق ذلك بما لا يتناهى فيما لا يتناهى وجب أن لا يفقد شيئاً ولا ينتظر شيئاً ولا يستقبل شيئاً بل هو في رتبة أزل الآزال مالك لكلّ شيء مما هو غير ذاته المقدّسة ، وحاصل له تعالى في رتبة كونه ووجوده وأمكنة حدوده لم يتجدد له شيء في ملكه بمعنى أنه لم يكن في ملكه ثم كان ، ولم يخرج شيء من ملكه إلى ما سواه من وجود أو عدم بل في رتبة ذاته وأزله الذي هو ذاته حصل له كلّ شيء في أوقات وجوده وأمكنة حدوده حين كان ذلك الشيء قبل أن يكون ، وقبل أن يكون شيء ، والشيء وترجّحه من جملة أفراد مملوكاته ، وقد أشرنا إلى أنّ جميع أفراد مملوكاته عنده تعالى على السواء لا يكون أقرب إلى شيء منه إلى آخر ، ولا يتقدم شيء عنده على كلّ شيء في حصولها له فإذا أراد فعل شيء أتاه بتمكينه وترجّحه لذاته وجميع ما يتعيّن به ويتميز مما يقتضيه ذاته حين

---

(١) في نسخة أخرى : تقدم وجود الصفة على وجود الموصوف الترجح الذي هو .

تكون مقتضيه[١] في تكوينه إيّاه لأنّ ذلك كلّه من جملة قابليته للتكوين فإنها حدود صورته ، وهو مما ذكره في قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ .

ثم الصادر عن الشيء سواء كان صادراً من فعله أم من مفعوله إذا كان صدوره على جهة الانبساط بحيث تكون له مراتب تختلف أجزاؤه باختلافها لا بدّ وأن يكون كلما قَرُبَ من المبدأ يكون أقوى وما بَعُدَ يكون أضعف ، إن كان الصدور[٢] والانبساط على ما تقتضيه الحكمة التي توافقها العقول وتجري على طبقها في التعرّف والتعريف إذ ما هو مصنوع على مقتضى الحكمة لا يكون مصنوعاً على غير مقتضى الحكمة الذي لا يكون فيه الشيء معقولاً ، لأنَّ المعقولية من لوازم الصنع على طبق مقتضى الحكمة ، فإذا كانت الهيولى مجعولة على مقتضى الحكمة كان أخذ الحصص منها على مقتضى الحكمة بأن تكون الحصة منها مقدرة بما لا تختلف ذرّاتها[٣] ، باختلاف مراتبها اختلافاً ظاهراً بيّناً يوجب تفاوت تلك الذرّات[٤] قوةً وضعفاً في الكمّ والكيف وإلّا كان الأخذ على الإهمال فيبطل هذا النظام الجاري على

---

(١) في نسخة أخرى : يكون مقتضيه .
(٢) في نسخة أخرى : كان صدوره على جهة .
(٣) في نسخة أخرى : ذواتها .
(٤) في نسخة أخرى : المذكورات .

كمال الاستقامة ، فإذا كان أخذ حصص مواد الأشياء على النحو المذكور لزم أن يكون المصنوع من الأقوى أقوى من المصنوع من الأضعف ، وإلّا لم يكن الأخذ على مقتضى الحكمة بل كان الأقوى للأضعف والأضعف للأقوى ، فيكون الأقوى أضعف والأضعف أقوى فلا يكون الصنع على كمال الاستقامة فإذا كان الأقوى للأقوى والأضعف للأضعف هو ما ينبغي وجب أن يخلق من المنير المنير ومن المظلم المظلم ومن الطيّب الطيّب ومن الخبيث الخبيث ومن القويّ القويّ ومن الضعيف الضعيف .

وخلاف هذا خلاف ما ينبغي وخلاف ما لا ينبغي موجبٌ للإهمال مناف للغرض المطلوب المقصود من الإيجاد للتعريف بل للمصنوع الحجة على صانعه إذا أتاه بما لا يحبّ ، وله أن يذمّ على ما[1] أنعم عليه بمطلوبه بأن يقول : أعطيتني ما لا أريد منك بلسان حالي ولا بلسان مقالي فلا تستحقّ مني شكراً لأنّك إنما أعطيتني غير ما طلبت لأنّك عاجز عن مطلوبي أوْ جاهل به .

وإن كان المصنوع في كلّ ما قال كاذباً لأنّه إذا كان صنعه على الإهمال كان الحق والباطل والصدق والكذب عنده واحداً وكذا عند غيره ، وكذلك المدح والذمّ لأنّ ذلك كلّه هو مقتضى الإهمال .

---

(١) في نسخة : يذم من .

فإن قلت : هذا الذي أشرت إليه وإن كان هو مقتضى الإيجاد على ما ينبغي أعني الجريان فيه على مقتضى الحكمة ، إلّا أنّه تعالى هو جاعل القوىّ قويّاً والضعيف ضعيفاً ، وهو مُقرِّب القريب ومُبعِّد البعيد ومُعطي القابل المقبول وجاعل القابل للمقبول وبلحاظ هذه الأُمور المسلَّمة يعود المحذور ويرجع الإشكال في ابتداء السؤال .

قلت : إنّي أقول بهذا لكني لا أقول : إنه تعالى جاعل القويّ قويّاً بمقتضى فعله وإحداثه إيّاه ، وإلاّ لزم الظلم لمنافاته العدل في كثير من الموارد ، وكذلك سائر الكلمات ، وإنّما أقول : إنه جاعل القويّ قوياً بمقتضى بدء شأنه في علم الغيب بمعنى أنـّه إذا عومل في إيجاد كونه بل وإمكانه بما يميل إليه ويقتضيه لذاته ممّا لا يعدل عنه إلاّ إذا كان مغلوباً عليه بما يصدّه عنه ويمنعه منه حين يكون هو إيّاه بحيث لو عومل بغيره كان حين يكون هو إيّاه كارهاً له لأنّه لا يقتضيه لذاته وذلك حين تكوينه لا قبله ولا بعده لأنّ ما أشرنا إليه هو قبوله للإيجاد وقبله ولم يكن شيئاً وبعده هو مستغن فهو تعالى جاعل القويَّ قويّاً بما هو أهله من اقتضائه للقوة وجاعل الضعيف ضعيفاً بما هو أهله من امتناعه من إطاقة قبول القوّة منه وجاعل القريب قريباً بمبادرته وسبقه إلى القبول للتقريب بحيث يكاد يكون قريباً قبل التقريب وجاعل البعيد بعيداً

بعدم سبقه للتقريب ، بحيث لا يكون قريباً باختياره لأنـّه تعالى إنما أعطى المقابل[١] مقبوله باقتضاء المقبول للقبول ، ولهذا خلق القبول من نفس المقبول من حيث هو هو لأنـّه إنما اقتضاه لذاته من دون مشاركة من غيره .

وإن كان إنما يقتضي من ذاته إذا كان شيئاً ولا يكون هو شيئاً ولا اقتضاؤه إلّا بالغير لأنّ الممكن ليس شيئاً بذاته بدون الغير فلا يكون عنه شيء بدون الغير فيما[٢] يستطيعه بجميع أسباب الاستطاعة مطلقاً لكنه حين يكون بالغير شيئاً تقتضي شيئيّته بالغير ما[٣] تقتضيه من ترجّح وغيره لذاتها بالغير لا مع الغير ولا من دون الغير .

وقولي : (بالغير لا مع الغير) الخ ، أنَّ شيئية الشيء من عطاء الكريم تعالى ونعمه عزّ وجلّ ، وكذلك جميع ما للشيء لذاته وصفاته وأفعاله وأحواله منه عزّ وجلّ ، وهذه النعم حيث أعطاها لم يخلّها من يده بل هي في قبضته كما هي قبل الإعطاء إذ لو خلّاها من يده لم تكن شيئاً وآية ذلك ومثاله نور الشمس ، حين أعطته الجدار واستنار بإشراقها عليه لم تخل إشراقها من قبضتها

(١) في نسخة أخرى : القابل .
(٢) في نسخة أخرى : فبما .
(٣) في نسخة أخرى : وما .

بل هو في قبضتها كما هو قبل الإشراق على الجدار ، فبنعمه تعالى كان شيئاً وبنعمه اقتضى ما اقتضى لا معه لعدم المشاركة لأنّ الشيء هو المقتضي ولا من دونه تعالى لأنّ الشيء غير مستقل ولا مستغن لا هو ولا شيء مما توقف عليه وجود الفعل مما أشرنا إلى أكثرها ، وإنما يكون هو وهي شيئاً بقيومية الله تعالى وحفظه له وحفظه لها عليه فافهم .

الفائدة التاسعة عشرة

بيان سرّ التنعّم والثواب والتألم والعذاب

الفائدة التاسعة عشرة
بيان سرّ التنعّم والثواب والتألم والعذاب

في الإشارة إلى بيان سرّ التنعّم والثواب والتألم والعذاب ، حيث علم أن الثواب والتنعّم إنّما هو عبارة عن الملاءمة والموافقة بين المتنعّم والنعيم لما بينهما من المشاكلة ، فإنَّ صورة الفطرة ظهرت مشابهة لفعل الله لكونها أثره وتأكيده ، كما أن صورة الكتابة ظهرت مشابهة لحركة يد الكاتب ، وتلك الفطرة بناها تعالى وأبقاها بمدده والشيء يمدّ من نوع ما يبنى منه .

ففطرة الله خلقها من رحمته وأقامها بثمرات طاعته التي هي من رحمته فما دامت مستمدة من ثمرات طاعاته ولم يرد عليها تغيير ولا تبديل مما أشار تعالى إليه في قوله : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾(١) وقوله : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾(٢)، فهي متنعمة متلذذة بالإمدادات الملائمة الموافقة لكون تلك الإمدادات التي هي الطاعات وثمراتها من جنس تلك

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٩.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٣٠.

الفطرة ونوعها وشخصها لما بين تلك الإمدادات وبين تلك الفطرة من الاتحاد الذاتي لانحصار جميع ميولاتها وأشواقها وأوتارها في تلك الإمدادات .

ولا تكون فطرة الله تامّة حتى لا تفقد حرفاً من حروفها من تلك الإمدادات فإن فقدت حرفاً ولم يحصل لها بدله من شفاعة شافع أو فضل أو عفو عن ضدّه كانت ناقصة متألمة بفقدان ذلك الحرف ، وإنما تتألم إذا فقدت ذلك الحرف لوجود ضدّه العامّ فيها وحلوله محله فيها لأنّه منافر لها ومناف لمقتضاها ، فإن حصل لصاحب تلك الفطرة شافع أشرق عليه من شعاع حسناته حرف كالحرف المفقود أو أقوى أو عفو نفى ذلك المنافي ثم يضع الفضل محلّه مثله أو أقوى ، لأنَّ المحل لا يكون خالياً منهما معاً ، بل إذا ذهب المنافي المنافر أتى الموافي الملائم ، وإذا ذهب الموافي الملائم أتى المنافي المنافر ، سواء كان الذاهب بقصد المكلّف وفعله أم بذهوله وغفلته ، إلّا أنّ الذاهب والآتي بالقصد يكون أقوى وأسرع لما بينهما من التلازم أي بين القصد والمقصود بخلاف ما كان عن الغفلة والذهول .

فإنَّ ذهاب الذاهب وإتيان الآتي تدريجي ، ولمّا كان الملائم متأصلاً كان لا يفارق فطرة الله إلّا بقاسر تطبعي كما يأتي ، وكان واحده بعشرة ، لأنّ العمل الصالح أصلي يمرّ بأصلي فيستقرّ في كلّ رتبة وهي العقل والنفس والتعقل والعلم والوهم والوجود

والخيال والفكر والحياة والجسد ، لأنّ هذه العشرة خلقت للطاعة أوّلاً وبالذات .

فإذا فعل المكلّف الطاعة كتبت عشراً لأنّها أصلية تمرّ بها الحسنة والطاعة الأصلية فتستقرّ في كلّ واحدة فتكتب عشراً بخلاف المعصية ، فإنها تكتب واحدة لأنّها تمرّ بسبعة وهي : النفس والعلم والوهم والخيال والفكر والحياة والجسد ولكنها لم تخلق لها ، وإنّما خلقت للطاعة لكنها تصلح للمعصية إذ لو لم تصلح للمعصية لما قدر المكلّف على المعصية ، وإذا لم يقدر على المعصية كان مجبوراً على الطاعة ، فلا يكون مطيعاً ، فلما كانت إنما خلقت للمعصية ثانياً وبالعرض كانت إذا مرّت المعصية عليها لم تستقرّ فيها حتى يفعلها بجسده ، فإذا فعلها بجسده انتظر بها حتى تنعكس من الجسد على السبعة المذكورة فتكتب واحدة ، ولهذا ورد بأنّ المكلف إذا نوى المعصية لم يكتب عليه شيء ، وإذا عملها انتظر سبع ساعات ، فإن تاب قبل سبع ساعات محيت وإلّا كتبت واحدة ، لأنَّ وقت كلّ واحدة من السبعة إذا مرّت عليه المعصية ساعة إذ لا تستقرّ عليه المعصية في واحد من السبعة عند انعكاسها في أقلّ من ساعة .

وقولي : (إنَّ الملائم لكونه متأصلاً لا يفارق إلّا بقاسر) ، أريد به قبل ذهاب علّة الموت لأنه بعد ذهاب علّة الموت تمتنع مفارقته لأنّهما بحكم الشيء الواحد إذ علّة الموت التركيب

والكثرة ، وإذا اطمأنت النفس استقرّت فيها ولها دواعي الملاءمات وأسبابها وقد أشار الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله في شأن أوليائه وأعدائه : (**لا يكون هؤلاء من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء**)(١) انتهى .

وأمّا بيان سرّ التألم والعقاب ودوامه ، فاعلم أن التألم والعقاب عبارة عن حصول المنافي والمنافر وأصل ذلك [أن المكلف](٢) لمّا كان مركباً من وجود وماهية وهما حادثان والحادث يحتاج في بقائه إلى المدد ومدد كلّ واحد إذا كان مستمداً بذاته إنما يكون من نوعه كان ملائماً(٣) بوجوده إلى الطاعات وبماهيته إلى المعاصي ، ولا يمكن استمداده بهما دفعةً لكونهما ضدّين ، فلو مال كلّ منهما إلى مدده بفعله واستمداده انفكّ التركيب واضمحل المركّب وعدم إذ لا قوام للمركب إلّا بجزءيه منضمين .

نعم إذا غلب ميل أحدهما بحيث كان الاستمداد به مال الآخر معه ميلاً عرضياً ، فإن كان المايل الغالب هو الوجود استمدّ به ما يلائم الفطرة ، أعني فطرة الله التي فطر الله الخلق عليها وتنعّم المركب ، أعني بما اكتسبه من الخيرات والطاعات .

---

(١) لم نعثر على هذه الرواية في المصادر المتوفرة لدينا .
(٢) من نسخة أخرى .
(٣) في نسخة : مائلاً .

وإن كان المائل الغالب هو الماهية استمدّ المكلف بها ما ينافي فطرة الله وينافرها ولا يزال كذلك حتى تتغير فطرة الله وتعوج وتتبدل صورتها الإنسانية بالصورة الكلبية والسبعية والحيوانية من قرد أو خنزير أو حمار أو غيرها فيكون ذلك المكلّف ذا طبيعتين طبيعة فطرة الله التي هيئتها من فعله تعالى يعني من هيئة فعله ، لأنّها لا تنعدم أصلاً ، وإن كان استمدادها ليس بذاتيّ لها ، وإنما هو عرضيّ بتبعية ضدّها ولو عدمت عدم الشخص وطبيعة أعماله ، وهي الصورة المغيّرة المبدّلة فلما غلب الشخص استمداده من ثمرات الطبيعة الثانية المغيّرة المبدّلة كان ذلك الاستمداد منافياً ومنافراً للطبيعة الأولى .

فإذا ورد جزء من ذلك المدد على تلك الطبيعة الأولى تنافرا وتباعدا وتجبرهما الطبيعة الثانية على الاجتماع على خلاف ما يقتضيان وليس للأولى ما يسدّ فقرها إلّا هذا المدد الذي تكرهه فتتألم الأولى بوجوده لها لما بينهما من التنافي وتتألم بعدمه إذ ليس لفقرها سادّ غيره .

وذلك كما روي أنّ أهل النار إذا عطشوا استغاثوا من شدة العطش ، ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾(١) .

وهو الحميم فإذا شربوا منه فيؤمنون به وبعدمه ، إذ ليس لدفع

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٩.

عطشهم غيره ، ولما كانت الطبيعتان ممكنتين لا بقاء لهما إلّا بالمدد وكانت الأولى معدومة الاستمداد لذاتها ، وإنما تقوّمت بمدد الثانية وهي ضدها ، والثانية أيضاً وإن كانت تستمد لذاتها إلّا أنها محتاجة في تحققها إلى الأولى لابتناء إنّيتها على الأولى لأنها أي الأولى معروضها ، فهي في كلّ حال دعامتها فلا يستقل بدونها ، والثانية استقلّت بالاستمداد المنافي لأصل معروضها ، لأنه في معروضها في وجوده وحصوله وفي عدمه وفقدانه كما مرّ . مع أنها دائمة الاستمداد لوجود المقتضي لذلك ، وهو تحقق الصورة التطبيعية وغلبتها على الصورة الأولى الطبيعية كان التألم والعقاب دائماً غير منقطع ، لأنه ذاتي من الثانية مدة تألم الأولى ، لأنه مناف لها فتألَّم بوجوده عليها وتألّمت الثانية لأنها مبنيّة على الأولى متحققة بعروضها عليها ، فإذا اضطرب الأصل أعني الأولى اضطرب الفرع أعني الثانية ، بتبعية اضطراب الأولى ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[(١)] إذ لو سكنت الثانية بمددها الذي هو ذاتي لها لما كان صدر الضّال ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعدُ في السماء ، بل يكون مُطمئناً به ، ولكن الثانية تضطرب بمددها لعدم ملاءمته لأصلها أعني الأولى ، وبعدمه لاحتياجها إليه ،

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥ .

فالثانية بالنسبة إلى مددها ، كما قال تعالى في تمثيل المكلف الذي تحققت فيه بالكلب : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾[1] .

فهي تتألم بوجود مددها لمنافاته لأصلها الذي بنيت عليه وبعدمه لفقدانها ما تحتاج إليه هي وأصلها في البقاء ، فالمكلف المركب منهما متألم أبداً ومن غلب فيه[2] فطرة الله حتى انحصر استمداده من جهتها متنعّم أبداً .

تمّ بالخير .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٦ .

(٢) في نسخة أخرى : عليه .

شرح الفائدة الأولى من الفوائد السبع

(شرح الفائدة الثالثة عشرة)

في الإشارة إلى بيان

كيفية تكوّن الموجودات

شرح الفائدة الثالثة عشرة
شرح الفائدة الأولى في الإشارة
إلى بيان كيفية تكوّن الموجودات

قال أحمد ابن الشيخ زين الدين الأحسائي : ثم بدا لي أن أزيد الفوائد فزدت سبع فوائد وشرحت الأولى وهي هذه :

الفائدة الثالثة عشرة : في الإشارة إلى بيان كيفية تكون الموجودات وتنزلاتها في مراتب ظهوراتها وبيان ما يلحق أكوانها من عوارض مراتبها .

أقول : أشير بهذا إلى بيان قبول الأشياء الحادثة للإيجاد والتكوين وهذا القبول هو انفعالها أي انفعال أكوانها التي هي موادها المخترعة لا من مادة أخرى ، وإنما اخترعها خالقها من أسبابها والأسباب هي أفعاله تعالى الأولى والأسباب الثانية هي إفعالاتها(١) ، إذ كلّ محدث فهو متقوّم بوجود أي مادة وماهية أي

(١) في نسخة أخرى : انفعالاتها .

صورة فالوجود حقيقته[١] من فعل ربّه والماهية حقيقته[٢] من نفسه ، فالوجود خلقه الخالق عزَّ وجلَّ بفعله أولاً ، وبالذات والماهية خلقها تعالى من الوجود من حيث هو هو ثانياً وبالعرض كما لو أردت أن تحدث صوتاً مثلاً ضربت خشبة بخشبة أو حجر ، فإن الصوت تتولد مادته من الهواء المنضغط بواسطة تصادم الخشبتين بحركة يدك وصورته تتولد من نفس انضغاط الهواء وضرابة الخشبتين وصلابتهما أو ضدّ ذلك ، فالصوت لم يكن مخلوقاً من صوت إذ ليس في الهواء صوت ولا في الحركة ولا في الخشبتين ، وإنما هو مخلوق لا من شيء ، وهذه الأشياء أسباب للإحداث الذي هو الفعل والفعل مع هذه الأشياء علّة المخلوق إذ مادته أثر الفعل وتأكيده وصورته من هيئة الفعل لأنها شعاع هيئته المنفصل ، يعني أنّ هيئة المتصل هي التي تقوّم الفعل بها ، وأما الهيئة التي هي هيئة المفعول شعاع تلك ، فلذا قلنا : إن صورة المفعول هي هيئة الفعل المنفصلة أي المشرقة من هيئة الفعل وهذه الصورة هي ظاهر تكوّن المفعول وقبوله للتكوين وهي ناش[٣] من مادة الفعل حين أعطاها فاعلها عزَّ وجلَّ التمكين من التكوّن[٤] والقبول .

(١) في نسخة أخرى : حقيقة .
(٢) في نسخة أخرى : حقيقة .
(٣) في نسخة أخرى : ناشية .
(٤) في نسخة أخرى : التكوين .

بيان تنزّل الموجودات في مراتب ظهورها

وأما تنزلاتها في مراتب ظهوراتها :

١ ـ مرتبة الكون

فأولها : مرتبة الكون لأنها قبل ذلك في الإمكان الذي هو أول مذكوريتها إذ ليس وراءه إلّا الأزل عزَّ وجلَّ وهي غير مذكورة فيه إلّا بما هي به في الإمكان فالأزل تعالى ذاكر ولا مذكور فلما جعلها بمشيّته ممكنة بعد أن لم تكن وقع عليها الذكر بما هي عليه من الإمكان في الإمكان وبما هي عليه من الكون في الكون بعد التمكين من التكون وأعطاها من كلّ ما سألته بلسان تكونها وفعله الكوني ومشيته الكونية وبه اخترع موادها ووجوداتها .

٢ ـ مرتبة العين

وثانيها : مرتبة العين لأنها صورة النوع وفصله ، فالوجود حصة من الجنس الأعلى وهو أعلى الأجناس أعني الإمكان وهذه الصورة النوعية حصة من الفصل الأعلى وهو أعلى الفصول ، وهذه الصورة يعبّر عنها بالماهية الأولى وبالعين ابتدعها مبدعها سبحانه بفعله الإبداعي وهو الإرادة من مادتها كما ابتدع الصورة النوعية في الخشب من مادته ، وهذه المرتبة الثانية من التنزلات

المذكورة للأشياء ، وهذه من الخلق الأول للأشياء أعني المادة الثانية للأشياء بالمعنى الأول الذي ذكرناه للوجود والماهية ، [ومثال] هذه الرتبة والتي قبلها لإيجاد السرير أن أول ما تتنزّل من رتبة إمكانه في الأجسام أن الله تعالى اخترع عناصره بمشيته وهي أي عناصره وجوده أعني مادته الأولى وابتدع ماهيته أعني صورته النوعية التي هي الصورة الخشبية من مادته أعني عناصره وهذه الصورة النوعية الخشبية مادته الثانية للسرير وهي من الخلق الأول فإذا أريد صنع السرير أخذ حصة من الخشب وهي مادته الثانية بالمعنى الأول الذي ذكرناه أعني أن الوجود بمعنى المادة والماهية بمعنى الصورة .

وقولي : (بالمعنى الثاني) أعني أن الوجود بمعنى كونه أثر فعل الله وصنع الله وأن الماهية بمعنى أنه هو هو وهاتان المرتبتان من الخلق الأول .

٣ ـ مرتبة القدر والتصوير

وثالثها : مرتبة القدر والتصوير وهي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء وغيرهما كتقدير المادة الذي نعبر عنه بالكم والكيف والوقت والمكان والرتبة والجهة والوضع والإذن والأجل والكتاب كما تقدمت الإشارة إلى هذه .

٤ ـ مرتبة القضاء وإتمام تكوين الشيء

ورابعها : مرتبة القضاء وإتمام تكوين الشيء وهذه المراتب المشار إليها في كلّ رتبة في قوس النزول من كونهم في العقل معانٍ مجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصور الجوهرية والمثالية الشبحية ومن تنزّلهم منها إلى كونهم رقائق في الروح وهي أول تصوير تلك المعاني قبل إتمام التصوير كالمضغة من النطفة والعلقة ومن تنزّلهم منها إلى كونهم نفوساً وصوراً جوهرية وهي آخر العقد الأول وهي عالم النفوس والذر وما قبلها أعني عالم الرقائق وهي عالم الأظلة لأنهم هناك كصورة ورق الآس وعالم النفوس والذر خمسون ألف سنة وهي مدة خطابه تعالى لهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾(١) ومحمد صلى الله عليه وآله نبيكم ثم علي وليكم : وجوابهم له بقولهم ﴿ بَلَىٰ ﴾ ، وكانوا على أربعة أقسام : مجيب بقلبه ولسانه وجوارحه وهم المؤمنون من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم ، ومجيب بلسانه وقلبه منكر من بعد ما تبيّن له الهدى ، وهم المنافقون والكافرون الذين حقّت عليهم كلمة العذاب ومجيب بلسانه خاصة وهم قسمان :

قسم أجاب بلسانه خاصة تبعاً للمؤمنين وقلوبهم غير شاهدة

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢.

بذلك ، وقسم أجاب بلسانه خاصة تبعاً للمنافقين والكافرين وقلوبهم غير شاهدة بذلك وهذان القسمان ممن يلهى عنهم(١) ولا يسألون إلّا يوم القيامة بأن يجدد لهم التكليف فيصير كلّ واحد منهم إلى ما في علم الله سبحانه من أصله ، ولكلّ درجات مما عملوا فسعد في هذه الرتبة من سعد وشقي من شقي وهذان القسمان السابقون وخصيصو أصحابهم وبعض خواصهم والفاسقون وأتباعهم ممن تبيّن له الحق وأنكره ، والقسمان الآخران موقوفون لأمر الله كما مرّ والله عزَّ وجلَّ يميز الخبيث من الطيب بما أمرهم من طاعته ونهاهم عن معصيته ويرجع أمورهم إلى أمره كما قال علي بن الحسين عليهما السلام : (**كلهم صائرون إلى حكمك وأمورهم آئلة إلى أمرك**)(٢) فلما أخذ ميثاقهم في عالم النفوس رجعهم إلى الطين وهو الحل الثاني وذلك في مدة أربع مئة سنة ، والمراد بهذا الحل الكسر في الطبيعة أي النور المجرد الأحمر الذي هو ركن العرش الأيسر الأسفل وهو الذي

(١) عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**لا يُسأل في القبر إلّا من مَحَضَ الإيمان محضاً أو مَحَضَ الكفر محضاً ، ولا ينال الرجعة إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً**) . قلت له : فسائر الناس ؟ فقال عليه السلام : (**يلهى عنه**) بحار الأنوار : ٦ / ٢٣٥ ح ٥٢ ، والرجعة : ٤٨ ح ٢١ ، والإيقاظ من الهجعة : ٢٧٥ ح ٨٥.

(٢) انظر مصباح الكفعمي : ٤٣٤ ، وجمال الأسبوع لابن طاوس : ٢٦٣ ، والصحيفة السجادية الكاملة : ٢٤٠.

أشار إليه الصادق عليه السلام بقوله : (**والخامس : الكون الناري**)(١) .

ومعنى كسرهم بعد التكليف في عالم الذر أن تلك الذوات(٢) الجواهر هو المخاطبة بـ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾(٣) والمجيبة بـ ﴿ بَلَىٰ ﴾ أنهم كانوا مشتملين على عقول وأرواح ونفوس فلما أجابوا وسعد من سعد وشقي من شقي ووقف من وقف كسرهم وأذابهم ذوباً حقيقياً كما تنحل المطاعم المختلفة في الكيلوس والكيموس(٤) وتتحد وتكون شيئاً واحداً ولا يبقى لها في تلك الحال تمييز ولا عقول ولا شعور ولا إحساس بشيء .

فلما حصّصهم حصل فيهم بالتخصيص(٥) تشخص ما ظاهراً

---

(١) تقدم قول المصنف سابقاً : قلت : ثم الأكوان الستة التي أشار إليها الصادق عليه السلام : (**الكون النوراني وهو الماء الذي به حياة كلّ شيء ، ثم الكون الجوهري وهو الحجاب الأبيض وهو الركن الأيمن الأعلى عن يمين العرش ، ثم الكون الهوائي وهو الحجاب الأصفر وهو الركن الأيمن الأسفل عن يمين العرش ، ثم الكون المائي وهو الحجاب الأخضر وهو حجاب الزمرد وهو الركن الأيسر الأعلى عن يسار العرش ، ثم الكون الناري وهو الحجاب الأحمر وقصبة الياقوت وهو الركن الأيسر الأسفل عن يسار العرش ، ثم كون الأظلة وهو الهباء الآخر وكون الذر الثاني**) .

(٢) في نسخة أخرى : الذرات .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٤) الكيلوس : هو الطعام إذا انهضم في المعدة قبل أن ينصرف عنها ويصير دماً ، ويسمونه أيضاً الكيلوس . انظر لسان العرب ، مادة : كمس .

(٥) في نسخة أخرى : بالتحصيص ، بالتحصص .

من تعيّن الكمّ وباطناً بنسبته بأن حصل للنفس وللروح وللعقل تعيّن ما بنسبته تعيّن الهباء إلّا أنه في العقل أضعف وأخفى ، وفي الروح أقوى منه وفي النفس أقوى من الروح ، وهو تهيؤ معنوي ، وهذه المرتبة الخامسة في التنزّل لا في الظهور ثم حصصهم بالمهملات بأن جعلهم حصصاً وهذه المرتبة السادسة في التنزل والظهور بأن جعلهم متميزين قبل التصوير كما ميز النطفة التي خلق منها عمرو من سائر النطف التي في صلب أبيه زيد وميز النطفة التي خلق منها بكر من نطفة أخيه عمرو ومن سائر النطف التي في صلب أبيهما زيد ثم ألبسهم الصور المثالية التي ظهروا بها وصوّر صُوَر أجسامهم عليها ، ولتصوير الجسم مراتب أولها في الماء الذي عليه العرش قبل خلق السماوات والأرض ثم في العرش ثم الملائكة المدبرة ثم الرياح ثم السحاب ثم في الماء ثم في الأرض ثم في النبات ثم في الكيلوس ثم في الكيموس ثم في الصلب ثم في الرحم وما يكون في ذلك من عوارض المطاعم والمشارب والفصول والكواكب وأفلاكها وما أشبه ذلك ، وفي قوله وبيان ما يلحق أكوانها من عوارض مراتبها ، إشارة إلى ما ذكرته ويأتي بيان ما أردت في قولي هذا أيضاً .

كيفية خلق الله تعالى للأشياء

قلت : اعلم أن الله سبحانه خلق الأشياء لا من شيء أي لا من مادة كانت معه غير مكونة وإلاّ لكانت مخلوقة من حصص قديمة لم تزل تعالى ربي عن ذلك علواً كبيراً بل خلق لها مادة اخترعها لا من شيء سبق .

أقول : لو فرض أنه خلقها من حصص قديمة لوقع التنافي والتدافع بين الخلق أعني الفعل والمخلوق ، لأن تلك الأمور القديمة كانت على حال مغاير لحال المصنوعية فلا تكون مصنوعة إلّا بعد تغيّر حال القدم ، ويلزم انقلاب الحقائق وأنه ممتنع وإن لم يتغيّر عن حال القدم لم يكن الفعل فعلاً ولم يحدث شيء فلم يكن مخلوق وأيضاً يلزم تعدد القدماء وعلى فرض من يجوز تعدّد القدماء إذا لم تكن في رتبة بل متعاقبة أو أن القدماء المتعددة يجمعها وجود واحد كقول من قال بالمعاني والأحوال ، ومن قال بمغايرة الصفات حقيقة كابن تيمية وابن بقاء وأتباعهما أو من قال بمغايرتها للذات كالأشاعرة أو بمغايرتها للذات في المفهوم واتحادها في الوجود كبعض الحكماء والملّا صدرا[1] وما أشبه

---

(١) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز . توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .

رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً . =

ذلك يلزم الاقتران بين القديمين الموجب للحدوث فيهما ، سواء كانا في رتبة أم متعاقبين ، لأن فرض القدم فيهما موجب الاقتران كما قال الملا محسن[١] في كتابه أنوار الحكمة في بيان الكلام وأنه عنده قديم ، قال : (**التكلم فينا ملكة قائمة بذواتنا نمكّن بها من إفاضة مخزوناتنا العلمية على غيرنا وفيه سبحانه عن ذاته إلّا أنه باعتبار كونه من صفات الأفعال متأخر عن ذاته ، قال مولانا الصادق عليه السلام : (إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية ، كان الله عزَّ وجلَّ ولا متكلم)**[٢]) انتهى كلامه .

= له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .
انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩ .

(١) هو المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني . كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً ، حسن التصنيف ، له كتب منها : كتاب الوافي جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكلة إلّا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل ، وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب حق اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب الأصول الأصيلة ، وكتاب المحجة البيضاء في إحياء الأحياء ، وكتاب مرآة الآخرة ، وكتاب تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لابن طاوس ، انظر أمل الآمل رقم ٩٢٥ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ باب صفات الذات ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ ح ١ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧٢ ح ١٨ . =

ومراده من التكلم الكلام نفسه بدليل استدلاله بالحديث المخالف لكلامه ، وأول الحديث قال : قلت له : فلم يزل الله متكلماً ؟

قال عليه السلام : **(إن الكلام صفة محدثة)** إلخ ، فإن الكلام على قوله : إنه عين ذاته إنه قديم ، ويلزم إذا كان متأخراً عن ذاته أن يكون بينه وبين الذوات اقتران لاجتماعهما في صقع واحد وهو القدم ويلزم من الاقتران حدوثهما معاً .

وكذلك يلزم الحدوث والتركيب لو قيل بأنهما مذكورة(١) في نفس الذات البحت المقدسة على ما يدل عليه هذه الألفاظ ومن لا يعرفه أحد من جميع ما سوى الله عزَّ وجلَّ لأنه لو كانت مذكورة في الذات لكانت بذلك الذكر متميزة عما سواها ويلزم من تميزها التركيب أو الاقتران والافتراق ويلزم التركيب والحدوث ، وإن لم تكن متميزة ولو في علمه الذاتي لم تكن مذكورة أصلاً .

= وتمام الحديث : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : **(لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور ، قال : قلت : فلم يزل الله متحركاً ؟ قال : فقال : تعالى الله عن ذلك إن الحركة صفة محدثة بالفعل ، قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟ قال : فقال : إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عز وجل ولا متكلم)** .

(١) في نسخة أخرى : مذكورتان .

ومرادي بقولي : ولا يعرفه أحد أنه تعالى لم تكن لذاته فاقد الشيء ولا منتظراً ولا مستقبلاً بل هو تعالى على حال واحد والأشياء الآن كلها في الإمكان والوقت الذي هي عنده فيهما في رتبة ذاته المقدسة إذ لم يفقد في ذاته شيئاً من الأشياء من مكان ذلك الشيء ووقته في كلّ رتبة من مراتب وجودات ذلك الشيء ولا يكون عنده تعالى شيء قبل شيء إذ لم يكن في حال من أحوال ذاته غير مالك لشيء من جميع ما في ملكه ولا جاهل لشيء في حال ولا منتظر مستقبل لشيء في حال ، بل هو تعالى في مرتبة ذاته التي هي أزل الآزال عزَّ وجلَّ مالك لجميع ما في ملكه مع أنه تعالى ليس معه شيء غير ذاته وكل ما يسمى باسم غير ذاته تعالى فهو خلقه وكل شيء من خلقه ففي الإمكان مسبوق بمشيّته تعالى وهو تعالى السابق لكلّ شيء وكل شيء دونه قائم بفعله قيام صدور وبأثر فعله قيام تحقق ولا كيفٌ لشيء من ذلك ، لأن الكيف بجميع أقسامه أثر فعله فعلمه بكلّ شيء حضوره عنده تعالى في وقت وجوده ومكان حدوده الذي وضعه فيه وأقامه فيه ، ولا يغيب عنه شيء ليكون جاهلاً به ويتغيّر حالتاه بعد حضوره عنده ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

فإذا عرفت ما ذكرته لك عرفت حقيقته(١) أنه خلق الأشياء لا من شيء(٢) ، وأنه ليس معه شيء غير ذاته وأن كلّ ما سواه فهو تعالى قد أحدثه خارج ذاته وأنه سابق عليها بكلّ اعتبار وأنه في رتبة ذاته عالم بها في إمكانها(٣) بلا كيف ، وأن كلّ من وصف فقد أخطأ ، إذ لا يعرف كيف ذلك إلّا هو .

وأما ما وصفته لك فإنه مما وصف لي به نفسه تعالى فعرفته بنفي الأغيار مثلاً لو قيل إنه ما علمها قبل(٤) أن توجد لكان بعد أن وجدت عالماً بها فيكون قبل خلقها فاقداً لها وبعد خلِقه إياها كان واجداً لها فتختلف حالتاه ومختلف الحالتين حادث ويكون

---

(١) في نسخة أخرى : حقيقة .

(٢) علل الشرائع : ٢ / ٦٠٧، وشرح أصول الكافي : ٤ / ١٥٥، وبحار الأنوار : ٥ / ٢٣٠ . والحديث طويل عن الإمام الباقر عليه السلام وفيه كما في العلل قال : (**يا إبراهيم إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء ومن زعم أن الله تعالى خلق الأشياء من شيء فقد كفر لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليته وهويته كان ذلك الشيء أزلياً بل خلق الله تعالى الأشياء كلها لا من شيء فكان مما خلق الله تعالى أرضاً طيبة ثم فجر منها ماءً عذباً زلالاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام طبقها وعمها ثم أنضب ذلك الماء عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمة عليهم السلام ثم أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ، ولو ترك طينتكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئاً واحداً**) .

(٣) في نسخة أخرى : أماكنها .

(٤) في نسخة أخرى : قيل .

مستقبلاً ناقصاً وبعد أن خلقها كان مستكملاً ولو قيل : إنه خلقها من شيء لكان ذلك الشيء قديماً فإن فرض أنه هو ذاته لزم أنه تعالى يلدها تعالى الله وإن فرض أنه غيره لزم ما قلنا من الاقتران والافتراق الموجبان للحدوث وأمثال ذلك مما ذكرنا .

ولو فرض أن أحداً من خلقه يعرف شيئاً من ذلك لكان ذلك قولاً بأن ذلك الأحد قديم قد وصل إلى هنالك وعاين ما ثمّ ، أو نزل القديم تعالى إلى الإمكان حتى اجتمع من(١) ذلك الأحد فعرف ذلك الأحد ما شاهده بالاجتماع والعيان المستلزمين للمساواة بينهما ، ولو فرض أنه(٢) لذلك كيفاً يدركه أحد من الخلق وقد ثبت أن الكيف مصنوع أجراه الله تعالى من فعله للزم أن يجري عليه ما هو أجراه والكيف مساوٍ لغيره من الحوادث ، فيصح أن يوصف تعالى بالحلول والجسمية والتحيز والتركيب والحركة والسكون والتأليف وسائر أحوال خلقه ، وتجري هذه الأشياء عليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وذلك معنى ما قلت : (بل خلق لها مادة اخترعها لا من شيء سبق) .

---

(١) في نسخة أخرى : مع .

(٢) في نسخة أخرى : أن .

في أن الشيء المحدث أحدثه خالقه عزَّ وجلّ لا من شيء

قلت : وإنما هي تأكيد فعله وأثره مثل إيجاد ضربٍ الذي هو الحدث من ضرب وذلك هو هيولى الأشياء ووجودها وهو الذات الذي ذوّت منه ومن أشعته الذوات .

أقول : قد أشرنا فيما سبق في بيان كون الأشياء خلقها لا من شيء أن فعله سبب لإحداث الأشياء فبه تصدر(١) أكوانها أي موادها وبأسباب القبول ، أعني الأمور الستة التي هي الكمّ والكيف والوقت والمكان والجهة والرتبة ، وبمتمماتها من الوضع والكتاب والإذن والأجل وبمكملاتها من سائر الأسباب القريبة والبعيدة تصدر أعيانها أعني صورها النوعية في الخلق الأول وعيونها وحقائقها الشخصية في الخلق الثاني وذوات الأشياء وحقائقها ليست من تلك الأسباب ، وإن كانت تخترع بها كما مثّلنا فيما مضى وفيما يأتي من أن الصوت يحدثه الفاعل لا من صوت بل يحدثه عن أسبابه التي هي الحركة والحجر الذي ضربت به على آخر والهواء .

لأن الحركة لا صوت فيها والحجر لا صوت فيه(٢) وإن كان

---

(١) في نسخة أخرى : تصور .

(٢) في نسخة أخرى : والهواء لا صوت فيه .

بالضغط والقلع والقرع يكون الصوت منه ، إذ الهواء في نفسه ليس صوتاً فكما أحدث الصوت من أسبابه التي ليست أصواتاً وليس فيها أصوات في نفسها كذلك أحدث الأشياء من الفعل الذي هو الحركة الإيجادية مع أنها ليست أشياء ولا مجانسة للأشياء ، ولكن الأشياء أثره وتأكيده وذلك مثل ضرب فإنه أثر ضرب وتأكيده فيكون الحادث عن الفعل في نفس الأمر بالنسبة إلى الفعل عرضاً له ، لأن الحادث متقوّم بالفعل نفسه تقوّم صدور وبأثره تقوّم تحقق وبأثر صفته وشعاع هيئته تقوّم ظهور فأول صادر عن أول فعل كنور محمد صلى الله عليه وآله يكون تقوّمه وتحققه عن ذلك الفعل كما وصفنا وذلك نور محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله وعليهم وجميع ما سواهم فمتقوّم بذلك الفعل الحال في نوره تقوّم صدوره وبشعاع ذلك النور تقوّم تحقق[1] ، وهكذا فالفعل وإن كان بالنسبة إلى الفاعل عرض أقامه فاعله بنفسه قيام صدور وقيام تحقق إلّا أنه بالنسبة إلى ما صدر عنه ذات تذوت ما صدر عنه ، لأن أول صادر ليس له أصل يخلق منه ولم يوجد شيء إلّا الفعل فصار ذاتاً بتبعية تذوّت الفعل لأنه إنما تقوّم به الفعل تقوّم صدور بتأثيره وتقوم تحقق بأثره الذي هو نفسه فتذوّت أول صادر من تذوت الفعل ، وكل شيء ممكن بعد أول صادر

(١) في نسخة أخرى : وبشعاع صفته وهيئته تقوّم تحقق .

فهو عرض لأول صادر وإن كان بالنسبة إلى نفسه وإلى من دونه ذاتاً ثابتة مستقلة فإذا عرفت ما أشرت لك عرفت معنى قول سيد الشهداء صلوات الله عليه في ملحقات دعاء عرفة :

(أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج(١) إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الإشارة(٢) هي التي توصل إليك)(٣) .

وقولي : (وذلك إشارة إلى أول صادر) أعني النور الذي تنوّرت منه الأنوار صلى الله عليه وآله ، فإنه هو الهيولى الأولى إلّا أنه لذاته هيولى لأربع عشرة صورة لا يمكن أن يقبل صورة غير الأربع عشرة ومن شعاعه المنفصل خلق الله عزَّ وجلَّ مئة وأربعاً وعشرين ألف حصة لمئة وأربع وعشرين ألف صورة هم الأنبياء عليهم السلام ، لا غير ذلك وهذه حقائق الأنبياء عليهم السلام ، وذواتهم أعراض لأربعة عشر وذوات المؤمنين أعراض لذوات الأنبياء عليهم السلام ، وهكذا تنزل مراتب الوجود .

---

(١) في نسخة أخرى : يحتاج .

(٢) في نسخة أخرى : الآثار .

(٣) بحار الأنوار للمجلسي : ٦٤ / ١٤٢ الباب الرابع ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٥١ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٩٠٧.

قلت : لأن الجوهر إن كان جسماً فهو متقوّم بصفاته وأعراض أفعاله التي هي منشأ قابليته للتكوين والظهور في أعيان رتبته .

أقول : لما بيّنت أن الشيء المحدث أحدثه خالقه عزَّ وجلَّ لا من شيء أي لا من أصل كان معه قديم غير محدث ، وقد أشرت فيما سبق وفي هذا الكتاب أن الشيء أعني المادة لا يتميز من نفسه بل إنما تميزه أشياء مشخصة لم تكن من نفس المادة أشرت هنا إلى أن المشخصات لو كانت أجنبية من المادة لم تكن جزء ماهية الشيء فلا بدّ أن تكون مخلوقة [من مادة][1] من نفسها من حيث هي هي لأنها هي حدود قابليته للإيجاد ، ولهذا تكون أكوان الشيء وتكوّناته من الكبر والصغر والبياض والسواد والقوة والضعف والشقاوة والسعادة وغير ذلك على حسب تحقق تلك المشخصات ، وبيّنت أن الجوهر أعني الشيء المتقوّم بنفسه أي غير قائم بغيره كالأعراض ، سواء كان جسماً أم مجرداً عن المادة[2] العنصرية ، والمدد الزمانية يكون منطوياً في غيب ذاته في إمكان تحققها من مبادئ أفعاله وصفاته من أعراضها ، فقلت : إن كان الجوهر جسماً فمشخصاته تنشأ من أفعاله[3] كالاعتقادات

---

(١) من نسخة أخرى .
(٢) في نسخة أخرى : المواد .
(٣) في نسخة أخرى : وصفات أفعاله .

والأعمال والأقوال والأحوال من العبادات وغيرها من الانفعالات والألوان والأبعاد ، فإنها كامنة في إمكاناتها من أسبابها فيه كما كانت مشخصات حبة الحنطة وظواهرها من الأكمام والتبن والعصف والعود الأخضر والورق التي هي قشرها وظاهرها وأركان هيئتها وقوابلها وأكمامها التي هي من أسباب تعددها أي تعدد الحبة ، فإنها واحدة فإذا زرعت تعددت بتعدّد الأكمام كما قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[1] وهذه الأمور التي بها ترتب الحبة ونمت وتكثّرت وتعيّنت وظهرت حال زرع الحبة كانت كامنة في غيب الحنطة قبل زرعها كما مثّلنا به فيما يأتي فإن قابلية الجسم تنشأ من هذه الظواهر التي كانت كامنة في غيب إمكانها من أفعاله وصفات أفعاله التي تعينه في مراتب ظهوره من رتبة الهباء وما بعدها إلى أن يظهر في وقت وجوده ومكان حدوده من عالم الملك .

قلت : وإن كان مجرداً فهو متقوّم بما تلبس وأمكن فيه من صفات أفعاله وأعراض رتبته من الكون ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام :

(والذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه)[2] انتهى .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦١.

(٢) جامع الأسرار ومنبع الأنوار لحيدر الآملي : ٢٣٤.

أقول : إن كان الجوهر مجرداً فهو متقوّم أي متعيّن متشخّص ، أي متميز عما يشاركه في رتبة وجوده في الدهر فإن كان عقلاً فهو متميز عن العقول المشاركة له في رتبته وهي أول الدهر ، وإن كان نفساً فتميزه عن النفوس في رتبتها ، وهي أوسط الدهر ، وإن كان حصة من الهباء فتميزه عن الحصص الهبائية في رتبتها وهي آخر الدهر وأسفله ، وتميّز المجرد مطلقاً بما تلبس أي صاحب وأمكن فيه أي فيما انطوى عليه من إمكانات أفعاله وصفات أفعاله وأعراض رتبته من الدهر ، فإن إمكانات أفعاله وأفعاله وأعراضه الجبروتية والملكوتية التي تنشأ عنها قابليته للإيجاد ، ويتميز بها عن الأنداد هي المشخصات له التي يتميز بها كما مثّلنا في الأجسام حرفاً بحرف ، لأن المشهود دليل الغائب بل لا يعرف الغائب إلّا بالشاهد إلّا أن كلّ شيء بنسبته ، وقول أمير المؤمنين عليه السلام وصلوات الله عليه في خطبته(١) اليتيمية : (**والذي بالجسم ظهوره فالعرض يلْزمه**) معناه : أن الذي إنما يظهر بالجسم وتحس به كالنفس ، فإنها لما كانت مقارنة للجسم في أفعالها ، يعني أنّ أفعالها تتعلق بالأجسام وإن كانت في ذاتها مفارقة للأجسام لحقتها في أفعالها أعراض الأجسام ، فإذا استعملت الحواس الظاهرة كاللمس والذوق

(١) في نسخة أخرى : خطبة .

والشم والسمع والبصر في إدراك الملموسات والطعوم والروائح والأصوات والألوان لحقت أفعالها الكيفيات والحركات الجسمانية التي هي أعراض الأجسام كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وكالسرعة والبطء وما أشبه ذلك ، كما يوجد عند مجسّة بعض الأجسام وكما تشاهد في النبض من السرعة والخفة أو السرعة والبطء أو البطء والخفة أو الامتلاء وذلك لما كانت أفعال النفس إنما تظهر في الأجسام لزمتها أعراض الأجسام ، لأن قوله عليه السلام : (**والذي بالجسم ظهوره**) يريدِ به غير الجسم .

وقوله عليه السلام : (**فالعرض يلزمه**) عرض الجسم بواسطة الجسم الذي لابسه يشير إلى أن كلّ شيء إذا ظهر وتنزل بذاته لزمه أعراض الرتبة التي تنزل إليها حتى لو تنزل المجرد إلى رتبة المادي بذاته لزمته أعراض المادي وهو ظاهر لا غبار عليه ، وعلى هذا لا يتنزل المجرد إلى رتبة تحت رتبته إلّا بما يمكن فيه من إمكانات ظواهره ومبادئ أفعاله وصفاتها ، وبظهور هذه الأمور تشخص الظاهر بها في رتبة ظهورها بعدما كانت منطوية في غيب إمكاناتها منه كما مثّلنا به من حبة الحنطة وظهور ظواهرها من العود الأخضر وما يظهر[1] فيه من الورق والتبن

(١) في نسخة أخرى : يحضر .

والعصف والأكمام التي تتكثر فيها الحبة حتى تكون كما قال الله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ وإنما تتكثر وتتشخّص بهذه الأفعال وبأعراض رتب أطوارها ، كذلك ما نحن بصدده من الأجسام والمجردات ، لأن الحبة آية معرفتها فافهم .

بيان أن المجرد لا يوجد إلّا إذا قَبِل الإيجاد

قلت : والمراد أن المجرد لا يوجد إلاّ إذا قبل الإيجاد وقبوله لا بدّ أن يكون متأخراً عن مقبوله ، لأن القبول فعل موجود والفعل صفة فاعله والصفة متأخرة عن الموصوف بالذات والرتبة لأنها مخلوقة منه ولما لم يكن موجوداً قبل قبوله للإيجاد لتوقفه على قبوله ، ولم يعقل وجود الصفة قبل الموصوف وجب أن يكون ظهورهما معاً لتوقف ظهور المقبول على(١) وجود القابل وتوقف تحقّق القابل على وجود المقبول ، لأنه صفة المقبول وذلك كالكسر والانكسار ، فإن الانكسار فعل من الكسر وصفة له إلاّ أن ظهوره متوقف على الانكسار .

أقول : هذا الكلام فيه بيان لما اشتبه على الأكثرين من أن

---

(١) في نسخة أخرى : ظهور .

القابلية إن كانت مخلوقة لله لزم الجبر لأنها غير المقبول وإلّا كانت قديمة فتحيّروا في ذلك ولم يهتدوا إليه سبيلاً فأردت بيان ذلك ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[١] .

فقلت : والمراد يعني بيان ما تحيّروا فيه أن المجرد لا يوجد إلاّ إذا قبل الإيجاد وذكرى المجرد لبيان ما هو أخفى ، لأن المادي ظاهر التركيب والمجرد كالعقل الكلي عندهم بسيط لا تركيب فيه فأردت بيان هذه في المجرد ليعلم الوجهان التركيب في المجرد وبيان ما نحن بصدده ببيان واحد فقلت : إن المجرد لا يوجد إلاّ إذا قبل الإيجاد لأن قبول الإيجاد [هو] انوجاده فلو لم ينوجد إذا وجد لم يكن موجوداً والانوجاد من أفعال المطاوعة[٢] كلها اختيارية وهي فعل الموجود والفعل لا يكون موجوداً قبل فاعله بل متأخر منه رتبة وهو أيضاً صفة الموجود والصفة متأخرة عن الموصوف بالذات والرتبة والله عزَّ وجلَّ خلق الصفة من موصوفها والفعل من فاعله ، وهذا كلام معترض يجب تقديم الإشارة إليه قبل ما نحن بصدده لئلا يعثر هنا من لم يكن بالغاً [في المعرفة][٣] وهو أن يقال : إذا

---

(١) سورة ق ، الآية : ٣٧.

(٢) في نسخة أخرى : وأفعال المطاوعة .

(٣) من نسخة أخرى .

كان الله تعالى هو خالق فعل زيد العاصي منه كان زيد غير فاعل للمعصية وإنما خالق المعصية[١] خالق الفعل .

والجواب : إن الله سبحانه خالق كلّ شيء ولكن على غير ما فهم القائلون المعترضون وهم الأكثرون من أهل الظاهر وأهل الباطن ، لأن معرفة ذلك لا يعلمها[٢] إلّا الإمام عليه السلام ، أو من علّمه الإمام عليه السلام إيّاها كما قاله[٣] سيد الساجدين عليه السلام .

والإشارة إلى معرفة ذلك مما يجب علي خصوصاً حين قلت : إنه تعالى خلق الصفة من الموصوف والفعل من فاعله لأنّ الناظر في كلامي وإن سلّم خلق الصفة من الموصوف ينكر أنه تعالى خلق الفعل من فاعله لئلا يلزم عنده إجبار المكلفين ، مع أنّ الفعل صفة والفاعل موصوف ولا فرق بين العبارتين لأنسهم[٤] بخلق الصفة وعدم أنسهم بخلق الفعل ، ولذا قلت : يجب عليّ مع علمي بأنه لا يعرف ذلك ، وإن بيّنته كلّ البيان إلّا من كان من أهله ممن خلقه عزَّ وجلَّ لمثل ذلك .

---

(١) في نسخة أخرى : فاعل المعصية .
(٢) في نسخة أخرى : لا يعرفها .
(٣) في نسخة أخرى : قال .
(٤) في نسخة أخرى : لأنهم .

والحاصل : هو أن الله سبحانه خلق المكلف وأعطاه كلّ ما يتوقف عليه فعل ما أمره به وترك ما نهاه عنه من آلة وإرادة وميل وشهوة ومعرفة ما ينفعه وما يضرّه ومن استطاعة وتمكين وتخلية سرب ومعونة وعقل وتميز واختيار ورفع اضطرار وغير ذلك إلّا أن جميع ما أعطى تعالى عبده المكلف في قبضته تعالى لا في قبضة المكلف إذ لو خلاه من يده لم يكن هو ولا شيء مما أعطاه شيئاً ، إذ كلّ مخلوق قائم بأمره الفعلي قيام صدور وقائم بأمره المفعولي قيام تحقق .

فإذا فعل المكلف المحفوظ بأمر الله تعالى بتلك الأمور المذكورة المحفوظة بأمره تعالى فعلاً باختياره مما أمر به أو نهى عنه من غير مشاركة مع الله تعالى في شيء مما ينسب إليه وقف الفعل وأثره على الإذن من الله عزَّ وجلَّ ، فإن أذن تعالى وقع الفعل المستقل به المكلف وأثره وإلّا فلا .

وقولي : (على الإذن من الله تعالى) ، ما أريد به خصوص الإذن بل مع الستة التي ذكرها جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام في قوله : (**لا يكون شيء في الأرض ولا في السَّماء إلّا بسبعة : بمشيئة ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، وإذن وأجل ، وكتاب ، فمن زعم أنَّه يقدر على نقص واحدة فقد كفر**)[١] .

---

(١) محاسن البرقي : ١ / ٢٤٤ ح ٢٣٦ ، وموسوعة العقائد الإسلامية : ٤ / ١٧٥ ح ٤٤٨٣ ، ومستدرك سفينة البحار : ٤ / ٤٤٢ .

وفي رواية : (**على نقض واحدة**) بالضاد المعجمة[(١)] ، والمراد أن العبد المكلف إذا فعل فعله المستقل به لا يكون استقلاله أقوى من استقلال نفسه فإنه في نفسه ما يوجد ولا يتحقق ولا يبقى لحظة إلّا بأمره تعالى الفعلي والمفعولي وذلك هو السبعة التي ذكرها مولانا الصادق عليه السلام ، على النمط الذي ذكرنا : (**وفعله مثله على حدّ ، سواء في توقف وقوعه على السبعة المذكورة على النحو الذي ذكرنا**) من أن المكلف يفعل فعله على الاستقلال ، ولكن بالآلات التي لا يمكن الفعل إلّا بها وهي التي أشرنا إليها بأنها نعم الله تعالى التي أنعم بها عليّ[(٢)] إذ لا يتمكن من شيء إلّا بها إلّا أنها في قبضته تعالى ، إذ لو خلاها من يده لما كانت شيئاً ومثال ذلك وآيته استضاءة الجدار بما أشرقت عليه الشمس به فإنه في قبضة الشمس .

ألَا ترى أنها إذا غربت ذهبت بالاستضاءة ، فبتلك الآلات قدر العبد على الفعل فإذا فعل وقف وجود فعله ووجود أثر فعله على السبعة المذكورة ، فإذا تحققت السبعة للفعل وأثره وقع الفعل وأثره إذ لا يتمكن من شيء بدونها ، لأن كلّ ما ذكرنا هي شرائط تمكينه من الفعل ، ألا ترى إلى الزاني إذا مالت ماهيته

(١) أصول الكافي : ١ / ١٤٩ ح ١.

(٢) في نسخة أخرى : عليه ، على عبده .

بنفسه الأمارة إلى الزنى من خلق شهوة الزاني بميله إليه ومن خلق النطفة ومن خلق الاتعاظ(1) بذلك الميل ، ومن خلق ذلك الميل بافتقار(2) الماهية والنفس الأمارة أخبرني هل من خالق غير الله ، فالعبد بما ذكرنا فاعل لفعله ، فهذا معنى قولنا : إنه تعالى خلق الفعل من فاعله ، وليس مرادنا أن الله تعالى هو فاعل(3) العبد بل مرادنا على حدِّ ما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ** ﴾(4) وما قال الصادق عليه السلام : (**ووهب لأهل المعصية القوة على معصيته(5) لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاقة القبول منه**)(6) الحديث .

ولو أمكن المكلف أن يقع منه فعل لم يأذن الله تعالى له في الوقوع لكان تعالى يخاف الفوت(7) ، واعلم أني لو زدت البيان على ما ذكرت لم تزدد معرفة على ما ذكرت لك مع أني كررت

---

(1) في نسخة أخرى : الإنعاظ .
(2) في نسخة أخرى : باقتضاء .
(3) في نسخة أخرى : فاعل فعل .
(4) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .
(5) في نسخة أخرى : معصية .
(6) الكافي : ١ / ١٥٣ ح ٢ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٣٩٧ ح ٢١٥ .
(7) قال عليه السلام : **(فمن ذا الذي يعرض لك في عبدك أو يسألك عن أمره ، وقد علمت يا إلهي أنه ليس في نقمتك عجلة ولا في حكمك ظلم ، وإنما يعجل من يخاف الفوت وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وقد تعاليت يا إلهي عن** =

العبارة وزدت في الكلام في البيان ولم أساو قوله تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ لأن بيان معرفة هذه المسألة وطريق إدراكها أحدّ من السيف وأدق من الشعر ، فإن كنت تنظر بنور الله أعني الفؤاد فهمت وإن كنت تنظر بالعقل أو ما دونه فلا تصل إلى كُنه معرفتها قط .

والحاصل : إن الانفعال الذي هو القبول صفة للمفعول مخلوقة منه والصفة متأخرة بالذات والرتبة عن موصوفها الذي هو المفعول ، لكن المفعول لا يمكن أن يوجد قبل أن يقبل الإيجاد والانفعال هو قبوله للإيجاد ، فقبوله للإيجاد شرط لوجوده وشرط الوجود يتقدم[1] وجوده على الوجود فكان الانفعال يجب تقدّمه ويجب تأخره في حال واحد ، ولا يمكن تحقّق التقدّم والتأخّر باعتبار واحد إلّا بلحاظ المساوقة كالكسر والانكسار والأبوّة والبنوّة ، وهذا معنى قولي : وجب أن يكون ظهورهما معاً ، إلى آخر الكلام .

= **ذلك علواً كبيراً**) مصباح المتهجد للطوسي : ١٩٥ ، ومفتاح الفلاح : ٢٥٦ ، ومن لا يحضره الفقيه : ١ / ٤٩١ ، ومصباح الكفعمي : ٩٥ .

(١) في نسخة أخرى : يتوقف .

ضرورة تركيب الممكن من المادة والصورة

قلت : فلما خلق الله المقبول أعني الهيولى انخلق فانخلق هو القبول ، وهو فعل من المخلوق أي المقبول خلقه الله تعالى بإمكانه واستعداده من نفس المقبول من حيث نفسه أي من حيث هو هو ، وهذا القبول هو صورته وماهيته وظاهره اللازم له وظاهر المجرد اللازم له هو باطن جسمه فإذا تنزل إلى رتبة الجسمية بظاهره ظهر جسمه ، وهو مادة جسمه أيضاً هي المقبول وظِاهرها هي القبول أعني معيناتها من الكمّ والكيف والوقت والمكان والرتبة والجهة وما يلزم ذلك .

أقول : ما ذكرنا قبل هذا فيه بيان هذا الكلام .

وقولي : (فلما خلق الله المقبول) أعني الهيولى ، أريد به أن الممكن لا بدّ في إيجاده أن يكون مركباً من المادة والصورة ، والمادة هي المقبول يعني أنها مقبولة للقبول ، وإنما فسرت المقبول بالهيولى ، لأن الشيء الذي يتركب منه الشيء المخلوق في الاصطلاح إذا كان قابلاً لصور لا تتناهى يسمى هيولى ، وإذا حلّت به إحدى الصور يسمى مادة ، فلما كنت مريداً للعموم من المقبول فسرته بالهيولى لأنها هي العموم والوجود إذا ذكرته أريد منه المادة في الخاص والهيولى في العام كما هو عند كثير من الحكماء المتقدمين .

وقولي : (خلقه الله بإمكانه واستعداده) العطف في واستعداده تفسيري إذا أريد بالإمكان التهيؤ القريب .

وقولي : (من حيث نفسه) أي من حيث هو هو يعني مرادنا إذ قلنا من حيث نفسه إنيّته التي يدل عليها هو فإن المشار إليه بالهاء من هو هو ذاته أعني جهته من نفسه وهي معود ضمير يكون في قوله : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] فإن الضمير المستتر في يكون يعود على ذات المكون من حيث نفسه .

وقولي : (وهذا القبول) هو صورته وماهيته ، أريد به الصورة النوعية والماهية بالمعنى الأول كما ذكرنا سابقاً مكرراً أن مرادنا بالوجود والماهية بالمعنى الأول في الخلق الأول أن المادة هي الوجود والصورة النوعية هي الماهية كالعناصر في خلق السرير مثلاً هي المادة وهي الوجود بالمعنى الأول والصورة الخشبية هي الماهية بالمعنى الأول وبالمعنى الثاني الوجود هو كونه صنع الله وأثر فعل الله والماهية بالمعنى الثاني هو السرير وهنا نريد في المتن بالمعنى الأول فيكون القبول هو الصورة النوعية والماهية .

وقولي : (وظاهره اللازم له) ، أريد أن الماهية هي ظاهر الشيء إذ ليس هو شيئاً إلّا به وهي قبوله للإيجاد المعبر عنه

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

بالانفعال وباطن الشيء هو وجوده أعني مادته وهي حقيقته من ربِّه ، وهي النفس التي من عرفها عرف ربَّه ، وهي بمعنى الوجود بالمعنى الثاني لأنك إذا نظرت(١) إليها من حيث كونها أثر فعله تعالى وجدت الوجود الذي هو حقيقة الشيء من ربِّه وبه تعرف الله تعالى ، لأن الأثر يدل على المؤثر .

وقولي : (وظاهر المجرد اللازم له هو باطن جسمه) ، أريد منه الإشارة إلى بيان ما ذكرت سابقاً في قولي : (وإن كان مجرداً فهو متقوّم بما تلبّس وأمكن فيه) إلخ ، والمعنى أن المجرد إذا تنزّل ظهر في مبادئ أفعاله لأنها قوابل تكوينه ومقوّمات تكوّنه وأوائل مبادئ جسمه الذي تظهر فيه وبه آثار أفعاله فهي باطن جسمه كالسنبلة ، فإنها في حبة الحنطة كامنة فإذا زرعت وانشقت وظهر ما في مبادئ أفعاله من صور آثارها سنبلة خضراء فهي للحبة كالجسم للمجرد ، فإن صور(٢) آثار مبادئ أفعاله كامنة في مبادئ أفعاله ، فإذا تنزل ظهر جسماً طبيعياً حاملاً لجميع شؤونه فعلاً وانفعالاً وكان في غيبه ، فلما ظهر بالجسم وظهر الجسم مكن(٣) فيه كالحبة لما ظهرت بالسنبلة كمنت في السنبلة كما ترى ، كذلك

---

(١) في نسخة أخرى : إلى المادة من حيث هي هي وجدت الماهية التي لا يعرف الله بها وإذا نظرت .

(٢) في نسخة أخرى : فإن صور مبادئ آثار أفعاله من صور .

(٣) في نسخة أخرى : كمن .

الجسم لما ظهرت النفس به وظهر كمنت فيه وكان محلاً لجميع شؤونها .

وهو المراد من قولي : (فإذا تنزل إلى مرتبة الجسمية بظاهره ظهر جسمه) .

وقولي : (بظاهره) ، أريد أنه لا يظهر ولا يتنزل بباطنه وإنما يظهر بآثاره لأنه آية من آيات الله وجعله الله دليلاً على ظهوره تعالى بآثار فعله .

وقولي : (وهو ومادة جسمه أيضاً هو المقبول) أعني أنه في الخلق الثاني الذي هو محل السعادة والشقاوة يكون مادة الخلق الأول وصورة هو مادة الخلق الثاني ، وذلك مثاله في إيجاد السرير في الخلق الأول حصة من العناصر هي مادة الخشب وحصة من الصورة النوعية التي هي الفصل أعني الخشبية ومجموعهما الخشب ، فصار الخشب الذي هو مادة السرير في الخلق الثاني مركباً من مادة وصورة .

فالمادة حصة من العناصر الأربعة وحصة من الفصل وهي الصورة الخشبية ومجموعهما مادة السرير في الخلق الثاني وصورة السرير التربيع المعلوم الذي به يكون سريراً فالمقبول في الخلق الأول والثاني هو المادة والقابل في الأول والثاني هو الصورة فبالصورة يتنوع الشيء ويتشخّص كلّ في رتبته(١) فيتعيّن المجرد

---

(١) وفي نسخة أخرى : ويتشخص في كلّ رتبة .

بماهيته التي هي الصورة والانفعال ، وهي قبوله لفعل فاعله تعالى بحيث يتميز عن مماثله في رتبته تميزاً معنوياً عقلياً وصورياً وجوهرياً وحصيّاً هبائياً وصورياً مثالياً والقابل في الجسمية هو ظاهرها أي ظاهر الجسمية الذي به تتعيّن وهو المشخصات ، أعني الكمّ والكيف والوقت والمكان والرتبة والجهة وما يلزم ذلك كالإذن والأجل والكتاب والوضع ، وإنما فسّرنا القابلية بهذه الأشياء لأنها تنشأ عن هذه الأشياء وتتولّد منها .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث
- الفهرس الموضوعي
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
- ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾	٨٨	٣٨
- ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾	١١٧	٢٩٠
- ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	٢١٢	١١١
- ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾	٢٦١	٢٧٩
- ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾	٢٨٦	٥٥
سورة النساء		
- ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	١	١٩٤
- ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾	٧٩	٤٥
- ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾	١١٩	٢٥١

- ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾	١٥٥	٢٨٧ ، ٣٨

سورة الأنعام

- ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	١٢٥	٢٥٦
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾	١٣٧	٢٣٤
- ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾	١٣٩	٥٥

سورة الأعراف

- ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾	٩	١٤
- ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾	٥٤	٥٣
- ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾	١٧٢	٢٦٧ ، ٢٦٥ ، ١٨٢
- ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾	١٧٦	٢٥٧
- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١٨٢	١٦٤

سورة الأنفال

- ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ

وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾	٤٣ ، ٤٤	٢٣٢
- ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٦٣	١٤٩

سورة التوبة

- ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾	١١	١٨ ، ٢٣
- ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾	١٢	٣٤
- ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾	٣٧	٢٣٣

سورة يونس

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾	٥	٢٠٦

- ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ١٨ ١٣٧

سورة الرعد

- ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ ٣٩ ١٢٨، ١٣٤، ١٤٠

سورة إبراهيم

- ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ ٢٢ ٢٣٤

سورة الحجر

- ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ٢١ ١٤٢
- ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ ٢٩ ٩٥

سورة النحل

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ٤٨ ١٠٧
- ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ ٦٠ ١٢٤، ١٥٦

- ﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾	٦٩	٥٠

سورة الإسراء

- ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	١	١٢٥
- ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾	٧	٢٣٠
- ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾	٤٤	١٠٧
- ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾	٤٤	١٦٣
- ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	٤٤	١٨٠

سورة الكهف

- ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٧	١١١
- ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾	٢٩	٢٥٥

سورة الأنبياء

- ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾	١٨	٥٥
- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٣٠	٢٠١

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٣٣	١٠٧
- ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾	٩٨	١٧٧

سورة المؤمنون

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾	٦٣	٥٩
- ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾	٧١	٢٣٣
- ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾	٧١	٢٤١

سورة النور

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ ﴾	٣٥	٢٢١

سورة الفرقان

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾	٤٥	٤٠
- ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾	٤٦	٦٤

سورة العنكبوت

الآية	رقمها	الصفحة
- ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ ﴾	١٣	١٨١

- ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ ٤٣ ٤٥

سورة الروم

- ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ ٢٢ ١٤١
- ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ﴾ ٢٥ ٥٢
- ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ ٣٠ ٢٥١
- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ ٤٠ ٩٥

سورة لقمان

- ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ ﴾ ٢٨ ١٤٠

سورة سبأ

- ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ ١٨ ٢٠٢

سورة فاطر

- ﴿ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ ١٠ ٤٣

سورة الصافات

- ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾	١٥٩ ، ١٦٠	١٦٠
- ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	١٨٠	١٣١ ، ١٦٠
- ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾	١٨٠ ، ١٨١	١٥٩

سورة فصلت

- ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾	١١	١٠٧
- ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾	١١	١٦٣
- ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾	٥٣	١٤٠ ، ١٥٥ ١٧٢ ، ١٩٥
- ﴿ فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾	٥٣	٢٠٧

سورة الشورى

- ﴿ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	١١	١٠٠

سورة الزخرف

- ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ ٣٦ ٢٣٤

سورة الدخان

- ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ ٥٠ ٥٦

سورة ق

- ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ٣٧ ٢٨٣

سورة الذاريات

- ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٢١ ١٤٠

سورة القمر

- ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ﴾ ٥٠ ١٤٠

سورة الإنسان

- ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ ٢ ٦٢ ، ١٢٥
- ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ٣٠ ٦٤

سورة الزلزلة

- ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ ٧ ، ٨ ٥٥

فهرس الأحاديث

حرف الألف

- (إذ كان الشيء من مشيئته) ١٥١
- (اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له وكل عامل بعمله) ٢٣١
- (الخير في يديك والشر ليس إليك) ٤٣
- (العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فُقد في العبودية وجِدَ في الربوبية وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية) ... ١٤٠ ، ١٩٥
- (العلم نقطة كثَّرها الجاهلون) ٧٤
- (اللهم لا تخلّني من يدك ولا تتركني لقا لعدوّك وعدوّي ولا توحشني من لطائفك الخفيّة وكفايتك الجميلة) ٢٣٦
- (إن الذرة تزعم أن لله زبانين) ١٥٩
- (إن الكلام صفة محدثة) ٢٧١
- (إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية ، كان الله عزَّ وجلَّ ولا متكلم) ٢٧٠
- (إنّ أول ما خلق الله الماء وخلق منه كذا وكذا) ٢٠٠

- (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف حجاب منها لأحرقت سبحات وجهه جميع ما انتهى إليه بصره من خلقه) ١٥٣
- (ألف دهر) ٢٠٦
- (أنا أولى بحسناتك منك) .... ٤٦ ، ٤٩
- (أنا من محمد كالضوء من الضوء) ٢٠٥
- (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الإشارة هي التي توصل إليك) ٢٧٧

حرف الباء

- (بدت قدرتك يا إلهي) ١٥٧
- (بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة) ١٥٣
- (بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة يا سيدي فشبهوك واتخذوا بعض آياتك أرباباً ، يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك) .... ١٢٥ ، ١٤٤
- (بل فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير) ٢٣١
- (بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن فنحن القرى التي بارك الله فيها وذلك قول الله عزّ وجلّ فيمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم أن يأتونا ، فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ ، أي جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها ﴿ قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ السير

مثل العلم سير به سيروا فيها ليالي وأياماً ، مثلٌ لما يسير من العلم والليالي والأيام عنّا إليهم في الحلال والحرام والفرائض والأحكام آمنين فيها إذا أخذوا عن معدنها الذي أمروا أن يأخذوا منه آمنين من الشك والضلال والنقلة من الحلال والحرام) ٢٠٣

حرف الخاء

- (خلقنا الله من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة ، ولم يجعل الله لأحد في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلّا الأنبياء والمرسلين ، فلذلك صرنا نحن وهم الناس وصار الناس همجاً في النار وإلى النار) ٢٠٥

- -(خلف من فاضل طينة كذا) ٢٠٨

حرف الذال

- (ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها) ١٨٥

حرف العين

- (على ما أقدرهم عليه) ٦٢

- (على نقض واحدة) ٢٨٥

حرف الغين

- (غيوره تحديد) ١٤٧

حرف الفاء

- (فالعرض يلزمه) ٢٨٠
- (فكان بينهما حجاب يتلألأ بخفق ولا أعلمه إلّا وقد قال : زبرجد) ٨٧
- (فكلّما ميّزتموه في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم) ١٤٨

حرف القاف

- (قد عَلم أُولو الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يُعلم إلّا بما هاهنا) .... ١٤١ ، ١٩٥
- (قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلفَ العرش لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ، ولما سأل موسى ربّه ما سأل أمر رجلاً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكّاً) ١٥٤

حرف الكاف

- (كان ربنا عزَّ وجلَّ والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلما

أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور) ١٣٥

- (كلّ شيء سواك قام بأمرك) ٥٢
- (كلهم صائرون إلى حكمك وأمورهم آئلة إلى أمرك) ٢٦٦
- (كنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه) ١٢٣ ، ١٤٧
- كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه) ١٦٦
- (كل ميسر لما خلق له) ٢٣١
- (كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم) ٢١٦

حرف اللام

- (لئلّا يقع في الأوهام على أنه عاجز ولا تقع صورة في وهم أحد إلّا وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها الخلق لئلا يقول أحد : هل يقدر الله عزّ وجلّ على أن يخلق صورة كذا وكذا لأنّه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كلّ شيء قدير) .... ١٤٣ ، ٢١٧
- (لا يكون هؤلاء من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء) ٢٥٤
- (لم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً أو يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً) ١٤٢

- (ليس عند ربك زمان) ١٢٨
- (لا يكون شيء في الأرض ولا في السَّماء إلّا بسبعة : بمشيئة ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، وإذن وأجل ، وكتاب ، فمن زعم أنَّه يقدر على نقص واحدة فقد كفر) ٢٨٥

حرف الميم

- (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) ١٣٩
- (من أن القدر والعمل كالروح والجسد فكما أن الروح بدون الجسد لا تحس والجسد بدون الروح لا حراك فيها كذلك القدر والعمل ، فلو لم يكن القدر بموافقة من العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئاً لا يحس ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يتم ولم يمض ولله فيه العون لعباده الصالحين) ٦٥
- (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) ١٥٥

حرف النون

- (نحن الصلاة ونحن الزكاة ونحن الأعمال ونحن الثواب ونحن العقاب) ٤٢

حرف الهاء

- (هو المالك لما ملّكهم والقادر على ما أقدرهم عليه) ٦٢

حرف الواو

- (والحرف ما دلّ على معنى ليس باسم ولا فعل) ١١٨

- (والخامس : الكون الناري) ٢٨٨
- (والذي بالجسم ظهوره فالعرَضُ يلزمه) .... ١٩٠ ، ٢٨٠
- (والذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي بالجسم ظهوره) ٣٠٣
- (وإن الذرة لتزعم أن لله زبانين) ١٥٧
- (وإن قلت مم ؟ فقد باين الأشياء كلها فهو هو ، وإن قلت فهو هو ؟ فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له) ١٥٠
- (وإنما خلقتم للبقاء وإنما تنقلون من دار إلى دار) ٥٦
- (وأسماؤه تعبير وصفاته تفهيم). .... ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٧٩
- (وأنت أولى بسيئاتك مني) ٤٦
- (وذلك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني) ٤٤
- (ووهب لأهل المعصية القوة على معصيته لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاقة القبول منه) ٢٨٧
- (وهو منشئ الشيء حين لا شيء) ١٥١
- (وفعله مثله على حدّ ، سواء في توقف وقوعه على السبعة المذكورة على النحو الذي ذكرنا) ٢٨٦

حرف الياء

- (يتلألأ بخفق) ١٠٢

الفهرس الموضوعي

الموضوع **الصفحة**

علم الله

بيان أن الله يعلم ما يكون ويعلم ما يشاء أن يغيّره ١٢٧

في أنّ الله علمه ثابت لا يحصل عنده تغيير وإن تغيّرت الحالة ١٣٢

سبب وصف الله بالعلم أنّه خلق العلم وبالحياة أنه خلق الحياة ١٥٦

ذات الله

في أنّ ذات الله لا تُعرف بالكنه بل بصفات الأفعال ١٥٨

كيفية خلق الله تعالى للأشياء

كيفية خلق الله تعالى للأشياء ٢٦٩

في أن الشيء المحدث أحدثه خالقه عزَّ وجلَّ لا من شيء ٢٧٥

بيان أن المجرد لا يوجد إلّا إذا قَبِل الإيجاد ٢٨٢

كمال الصُنع

في بيان كمال الصُنع ١٨٠

تركب الإنسان

بيان تركب الإنسان من ضدين : نور وظلمة ١٣
بيان مما ركّب الإنسان منه ٢٦
ضرورة تركيب الممكن من المادة والصورة ٣١١

مراتب النفس

١ ـ النفس الأمارة ١٦
٢ ـ النفس اللوامة ١٦
٣ ـ النفس الملهمة ١٦
٤ ـ النفس المطمئنة ١٦
٥ ـ النفس الراضية ١٧
٦ ـ النفس المرضية ١٧
٧ ـ النفس الكاملة ١٧

مرآة العقل والنفس

بيان مرآة العقل والنفس ٢٩

القلب

بيان أُذني القلب ٣١
بيان المراد من النكتة البيضاء في القلب ٣٤

الاختيار في أفعال العباد ومصدر الخير والشر

بيان أثر ميل الوجود إلى الخير والشر ٢٣
نسبة الخير الى الله تعالى دون الشر ٤٢
بيان المنزلة بين المنزلتين في أفعال العباد ٤٥
بيان كيفية أن الحسنة من الله أولاً ومن العبد ثانياً ٤٧
بيان رجحان المادة الحسنة على صورتها ٤٨
بيان أن السيئة من العبد أولاً وثانياً ٤٩
في أن كلّ شيء قام بأمر الله تعالى صدوراً وبقاءً ٥٢
في أن أفعال العباد قائمة بأمر الله تعالى ٥٧
في صدور أفعال المكلف منه باختياره على الاستقلال ٥٩
منشأ الاختيار عند العباد ٦٢
في أن تقوّم حسنات العبد وطاعاته بقدر الله ٦٧
بيان أن منشأ الاختيار عند العباد ميل الوجود والماهية ١٠٥

معنى الاختيار عند الله سبحانه

اختيار الممكن أثر لاختيار المشيئة وهو أثر لاختيار الواجب ١٢٠

بيان وحدة المشيئة والاختيار عند الله تعالى ١٢٥
في أنّ الله علمه ثابت لا يحصل عنده تغيير وإن تغيّرت الحالة ١٣٢
معنى الاختيار عند الله سبحانه وتعالى ١٣٨
بين تعدد المشيئة عند الله سبحانه ١٣٩
ليس بين فعل الله وبين ما سواه موافقة ولا مخالفة ١٤٨
سبب وصف الله بالعلم أنّه خلق العلم وبالحياة أنه خلق الحياة ١٥٦
بيان أن كل ما في الوجود مختار ١٦١
في أن للممكن ملكاً موكل به يفعل من دون إجبار ١٦٥
لا جبر في فعل الممكن بل هو شهوة الاختيار ١٦٩
أدلة إثبات اختيار النباتات والجمادات وشعورهما ١٧١
بيان علّة اختيار الجمادات ١٧٣
الاختيار لازم لجميع ذرات الوجود ١٧٦
في بيان كمال الصُنع ١٨٠
في بيان أن الاختيار كان في عالم الذرّ ١٨٢

الماهية

في أن الماهية ومددها بفعل الله تعالى ١١
بيان أن الماهية موجودة بوجود الوجود ٧٠
الأقوال في الماهية ٧٢
رأي الشيخ الأوحد في حقيقة الماهية ٧٤
في أن الماهية في نفس الأمر موجودة بوجود الآخر ٧٥

الوجود والماهية

ما يقوي الوجود والماهية ١٨
مصدر مدد الوجود والماهية ١٩
ترابط الماهية والوجود ٧٩
في أن النور للقرب من الوجود والظلمة للقرب من الماهية ٨١
منشأ الطاعة والمعصية ضمن حركة الوجود والماهية ٨٤

حركات الوجود والماهية

١ ـ حركة الوجود الذاتية ٨٥
٢ ـ حركة الماهية حينئذ الذاتية ٨٥
٣ ـ الحركة العرضية ٨٥
بيان رزق الوجود ورزق الماهية ٩١
خلاصة واختصار في حركات الوجود والماهية ٩٥
بيان الحركات الستين للوجود وللماهية ٩٦
تفصيل الحركات الستين ٩٧
الحركة الدهرية للماهية والوجود ٩٨
بيان أن منشأ الاختيار عند العباد ميل الوجود والماهية ١٠٥
أقسام الميل في الوجود والماهية ١٠٨
١ ـ الميل الذاتي ١٠٨
٢ ـ الميل الفعلي ١٠٩

بيان أن أصل منشأ الميل هو الشهوة ١١٢
بيان الاختيار في الماهية والوجود ١١٧
بيان الاختيار في الماهية والوجود ١١٧
اختيار الممكن أثر لاختيار المشيئة وهو أثر لاختيار الواجب ١٢٠

الإمكان

بيان أن الإمكان منشأ الأكوان ٢١٣
عدم اتحاد الوجود الممكن وكيفية خلقهم ٢٠٣

مراتب تنزّل الموجودات

بيان تنزّل الموجودات في مراتب ظهورها ٢٦٣
١ ـ مرتبة الكون ٢٦٣
٢ ـ مرتبة العين ٢٦٣
٣ ـ مرتبة القدر والتصوير ٢٦٤
٤ ـ مرتبة القضاء وإتمام تكوين الشيء ٢٦٥

آراء الشيخ الأوحد

رأي الشيخ الأوحد في حقيقة الماهية ٧٤

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الفائدة الحادية عشرة :
في بيان صدور الأفعال : من الإنسان والإشارة إليه

الفائدة الحادية عشرة: في بيان صدور الأفعال من الإنسان ٧

في أن الماهية ومددها بفعل الله تعالى ١١

بيان تركب الإنسان من ضدين : نور وظلمة ١٣

مراتب النفس ١٦

١ ـ النفس الأمارة ١٦

٢ ـ النفس اللوامة ١٦

٣ ـ النفس الملهمة ١٦

٤ ـ النفس المطمئنة ١٦

٥ ـ النفس الراضية ١٧

٦ ـ النفس المرضية ١٧

٧ ـ النفس الكاملة ١٧

ما يقوي الوجود والماهية ١٨
مصدر مدد الوجود والماهية ١٩
بيان أثر ميل الوجود إلى الخير والشر ٢٣
بيان مما ركّب الإنسان منه ٢٦
بيان مرآة العقل والنفس ٢٩
بيان أُذني القلب ٣١
بيان المراد من النكتة البيضاء في القلب ٣٤
نسبة الخير الى الله تعالى دون الشر ٤٢
بيان المنزلة بين المنزلتين في أفعال العباد ٤٥
بيان كيفية أن الحسنة من الله أولاً ومن العبد ثانياً ٤٧
بيان رجحان المادة الحسنة على صورتها ٤٨
بيان أن السيئة من العبد أولاً وثانياً ٤٩
في أن كلّ شيء قام بأمر الله تعالى صدوراً وبقاءً ٥٢
في أن أفعال العباد قائمة بأمر الله تعالى ٥٧
في صدور أفعال المكلف منه باختياره على الاستقلال ٥٩
منشأ الاختيار عند العباد ٦٢
في أن تقوّم حسنات العبد وطاعاته بقدر الله ٦٧
بيان أن الماهية موجودة بوجود الوجود ٧٠
الأقوال في الماهية ٧٢
رأي الشيخ الأوحد في حقيقة الماهية ٧٤
في أن الماهية في نفس الأمر موجودة بوجود الآخر ٧٥

ترابط الماهية والوجود ٧٩
في أن النور للقرب من الوجود والظلمة للقرب من الماهية ٨١
منشأ الطاعة والمعصية ضمن حركة الوجود والماهية ٨٤
حركات الوجود والماهية ٨٥
١ ـ حركة الوجود الذاتية ٨٥
٢ ـ حركة الماهية حينئذ الذاتية ٨٥
٣ ـ الحركة العرضية ٨٥
بيان رزق الوجود ورزق الماهية ٩١
خلاصة واختصار في حركات الوجود والماهية ٩٥
بيان الحركات الستين للوجود وللماهية ٩٦
تفصيل الحركات الستين ٩٧
الحركة الدهرية للماهية والوجود ٩٨

الفائدة الثانية عشرة : في بيان ثبوت الاختيار

الفائدة الثانية عشرة : في بيان ثبوت الاختيار ١٠٥
بيان أن منشأ الاختيار عند العباد ميل الوجود والماهية ١٠٥
أقسام الميل في الوجود والماهية ١٠٨
١ ـ الميل الذاتي ١٠٨
٢ ـ الميل الفعلي ١٠٩
بيان أن أصل منشأ الميل هو الشهوة ١١٢
بيان الاختيار في الماهية والوجود ١١٧

اختيار الممكن أثر لاختيار المشيئة وهو أثر لاختيار الواجب ١٢٠
بيان وحدة المشيئة والاختيار عند الله تعالى ١٢٥
بيان أن الله يعلم ما يكون ويعلم ما يشاء أن يغيّره ١٢٧
في أنّ الله علمه ثابت لا يحصل عنده تغيير وإن تغيّرت الحالة ١٣٢
معنى الاختيار عند الله سبحانه وتعالى ١٣٨
بين تعدّد المشيئة عند الله سبحانه ١٣٩
ليس بين فعل الله وبين ما سواه موافقة ولا مخالفة ١٤٨
سبب وصف الله بالعلم أنّه خلق العلم وبالحياة أنه خلق الحياة ١٥٦
في أنّ ذات الله لا تُعرف بالكنه بل بصفات الأفعال ١٥٨
بيان أن كل ما في الوجود مختار ١٦١
في أن للممكن ملكاً موكل به يفعل من دون إجبار ١٦٥
لا جبر في فعل الممكن بل هو شهوة الاختيار ١٦٩
أدلة إثبات اختيار النباتات والجمادات وشعورهما ١٧١
بيان علّة اختيار الجمادات ١٧٣
الاختيار لازم لجميع ذرات الوجود ١٧٦
في بيان كمال الصُّنع ١٨٠
في بيان أن الاختيار كان في عالم الذرّ ١٨٢
خاتمة في بيان علّة تكرار المطالب من المصنف ١٨٤
الفائدة الثالثة عشرة: كيفية تكوّن الموجودات وتنزّلاتها ١٨٩

الفائدة الرابعة عشرة:
في أن الموجودات المتكثرة من طينة واحدة

الفائدة الرابعة عشرة: أن الموجودات المتكثرة من طينة واحدة ١٩٩
عدم اتحاد الوجود الممكن وكيفية خلقهم ٢٠٣

الفائدة الخامسة عشرة:
كان اللّه وحده لا شريك له وليس معه غيره

الفائدة الخامسة عشرة: كان الله وحده لا شريك له وليس معه غيره ... ٢١١
بيان أن الإمكان منشأ الأكوان ٢١٣

الفائدة السادسة عشرة:
الفعل من المختار الحكيم لا يتعلّق بمفعول

الفائدة السادسة عشرة: الفعل من المختار الحكيم لا يتعلّق بمفعول .. ٢٢١

الفائدة السابعة عشرة: في سرّ التكليف:
وبيان مقتضى الأعمال

الفائدة السابعة عشرة: في سرّ التكليف وبيان مقتضى الأعمال ٢٢٩

الفائدة الثامنة عشرة: خلق اللّه الخلق على أكمل:
ما تقتضيه الحكمة

الفائدة الثامنة عشرة: خلق الله الخلق على أكمل ما تقتضيه الحكمة ... ٢٤١

الفائدة التاسعة عشرة: بيان سرّ التنعّم: والثواب والتألم والعذاب

الفائدة التاسعة عشرة: بيان سرّ التنعّم والثواب والتألم والعذاب ٢٥١
شرح الفائدة الثالثة عشرة: شرح الفائدة الأولى في الإشارة إلى بيان كيفية تكوّن الموجودات ٢٦١
بيان تنزّل الموجودات في مراتب ظهورها ٢٦٣
١ ـ مرتبة الكون ٢٦٣
٢ ـ مرتبة العين ٢٦٣
٣ ـ مرتبة القدر والتصوير ٢٦٤
٤ ـ مرتبة القضاء وإتمام تكوين الشيء ٢٦٥
كيفية خلق الله تعالى للأشياء ٢٦٩
في أن الشيء المحدث أحدثه خالقه عزَّ وجلَّ لا من شيء ٢٧٥
بيان أن المجرد لا يوجد إلّا إذا قَبِل الإيجاد ٢٨٢
ضرورة تركيب الممكن من المادة والصورة ٢٨٩

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية ٢٩٧
فهرس الأحاديث ٣٠٧
الفهرس الموضوعي ٣١٥
فهرس المحتويات ٣٢١